الآداب العالمية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية

العدد 167 صيف 2016. السنة الأربعون



ملف العدد

ندوة "دور الترجمة في التنمية الوطنية"

اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق

اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ المزة أوتوستراد ـ مقابل قصر العدل

ص.ب 3230 ـ هاتف: 6117240 ـ 6117241

http://www.awu.sy

E-Mail: awuworldliterature@gmail.com

المراسـلات باسم رئيس التحرير

شروط النشر في المجلة

- أن تكون الموضوعات حديثة وهامة وغير منشورة.
- أن ترفق المادة بالنص الأجنبي الذي ترجمت عنه.
- أن تكـون الترجمـة عن اللغـة الأجنبية الأصليـة التي كتب بها النص ما أمكن.
- أن يقدم المترجم لمحة عن سيرته الذاتيـة وعنوانـه، ونبذة مختصرة عن المؤلف الأصلي للنص.
- أن ترسل المادة ورقياً وإلكترونياً.
- أن تثبت المصطلحات الأجنبية في هامش مستقل ملحق بالنص.
- أن تثبت المصادر والمراجع الأجنبية والعربية في نهاية النص.

الآداب العالمية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية

العـدد 167 صيف 2016 السنة الأربعون

تعنى بنشر المواد المترجمة من الأدب العالمي في مجالات الدراسة والنقد والشعر والقصة والمسرح وغيرها، وكذلك المواد التي تتناول الأدب العالمي في مجالات الدراسة والنقد والبحث الأدبي

دعــوة

إلى السادة الكتّاب الباحثين والمترجمين المحترمين:

تنوي مجلة "الآداب العالمية" أن تنشر ملفاً عن:

(الأدب الفرنسي المعاصر)

يرجى ممن يرغب المشاركة إرسال المواد مشفوعة بالأصل الأجنبي (في حال كانت المادة مترجمة) على البريد الإلكتروني:

awuworldliterature@gmail.com

شـرفات..

رئيس التحرير

بديـع صقّـور

"عدّاؤون فوق متن الرياح"

- ينابيع الحياة تجري.. قناديل السماء تسطع..

لك أن تروي ظمأك من أي نبع تشاء،

ولكن حاذر أن تلوث بقية الينابيع..

دعها تجري بسلام..

لا تلوّث بدخان حقدك بيت الأرض..

- أينما اتجهت فثمة هواء..

خذ حصتك، ودع ما تبقى لغيرك من هواء الكون..

* * *

ـ عصفورك السجين داخل قفصه المعلق على جدار بيتك.. كلَّ صباح يغني حريته.. إذا ما اجتمعت عصافير الغابة لتشاركه غناءه الحزين.. فلا تطلق عليها النار.

ـ تذودُ عن نعيم آخرتك بقتل الآخرين!. أية آخرة هذه التي ترتضيها لنفسك؟!

ـ ما من زهرة ترغب في أن يكون بحوزتها بندقية.. لماذا لا نكون كالأزهار، نمنح العطر والجمال، بدل من أن نكون سيوفاً مشرعة فوق رقاب العباد؟!

***

ابتسامة على ثغر نهار.. دمعة على خدٍّ جرح.. كلَّما امتلأت محاجر السحاب بالدموع تقترب من الأرض، لترخي حمولتها من الدموع كي تروي ظمأ الحقول والينابيع.. كلَّما داهمها العطش.

***

حينما يتوقف المطر، ويهاجر في البعيد، تشكو الينابيع تعب الجريان..
الأنهار تتوسل إلى الينابيع ألاَّ تنقطع عن زيارتها أبداً..

***

"ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل". بالأمس كان يحلم برغيف وابتسامة، ويستأنس بنجوم الليل، وهو يسري فوق دروبه سعياً وراء حلم

أكبر من نجم.. وحيداً تصحبه نجمة الصبح، صديقة القبرات وهمسات النسيم الشاردة.. واليوم يحلم بأن تتوقف الحرب، ويخبو صوت الرصاص، ويكفَّ القتلة عن رشق أبنائه بزخاته الفاجرة، وتدمير بيته بالعبوات الناسفة.. وآه النابعة من قلبه المفجوح: إلى متى هذا الحطام؟! متى يعود ربيع الحبِّ إلى ربوع أهله وأرضه؟! متى سيكون ذلك الغد الذي يعود به إلى أسفاره العذبة، كي يملأ سلته بعناقيد المحبة؟!

ويعود مصحوباً بحراسة ضوء القمر، ووشوشة ناي تردد صداه الجبال.

حيث كان يحلم بربيع الحياة لا بربيع الموت..

***

لم يكن يريد الموت لأحد:

"أنا أبغض الموت اللئيم بغضي ضيوف مخاتل نصّابِ

ذئب ترصدني وفوق نيوبه دم أخوتي وأقاربي، وأصحابي"

"محمد مهدي الجواهري".. وكملايين الغرباء مات بعيداً عن أرضه العراق، فاحتضنته أرض الشام، وثوى في ترابها المقدس.. مات وهو يلهج باسمه:

"أنا العراق لساني قلبه، ودمي فراته"..

في مقبرة الغرباء، يرقد بسلام كبقية الأنبياء الصالحين، العابرين أرض الشام.

***

"تلمسني يداك لمسة خالدة، فيطفر قلبي الصغير".. لو بقيت حياً إلى اليوم أيها العزيز "طاغور" لكانت خناجر العصر هي التي ستلامس صدرك، من أجل ألاّ تعاود الكتابة عن الحبِّ الإنساني.. أبداً، لن يستطيعوا إطفاء قنديل أشعارك المعلق على سارية العالم.. هناك في "كلكتا" ينتظر طيفك عشاق السلام، في حديقة بيتك الزاهرة، لتضمهم بين ذراعيك وأنت تبتسم.

***

"أسأل كلَّ عابر من أنت؟ لعلي أعرف في شفة أحد العابرين، من أنا".. لو كنت قناصاً يا سيد "أوديب" وتقف على إحدى الزوايا، أو فوق برج عالٍ تتربص كذئب لتطلق النار على أي كان، دون أن تسأل: إلى أين يقصد في طريقه؟ إحضار طعام لأطفاله؟ أم زيارة أب وأم مريضين؟ صديق يشتاق لقاءه؟ موعد مع امرأة، كانت تنتظره في العشق القديم؟؟.

***

"لقد تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً فأنتصر" "غاندي".

كنت تسابق الريح في الحصول على خلاص وطنك من سجنه البغيض.. وكانت الريح تأتي إليك، فتوقظك كل صباح.. وسادتك الحجر والحبُّ، فتهتف معك أمام الجموع من شعبك: غداً تشرق الشمس.. غداً يبتسم الحور للمطر.. غداً نحطم سلاسل العبودية... غداً نطيّر عصفور الحرية، ونغرد معاً في سماء الوطن.

***

افتح كتاب روحك، واقرأ قصص الذبح القديم.. إنه الذبح المقدس، أسطورة كلِّ العصور.. التاريخ، نهر يفيض بالمذابح المقدسة، الأشبه بالأساطير الخارقة...

والآن، اغلق كتابك وأجبني: متى ينتصر الحق "العقل"؟ متى تسقط تلك الأساطير المتخمة عروقها بالدم والقتل والذبح المقدس؟ متى تسقط عبودية العقل؟ متى؟!

***

بين روحك والبحر مسافة من دمع.. بين ألق الحلم ورحلة التعب الطويلة، تتكسر الذكريات كغصن يانع.. هي الحرب، لا تحمل لنا سوى الفجائع والدموع والخراب.. هي الحرب، أشرعة ممزقة، وحطام في الأعماق.. هي الحرب، نعوش وأشلاء للعائدين من ميادينها الرجيمة.. إلى متى سنظلُّ نجذِّف في مراكبها؟ ماذا تبقَّى لنرويه لأطفالنا القادمين؟ عن الطفولة، والألعاب الجميلة، وأسفار "علي بابا"؟ متى سننصب الأراجيح للأطفال العائدين من مدارسهم، بدل المدافع والراجمات؟! كيف سنعوِّد آذانهم على سماع الموسيقا بدل أزيز الرصاص ودويّ الانفجارات؟

***

"الجسد ثوب للروح.. يصدأ الجسد والروح تبقى"..

لنقي قامات أرواحنا من الصدأ، ولنحافظ على ثيابها ما دامت تقينا بردَ الأيام والسنين، بإبعاد هذه القطعان من القتلة التي تمزق ثياب أرواحنا بالمدى والخناجر والحقد.

إلى متى ستظل أرواحنا العارية هذه تسعى للحصول على أثواب تقيها حرَّ الحروب البغيضة، وصقيع ظلامها الدامس الرجيم؟!

إلى متى هذه الفوضى العارمة ستظل تجتاح كالطاعون حقول أرواحنا الفقيرة والعارية؟! إلى متى؟ بأيدينا المباركة سنعيد حياكة أثواب زاهية وبهية، تليق بأرواح أطفالنا القادمين، وبأيدينا المباركة هذه نستطيع أن نزرع لهم حقول الوطن أشجاراً وسنابل محبة ووئام.

ملف العدد

ندوة

"دور الترجمة في التنمية الوطنية"

رسالة الترجمة

بمناسبة اليوم العالمي للترجمة

إلى المترجمات والمترجمين السوريين

إلى المترجمات والمترجمين العـــرب

إلى المترجمات والمترجمين في العالم

تتوجـه إليكـم مديريـة الترجمـة في وزارة الثقافـة في الجمهوريـة العربيـة السـورية وجمعيـة الترجمـة في اتحاد الكتاب العرب بخالص تهانيها ومباركتها بمناسبة اليوم العالمي للترجمة.

أيها الزملاء:

الترجمـة في مختلـف أجناسـها توحـد العـالم مـن خـلال تسـهيل التواصـل بـين النـاس في كل ميادين نشاطاتهم العملية والعلمية والأدبية والسياسية والفكرية وغيرها من ميادين النشاط الإنساني.

إن الترجمـة تقـدم للنـاس حيثمـا كانـوا القـدرة علـى تبـادل المعرفـة والخـبرات والتجـارب والأفـكار. لقد فتح المترجمون العالم كله على مصاريعه لنا جميعاً.

انطلاقـاً مـن هـذه الحقيقـة الواقعيـة، ينـاشـد المترجمـون السـوريون، الذيـن يعانـون منـذ سـنوات مـن ويـلات حـرب إرهابيـة تشـنها وتشـجعها وتموِّلهـا قـوى دوليـة وإقليميـة، زملاءهـم في كل أنحـاء العـالم أن يدينـوا الحـرب العدوانيـة الإرهابيـة علـى بلدهـم، ويدعـوا إلى رفـع العقوبـات الاقتصاديـة والماليـة عن الدولة السورية.

أيها الزملاء المترجمون:

إن تـراث سـورية مفتـاح فهـم العـالم. إن تدمـيره وسـرقته جريمـة في حـق الإنسـانية. والمترجمـون العاملـون علـى فـكّ ألغـاز تاريـخ تطـور البشـر، ورسـم خريطـة واضحـة المعـالم لتطـور الإنسـانية وسـيرورته مـن البدايـات الأولى إلى وقتنـا الحاضـر، مطالبـون برفـع الصـوت عاليـاً ضـد العـدوان علـى سورية، والتضامن معها في الحرب على الهمجية المعاصرة.

دمتم حملة لواء التفاهم والتعاون والسلام في العالم

د. ثائـر زيـن الـدين

دور الترجمة في النهوض الحضاري والتنمية ومد جسور التواصل الثقافي

لـو تمعنـا في التاريـخ لأدركنـا أن الترجمـة تـؤدي دوراً كبـيراً في تشـكيل وتطويـر العلاقـات الثقافيـة بـين الأمـم. موضوعـات الأدب تصبـح أكثـر تنوعـاً وثـراءً عـبر الترجمـة. اللغـة نفسـها تتسـع وتصبـح أغنـى وأعمـق. نحــن نتعــرّف إلى نمــط حيــاة الشـعوب الأخـرى. ثقافتهـا. عاداتهـا. تقاليدهـا. تاريخهـا. أدبهـا بالإضافـة إلى علومهـا المختلفـة بفضـل الترجمـة. وبصـورةٍ مماثلـة ومنطقيّـة فـإن شـعوب العـالم الغربـي علـى سـبيل المثـال ومـن خـلال ترجمـة أدب الشـرق وعلومـه اسـتطاعت أن تحصـل علـى شـواهد تميّـز حيـاة الشـرق الروحيّـة والاجتماعيّـة وتدفـع بصـورة مـا عجلـة التنميـةِ في هذا المجال أو ذاك.

وقد أثبتَ تاريخُ الشعوبِ جميعها أنّها في مراحِلِ نهوضِها وحاجتها لتحقيقِ مختلف ضروب التنمية، وانطلاقِها لبناء حضارتها تكون أحوج ما تكون إلى ترجمةِ آثار الأمم الأخرى وإنجازاتِها في مختلفِ وجوهِ المعرفة، ولا بأس من أن نعودَ قليلاً على عُجالةٍ إلى تاريخنا نحن العرب لإثباتِ ذلك.

يرى الباحثونَ أنّ حالَ اللغةِ العربية وآدابها قد تغيّرت في العصر الأموي عمّا كانت عليهِ في الجاهلي، فرقّت الأساليبُ وقَلَّ التنافرُ والوحشي، واتسعت أغراضُ الشعرِ بخاصة وكثرتْ مع اتساع مطالب الحياة الجديدة؛ ولا غروَ في ذلك فقد تغيّرت حياةُ العرب؛ السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة؛ بفعلِ فتوحاتِهم ومغازيهم ووقوفِهم على إنجازاتِ مدنياتٍ مُجاورةٍ كانت ذات حظٍ من العلم والمعرفة، ومن ذلك على سبيل المثال ما قامَ بهِ خالدُ بن يزيد بن مُعاوية حكيمُ آلِ مروان، فقد أحضرَ جماعةً من فلاسفةِ اليونانيين – كما يذكرُ ابن النديم صاحبُ الفهرست – ممن كان ينزلُ مدينةَ مصر وقد تفصحَ بالعربيّة، وأمرهم بنقلِ الكتب في الصنعة من اللسانِ اليوناني والقبطي إلى العربي. ثُمَّ نقل الديوان وكان باللغة الفارسيّة إلى العربيّة أيامَ الحجّاج وقد نقلهُ صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم، وفي الشام كان الديوان بالروميّة وقد نُقِلَ إلى العربيةِ زمنَ هشام بن عبد الملك ونقلهُ أبو ثابت سليمان بن سعد.

ولنا أن نتخيلّ أهميّة مثل هذا الأمر على شؤون الدولةِ وسجلاّتها ومراسلاتِها واقتصادها وما إلى ذلك. ولكن الوثبة العالية في حركةِ الترجمة والنقل عند العرب كانت في العصر العباسي وجاءت على ثلاثةِ أدوار(1) **أوّلها** من خلافةِ أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أي من سنة 136 هـ إلى سنة 193هـ وقد اشتغلتْ في هذا الدور الطبقة الأولى من المترجمين نذكر منهم: يحيى بن البطريق، وجرجيس بن جبرائيل الطبيب

عاش سنة 148هـ، وعبد الله بن المقفعّ الذي قتل نحو 143هـ، ويوحنًّا بن ماسويه، وسلاّم الأبرش وغيرهم.

والدور الثاني: وهو الأوسع والأغزر يبدأ من ولاية المأمون سنة 198هـ إلى 300هـ، وتنهضُ بمهمة الترجمة في هذا الدور الطبقةُ الثانية من المترجمين ومنهم: يوحنّا البطريق، الحجاج بن مطر الذي عاش سنة 214هـ، وقسطا بن لوقا البعلبكي، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق، وابنه إسحاق بن حنين، وثابت بن قُرَّة الصابي. وحبيش بن الحسن(حبيش الأعسم)، وقد ترجم هؤلاء وغيرهم عشرات الكتب المهمّة؛ منها كتب أبقراط وجالينوس وأرسطو طاليس وأفلاطون.

ويبدأُ **الدور الثالث** من سنة 300 هـ إلى منتصف القرن الرابع ومن مترجمي الطبقة الثالثة: متى بن يونس، الذي كان في بغداد بين عامي 320 هـ – 330 هـ، وسنان بن ثابت بن قُرّة المتوفى سنة 360هـ، ويحيى بن عدي وعيسى بن سهربخت وهلال بن هلال الحمصي، وأبو علي بن زرعة.

والجميل أن الترجمة في الأدوار الثلاثةِ السابقة لم تكن عن لغةٍ واحدة بل تم نقلُ عيون الكتب عن اليونانيّةِ والفارسيّة والهنديّة والقبطيّة واللاتينيّة والنبطية والسريانيّة والعبريّة.

لقد نقل المترجمون الرائعون عن اليونانيّة مثلاً كثيراً من كتب الفلسفة والأدب منها عديد من كتب أفلاطون "السياسة – المناسبات – النواميس – طيماوس – كتاب أفلاطن إلى أقرطن التوحيد – الحس واللذة – أصول الهندسة" وقد ترجمها على التسلسل "حنين بن إسحاق – يحيى بن عدي - حنين ويحيى – ابن البطريق وأصلحهُ حنين – يحيى بن عدي – يحيى – يحيى – قسطة بن لوقا" ونقلت كتب أرسطوطاليس ومنها "قاطيغورياس (المقولات): حنين بن إسحاق – كتاب العبارة: نقله حنين إلى

السريانية وإسحاق إلى العربية – تحليل القياس: ثيادروس وأصلحه حنين - كتاب البرهان: إسحاق إلى السريانية ومتى إلى العربية - الخطابة: إسحاق وإبراهيم بن عبد اللّه – كتاب الشعر: أبو بشر من السريانية إلى العربية – كتاب النفس – كتاب الحس والمحسوس – كتاب الحيوان – كتاب الأخلاق – وغيرها الكثير..

كما نقل المترجمون كتباً في الطب وفروعهِ منها كتب أبوقراط: "الفصول- الكسر – مقدمة المعرفة – الأمراض الحادة – أبيذيميا – الأخلاط – الماء والهواء – طبيعة الإنسان...)

ونقلت معظم كتب جالينوس وكان الفضل في ذلك لحبيش الأعسم وحنين وأصطفان وغيرهم ومن هذه الكتب: "التشريح الكبير- اختلاف التشريح – تشريح الحيوان الحي – تشريح الحيوان الميت – علم أبقراط بالتشريح – الحاجة إلى النبض – علوم أرسطو – تشريح الرحم – آراء أبقراط وأفلاطون – العادات – خصب البدن – المني – منافع الأعضاء – تركيب الأدوية – الرياضة بالكرة الكبيرة – الرياضة بالكرة الصغيرة – الحث على تعليم الطب- قوى النفس ومزاج البدن" وكلها ترجمها حبيش الأعسم، وترجم آخرون أعمالاً كثيرةً له بلغت حوالي خمسين كتاباً (1)

وترجمت في الرياضيّات والنجوم والهندسة والموسيقى والميكانيك كتب كثيرة منها لإقليدس وأرخميدس، وأبلونيوس، ومنالاوس، وبطليموس القلوذي، وأبرخس، وذيوفنطس وفيثاغورس، ومورطس وغيرهم.

وهناك عشرات الكتب عن الفارسيّة وعلى رأسها ما ترجمه ابن المقفّع، والتي مازال بعضها بين أيدينا ، وبعضها لعب دوراً مهماً جداً في

النهضة الأدبيّة في أوروبّا بعد أن ترجم إلى لغاتها عن العربيّة، من هذه الأعمال:

(كليلة ودمنة – الأدب الكبير – الأدب الصغير – اليتيمة – التاج في سيرة أنو شروان – مزدك) وغيرها الكثير.. وكي لا نطيل في استعراض الأعمال العظيمة التي نقلها هؤلاء المترجمون نكتفي بما ذكرناه (2)

والحقيقة أنه بفضل هذا الجهد الكبير وغيرِه بلغت الدولةُ العباسيّة وعصرُ المأمون بخاصة مبلغاً كبيراً من التقدم الحضاري، أرقى بمراحل مديدة من حالة أوروبّا وملوكها وممالكها، يقول الدكتور "طوطح"(3) في رسالته الإنكليزيّة عن حالة التعليم عند العرب: "إنه بينما كان شارلمان يتعلّم القراءة مكبّاً على مطالعة رسائله مع أترابه في مدرسة القصر، كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشة أقضيتها هناك في بغداد".

ولقد كان لحركة النقل والترجمة هذه أفضال كثيرة على زيادة الثروة اللفظيّة في اللغة العربية في الميادين كافةً، فهل كان لدينا في الجاهليّة أو صدر الإسلام ذلك التراث العظيم من الألفاظ الطبّيّة والمصطلحات وأسماء الأدويّة والأمراض والجراحة... أو تلك الألفاظ الهندسيّة والريّاضيّة والاقتصاديّة وسواها، كما كان لحركة النقل تأثيرها على السمو بالعقليّة العربيّة عموماً وبالمدنيّة العربيّة.

وحين نذكر عصر الانبعاث في أوروبا لابد أن نتذكرَّ مجموعة من أسماء عظماء علماء الشرق – محمّد الخوارزمي، أحمد الفرغاني، أبو نصر الفارابي، ابن سينا، أبو ريحان البيروني، ابن رشد، وغيرهم الكثير.

لقد انتشرت كتب المفكرين الشرقيين انتشاراً واسعاً، وشغلت أماكن مهمّة جداً في البرامج التعليميّة للجامعات والمعاهد الغربية وصنعت قاعدة لتطوّر العلوم في تلك الدول مثل إسبانيا وفرنسا، وإيطاليا وبريطانيا.

إن مجموعة من الأعمال الإبداعيّة الشهيرة مثل "ألف ليلة وليلة" و"سندباد" و"كليلة ودمنة" وغيرها مما يجسّد الفلسفة الشرقيّة نالت بفضل الترجمة مجداً عالمياً. ويلاحظُ المستشرقون الإنكليز التأثير الإبداعي المثمر للأدب العربي، والفارسي، والهندي والتركي على الأدب الإنكليزي.

إن قصائد وأشعار الحب الحُر المتشّربة بروحٍ سامية، التي مزجت ما بين روح الشرق والغرب وقدمها مبدعون مثل: ج. بايرون، ت. مور، أ.تينّسون، ف. تيككيرا، ر.ساوتين بلغت أوجَ الشهرة والمجد. وأصبحَ مبدعوها أصحابَ اتجاهٍ أدبيٍ جديد – "الطريقةُ الشرقيّة".

إن مايكل سكوت الذي عاش في القرن الثالث عشر، واتّبَعَ الترجمة المتسلسلة، بحيث ترجَمَ عن العربيّة إلى الإنكليزيّة عشرات الأعمال العلميّة والأدبيّة، ومنها أعمال لـ ابن سينا، وابن رشد جعَلَ من تلكَ الأعمال مؤثراً بارزاً على الفلاسفة الإنكليز الشباب، وقد كان من المعجبين المتحمسين للثقافة الشرقية نخبة من الفلاسفة المشهورين مثل ر. بيكون، والشعراء من أمثال ج. تشوسير وليدغيت وغيرهما.

والحقيقة أن مجموعة من علوم العرب أثرت بصورة جليّة على نهضة الحضارة الأوروبيّة وكان ذلك بعد أن ترجم أولئك الأوربيون نتاج العلماء العرب والمسلمين. يقول المستشرق الألماني البروفيسور هارتموت أوتو بوبتسين في سياق حديثه عن ذلك: "أعتقد أن الفلسفة تأتي في المقام الأول، وبخاصة فلسفة ابن رشد، لأن الأوربيين تعرفوا على هذه الفلسفة في الأندلس، وكان لابن رشد تأثير كبير في تطوّر الفلسفة المسيحيّة في النصف الثاني من القرون الوسطى. ثم يأتي الطب في المرتبة الثانية؛ فقد كان لكتاب ابن سينا "القانون في الطب" الذي ترجم إلى اللاتينيّة تأثير مباشر على الطب الأوروبي، وعن طريقه أعادت أوروبا اكتشاف جالينوس

(الذي توفي نحو200 م) وكان يعد أهم طبيب في العصر القديم"(4) ويؤكد هارتموت إن ترجمات العرب لكتب جالينوس هي التي حمتها من الموت وعرّفت أوروبا إليها ، ويضيف أن للأطباء العرب بصمات واضحة على مسار الطب الأوربي وتدريسه في الجامعات الأوروبيّة التي بقي بعضها يدرّس الكتب العربيّة حتى منتصف القرن السابع عشر كجامعة هربون herborn على سبيل المثال. ويذكر هارتموت أن علم الفلك يأتي في المرتبة الثالثة بين العلوم العربيّة وما ترجم عن العربيّة ـ ولاسيما إلى اللاتينيّة ـ وأدى دوراً لا ينسى في النهضة الأوروبيّة.

وأشار علماءٌ غربيون أنّهُ في الزمنِ الذي ظَهرتْ فيه في أوروبّا تياراتٌ من الاضطهاد والعنف، وكانت مبنية على أساس رفض الحياة الإنسانية، في مرحلة التجديد، لعبت إبداعاتُ وأعمال مبدعين ومفكرين شرقيين مشبعة بفكرةِ كمال الإنسانِ وخلودهِ دور الدافع لتكوينِ أو بناءِ فكرة عن أنَّ الإنسانَ إنما هو – زهرة، وهو هدفُ بناء العالم أو وجود العالم.

إننا بدراسة تاريخ الروابط الثقافية المتبادلة بين الشرقِ والغرب نصبحُ شاهدين على المقدار الكبير لدور الترجمة في التعاون الثقافي بين الأمم والقوميات.

وكان شيخ المستشرقين الفرنسيين **سلفستر دي ساسي** (1758-1838)، بل مؤسس الاستشراق الفرنسي الذي كان ضليعاً بمعرفةِ العربيّة وإتقانِها قد ترجَمَ عديداً من الكتب التراثية العربيّة إلى الفرنسيّة مِنها كتابُ "حياة الحيوان الكبرى" لكمال الدين الدميري، و"مقامات الحريري" و"حياة المتصوفّة" و"كليلة ودمنة"، كما ترجم الإنجيل إلى السريانيّة والعربيّة، وترجمَ إلى الفرنسية أيضاً "فريد الدين العطار" و"أحمد بن علي المقريزي"، وقد اقترحَ هذا المستعرب بعد احتلال نابليون مصر

تأسيس الجمعيّة الآسيويّة، التي راحت تصدرُ "المجلة الآسيويّة" في عام 1822... ولنا أن نتخيل الدور الكبير لمثل هذا المستعرب والمترجم في مد جسور العلاقات الثقافيّة بين أمتين مختلفتين (العربية والفرنسيّة) ومثله كثير في تاريخ الاستشراق الفرنسي. ممّن لا نستطيع إلا أن نستذكر أسماءَهم حين نذكر الاستشراق الفرنسي، ومن هؤلاء **لوي ماسنيون** ـ (1883 ـ 1962) الذي قَدّمَ من الجهود العظيمة في هذا الباب "ما جَعَلَ الأوروبيين يفهمونَ العلاقة الموجودة بين الديانتين الإسلامية والمسيحيّة، إذْ تمكن من شرح هذهِ العلاقة من خلالِ الرجوع إلى المنابع، التي رآها في إبراهيم كنموذجٍ للتوحيد. لقد دمَجَ ماسنيون بين الروح المسيحيّة والروح الإسلاميّة، وقارنَ بين الديانتين بكل حُبٍّ وإيمان..."(5) واستطاعَ فعلاً من خلالِ دراستِهِ للتصوف وللحلاّج وإصدارِهِ عديداً من الكتب عنه "عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية 1909" و"كتاب العّطار عن الحلاج 1946" و"أخبار الحلاّج 1975"، أن ينصف جوانب عديدة في التراث العربي الإسلامي، لقد رأى أن الغربَ الحالي يفتقد إلى البعد الروحي في حين أن الشرق الإسلامي طافح به ولهذا اتجَهَ نحوه ودرسَ التصوّف الإسلامي – ولاسيما بعدهُ النفسي – بعمق.

ومن هؤلاء أيضاً **ايتين مارك كاترمير** (1782 – 1856) الذي اهتَمّ كثيراً بمخطوط "خطط المقريزي" ولفتَ الانتباه إليه وهو الذي يُعد أقدم كتاب متخصص في التاريخ العمراني، وفيه يقول كارتمير: "إنه لا توجد من مدينة شرقيّة يمكن أن تفخر بمؤلف يبلغ مرتبة الخطط" من حيث الاكتمال والطرافة كما هو الحال مع القاهرة(6)، ولقد ترجم هذا المستعرب إلى الفرنسيّة عديداً من الأعمال منها "السلوك لمعرفة الدول والملوك للمقريزي" و"تاريخ السلاطين المملوكين في مصر" "وتاريخ المغول في

بلاد فارس". ومن أهم ما قام بترجمته إلى الفرنسية هو "مقدمة ابن خلدون" في ثلاثة مجلدات، ونشر الكتاب عام 1858، بعد وفاته بعام. وقد بقيت هذه الترجمة واحدة من أهم المصادر للباحثين الغربيين. وهو بترجمته "خطط المقريزي" و"مقدمة ابن خلدون" قدّم للحضارة الغربيّة "شريانيين هامين في نهضتها هما: العمران وعلم الاجتماع، اللذين أبدع فيهما العرب، وسبقوا الأمم الأخرى...."(7).

ولا يمكننا في هذا السياق أن ننسى دور مستشرق ومترجم مثل **ريجيس بلاشير** (1900 ـ 1973)، هذا المستشرق الذي أغرم بشاعر العربية العظيم أبي الطيب المتنبي ووضع فيه أطروحة دكتوراه حملت عنوان "ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين" كما ترجم إلى الفرنسيّة مجموعة من أعمال كبار شعراء العرب كامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والخنساء، والمعرّي وبشار بن برد وقد قام أيضاً بترجمة "معاني القرآن الكريم" عام 1949، مع أنه كان قد ترجم إلى الفرنسيّة منذ منتصف القرن السابع عشر ومنه نقل إلى الانكليزيّة والهولندية، لكن ما ميّز ترجمته أنّه قدم ترجمة إبداعيّة (8) وأرفقها بتفسيراتٍ وشروحات ضروريّة للقارئ الأوروبي.

وكي لا نغفل مسألة ترجمة الآثار العربيّة إلى الشرق لا بد لنا من ذكر نخبة من كبار المستعربين الروس الذين نقلوا مئات الأعمال العربيّة الإسلامية إلى الروسية كان من أولها ترجمة الدكتور **بيوتر بوستيكوف** للقرآن الكريم عام (1716) عن الفرنسيّة بالطبع، أيام بطرس الأكبر الذي اهتم بصورة خاصة بالشرق وتراثه، بالإسلام تحديداً لأنه رأى فيه فلسفة ومنهاجاً يسير على ضوئهما رجال الحكم في المناطق الإسلامية وربما لهذا السبب عيّن الأمير الملدافي الأصل **كانتمير** (1673 - 1723)،

الاختصاصي في قضايا الشرق الإسلامي مستشاراً له في قضايا الشرق وهو من أدخل إلى روسيّا أول مطبعة ذات حروف عربيّة، وبوساطتها تمكن القيصر من طباعة أول بيان روسي موجّه إلى المناطق الواقعة تحت السلطة العثمانيّة، والمستشرق كانتيمير كان من أوائل المستشرقين الروس الذين أعطوا صورة موضوعيّة عن الشرق والإسلام، ففي بحثه المكتوب باللاتينية تحت عنوان "De religion etstatu imprii" والذي ترجمه إلى الروسيّة **أليندسكي**، قام المؤلف بإعطاء صورة علميّة سلّطت الضوء على ظروف النشأة التاريخيّة لمحمّد(ص)، وبعدها يتناول كيف أن الأتراك حاولوا توظيف الإسلام لمآربهم السياسيّة الخاصة(9) ومن هنا يرى الكثيرون انطلاق الاستشراق الروسي والذي تمثّل بخطوات عمليّة كان لها دورها الكبير لاحقاً ومنها "تحضير كوادر روسيّة اختصاصيّة في الشرق وتأسيس مدارس ومعاهد لتعليم اللغات الشرقيّة، ولدراسة الحضارات الشرقيّة، وجمع المخطوطات والمسكوكات والآثار الشرقيّة في أماكن مخصصة لها، وترجمة الأدبيات الأوربيّة عن الشرق، وبداية تحقيق المخطوطات الشرقيّة"(10)

ويزداد الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية في مرحلة القيصرة كاترينا التي تصدر قراراً بتاريخ 27 أيلول 1772 يقضي بإلزاميّة تعليم اللغة العربية في المدارس المختصّة بتعليم اللغات الشرقيّة إلى جانب التتريّة والفارسيّة والبخاريّة.

وسيزداد اهتمام الروس أدبيّاً وعلميّاً بالثقافة العربية بعد ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" بين أعوام (1763 – 1771)حيث طبع بعد ذلك عديداً من المرات (1776- 1789 – 1796- 1803) فأحدث ضجّة كبيرة في الأوساط الثقافية الروسيّة، وأثر بصورةٍ واضحة على إبداع عديدٍ من

الأدباء الروس، الذين نسجوا حوله مئات من القصص والأعمال وكل ذلك بسبب ما فيه من خيالٍ رائع غنيٍ، جاء بدلاً لتلكَ الينابع الكلاسيكيّة التقليدية التي كان الغربُ قد ملّها!

ثم قام أدباء روس بترجمة قصص وحكايات شرقيّة وعربيّة أخرى ونوادر ولاسيما عن الفرنسيّة في ذلك الوقت منها: "طرائف آسيويّة"، "حكايات شرقيّة" وقد تعمّق هذا الاهتمام لاحقاً بإنشاء مدرسة استشراقيّة روسيّة مستقلّة في جامعة خاركوف (1804)م وتبعها التحاق باحثين ومستشرقين في مدينة روسيّة أخرى مثل قازان وبعدها موسكو ثم بطرسبورغ بركب الاستشراق.

ففي موسكو بدأ البروفيسور الروسي **بلديريف** (1780-1842)بتدريس العربية في جامعة موسكو، وقد أصدر كتباً بالعربية في جامعة موسكو، ومنها كتبٌ في "النحو والصرف"، "وكان لبلديريف وتلامذته فضل كبير في ترجمة قصص وحكم شرقيّة نشرت في المجلات الروسيّة، ومن تلامذته **كاركونوف** (1806- 1858)الذي ترجم قصائد للنابغة الذبياني، وقد أسهم بلديريف في تعريف الأدباء الروس الكبار من أمثال ليرمنتوف وغونشيرييف إلى آداب العرب وحضارتهم، وترك عدداً من القصائد والقصص عن الشرق العربي عكست حبّه وتعلّقه بالأدب العربي"(11)

ولا تنتهي قائمة المستشرقين- المستعربين الروس التي تجعلنا ننحني احتراماً لجهود أصحابها في نقل الثقافة العربية والإسلاميّة إلى جمهور واسعٍ من الشعب الروسي والناطقين بالروسيّة وتوضيح صورة هذهِ الثقافة، الصورة الحقيقيّة غير المملوكة بتصوّرات الفكر الاستشراقي المركزي الأوربيّ المؤمن بـ "رقي الغرب" و"دونيّة الشرق"، ومن هؤلاء المستشرقين

الكبار الذين ترجموا وحققوا مئات الأعمال العربيّة: **فرين** مؤسس المتحف الآسيوي والمشرف عليه حتى مماته (1851)، وواضع دراسة مهمة عن "ابن فضلان" – 1823، **سنكوفسكي** الذي أصدر "قصص شرقيّة" و"مذكراتي عن سوريا" وحرّر مع تلامذتهِ "القاموس الموسوعي – الذي صدرَ في بطرسبورغ 1835- 1841" وأشادَ بأعمالِهِ بوشكين وكلوهيريرغ وتشرينشيفسكي، والحقيقة أنّه بفضل كلٍ من **سنكوفسكي وفرين** ازدادَ اهتمام المثقفين والمبدعين الروس بالثقافةِ العربيّة والإسلاميّة عموماً فرأينا شاعراً بأهميةِ **بوشكين** يغوصُ عميقاً في الثقافة العربيّة، ويتأثّر بالعديد من أعمالها الأدبيّة والفكريّة وسواها، ومن ذلك تأثّره بـ "ألف ليلة وليلة" الذي بدا جلياً في قصائدِهِ (روسلان ولودميلا – ليالٍ مصريّة – أندجيلو- القمر يتألق - التعويذة"(12). ومن ذلك أيضاً تأثّره بالقرآن الكريم والسيرة النبويّة حيثُ بدا الأمرُ واضحاً في عديدٍ من النصوص أهمهّا "الرسول" أو "النبي" (13) التي كتبت عام 1826، و"قبسات من القرآن 1824" وتضم تسعَ قصائد، والتي قالَ فيها شيخ النقاد الروس بيلنسكي "إنها ماس يتألق في إكليلٍ من أشعار بوشكين"(14)

وقد تابَعَ أيضاً الشاعر والكاتب الكبير **تورغينييف** ما تُرجَمَ من شعرٍ ونثرٍ عربيين إلى الروسيّة وربّما إلى الإنكليزيّة أيضاً، وكتبَ قصائد مهمّة عن فلسطين وجبال لبنان. ويجمع الدارسون أن ظلالاً ثقافية جميلة ألقتها الثقافة العربيّة على إبداع نخبة من كبار الكتاب الروس مثل: ميخائيل ليرمنتوف (1814 – 1841)، الذي انتجَ عديداً من القصائد يظهر فيها بجلاء تأثير الثقافة العربيّة الإسلامية والقرآن الكريم والسيرة النبويّة ومنها: "فاليريك – 1840" و"الشركسي – 1828" و"هبات التركي - 1839" و"ثلاث نخلات – 1839"، و"الرسول – 1841" و"قبسات من القرآن"(15).

وليف تولستوي (أحاديث مأثورة لمحمّد 1910- وغيرها)، وإيفان بونين الذي طاف معظم البلدان العربية سائحاً وخبرَ بنفسه حياة الشرق العربي في زمنه وكتبَ ما سمّاه الناقد السوفيتيي تارتاكوفسيكي "المجموعة العربية"، وهي قصائد مثل (محمد مطارداً 1906 – زينب – البدوي – القاهرة – معبد الشمس – امرؤ القيس وغيرها).

ويقتضي مِنا الإنصافُ أن نذكَرَ كما أسلفت نخبةً من المستشرقين الذين أنفقوا حياتهم في البحث في أغوار الثقافةِ العربية ونقل الكثير من دررها إلى الروسيّة ومن هؤلاء: **موفالينسكي (1808 – 1877)**، **كاظم بيك**، **بيريزيف** (818 - 1896)، **مورافييف**، **بازيلي**، **هو السون**، **غريغورييف**، **عبد الله كلزي**، **نافرتسكي**، **جرجس** الذي عَرّف القارئ الروسي إلى كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصبهاني، وقد نشر بعد وفاة الباحث عام 1900، **رازين** (1849- 1908)، **بارتولد** (1869- 1930)، **كازادييف**، غ.أ. **مرقس**

(1846 – 1911) الذي ترجَمَ معلقةَ امرئ القيس إلى الروسيّة عام 1900، وكتبَ دراسةً لغويةً تاريخيّة عن "فن الخطابة عند الخليفة علي" كما ترجَمَ أعمالاً عديدة منها المخطوطة التي غطّت الرحلة التي قام به المؤرخ والرحالة العربي مكاريوس الحلبي إلى موسكو، في عهد الأمير ألكسي ميخالونيتش وقد انتهى من الترجمة عام 1900 ونشرت في خمسة مجلدات وقرابة الألف صفحة، **كريمسكي** (1871 – 1941)، **خاليدوف**، **غاتفيلد** الذي ترجم المعلقات السبع، أشعار عمر الخيام 1863، **سابلوكوف** (1804- 1880)، **ماشانوف**، **بندلي الجوزي**(1871- 1934) وفي المرحلة السوفييتيّة يمكن أن نذكر:

"م. ساليه، مار، كوزمين، إيرليخ، إبرام، مدينكوف، كريمسكي، يوشانوف، باراتوف، كاشتالوف، بيليياف، سميدت،

لوتسكي، **والأكاديمي الكبير كراتشكوفسكي**" الذي كتبَ نحو ستمئة دراسة علميّة حول تاريخ ونظرية الآداب العربيّة في القرون الوسطى وفي المرحلة المعاصرة، وحققَ مخطوطات عربية كثيرة منها مخطوطات عن الشعراء: الوأواء الدمشقي وابن المعتز وأبي العلاء المعري، وتحت إشرافهِ صدرت الطبعة الأولى الكاملة لكتاب "ألف ليلة وليلة"(16) وهو الذي ترجِمَ إلى الروسيّة "كليلة ودمنة" وقصة سبأ، والعصر الصفدي في تركستان في القرن العاشر، ولهُ أيضاً "تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب" الذي أصدرته الجامعة العربيّة عام 1963 وكتاب "تاريخ الأدب العربي" و"مع المخطوطات العربية"، وقد توّج تلك الأعمال بترجمتِهِ للقرآن عن العربيّة مباشرةً حيثُ نشرت هذه الترجمة في موسكو عام 1963.

ولعلَّ ما ميّزَ المستعرب المبدع **كراتشكوفسكي** من كثيرين سبقوه أو عاصروه هو إلمامُهُ الواسع بالأدب الجاهلي، والأدب العربي الإسلامي والأدب العربي الحديث والمعاصر، ولقد كان من أشد المدافعين عن جمال البيان العربي وعن دور الأدب العربي وتأثيره في الحضارة الأوروبيّة مروراً طبعاً بالأندلس، ولقد أبرز ما للشعر الأندلسي من تقاليد شرقيّة أصيلة، وتوقّف ملياً عند الشاعر العربي الأندلسي ابن قزمان ودوره في الشعر الشعبي الأندلسي والأوروبي.

ويقول كراتشكوفسكي عن الشعر العربي القديم: "بلغَ في العصرين الجاهلي والعباسي ذروة الكمال الشعري سواء من حيث لغته وأوزانه وأغراضه أم من حيث سبكه وتعدّد مواضيعه. ويعد بعض علماء اللغة هذا الإبداع الشعري ذروة الخلق اللغوي عند الشعوب الساميّة؛ وقولهم هذا يبّرره ما في ذلك الشعر من غنى في المفردات وجمال في الصنعة وسهولة في التركيب"(17).

وكل هذا يجعلنا نستنتج أن أولئك المترجمين/ المستشرقين الروس قد أدوا دوراً كبيراً في التنمية الثقافيّة والأدبيّة في بلادهم عبر نقل هذه الآثار العربيّة إلى الروسيّة.

وكي لا نبدو متحيّزين للمستشرقين – المترجمين الفرنسيين والروس لا بُدّ لنا من أن نشير إلى أن لنظرائهم الألمان دوراً غير قليل في تعريف الناطقين بالألمانية بثقافة الشرقيين وعلى رأسهم العرب؛ فقد بدأت الجامعات الألمانيّة بتدريس اللغة العربيّة في القرن السادس عشر، وارتبطت البدايات بدراسة اللاهوت، وبرزَ اسم **يوهان رايسكه** (1716- 1774) الذي كان أوّل من حاولَ تدريس اللغة العربيّة كمادة مستقلّة عن اللغاتِ الساميّه الباقيّة، فاهتمَ بدراسة الأدب العربي والأمثال العربيّة، وترجَمَ بعضاً من قصائد أبي الطيب المتنبي إلى الألمانية لكن الدراسات العربيّة بالمعنى العميق للكلمة لم تبدأ إلا مع المستشرقين: **فيلهلم فرايتاغ** (1788 – 1861) في مدينة بون، **وهايزيش فلايشر** (1801 – 1888) في مدينة لايبزغ وكانا قد تتلمذا على يدي دي ساسي الفرنسي. وسيقوم فلايشر بتدريب نخبة من المستشرقين الألمان الكبار فيما بعد من أمثال **نولدكه وغولدتسهير ويعقوب بارت وأوغست مولرو**... الخ، وفي هذا السياق لا بُدّ من ذكر المستشرق الكبير **فرديناند فوستفلد** (1808 – 1899) الذي كرّسَ تدريس العربيّة وإحياء تراثها(18) في مدينة غوتنغن، وحقّقَ الكثير من كتب التراث العربي ونصوصه اللغويّة والأدبيّة كـ "عجائب البلاد" للقزويني، "وسيرة ابن هشام" و"وفيّات الأعيان" لابن خالكان و"كتاب المعارف" لابن قتيبة و"الاشتقاق" لابن دريد و"معجم البلدان" لياقوت الحموي و"معجم ما استعجم" للبكري وغيرها الكثير.

وتطولُ قافلةُ المستشرقين الألمان المتخصصين بشؤون اللغة العربيّة فنذكر منهم في القرن العشرين **كارل بروكلمان، وأغست فيشر**،

وجورج يعقوب، وركندوف، وليتمان، وبرجشتراسر، ويوهان فك، وغيرهم ولقد امتاز الاستشراق الألماني من غيره باهتمامِهِ بالأعمال اللغويّة والأدبيّة بالدرجة الأولى، وبأعمال التحقيق والدراسات النقديّة للتراث العربي، حيثُ "اشتُهِرَ بنشر كتب التراث العربي وبإصدار طبعات محققّة تحقيقاً علمياً مع إجراء دراسات نقديّة وفهرسة دقيقة وشاملة للكتاب" ويشير البروفسور هارتموت إلى وجود جوٍ علميٍّ متكامل في أوروبا – على حدِ تعبيرهِ – وتعاون وثيق بين العلماء والمستشرقين في الجامعات الأوروبية، ما سمحَ لعددٍ كبير من الأعمال التراثيّة الضخمة أن تصدرَ في ألمانيا، مثل "تاريخ الرسل والملوك" للطبري، و"طبقات ابن سعد"، و"دائرة المعارف الإسلاميّة" وغيرها....

ولا بدَّ لنا أخيراً من أن نذكر أن بعض المستشرقين المعاصرين تابعوا مسيرة أسلافهم ولكنهم توجهوا هذهِ المرة إلى الأدب العربي الحديث فترجموا أعمالاً لنجيب محفوظ وجمال الغيطاني وجبران خليل جبران، ومحمد شكري وغيرهم، وأصبحَ القارئ الألماني المهتم قادراً على الاطلاع على حال الأدب العربي الحديث، مع أن هذهِ الترجمات لم تكن وفق خطة مدروسة في عملية الترجمة، بل خضعت للانتقاء الشخصي والمزاج الخاص، ولذلك قد نجد أعمالاً أدبيّة ليست مهمة في وطنها، لكنها ترجمت لهذا السبب أو ذاك، وتعاني حالياً عمليات الترجمة من العربيّة إلى الألمانيّة صعوبات كثيرة: ليس أولها ضعفنا كـ عرب في تقديم صورة إيجابيّة للثقافة العربيّة المعاصرة تجعل الآخر مندفعاً أو مقبلاً نحونا، ولن يكون أخرها هروب بعض الكتاب العرب من لغتهم إلى الكتابة باللغات الحية واسعة الانتشار لأسبابٍ عديدة، وقلة عدد النسخ المطبوعة من أي كتاب عربي مترجم إلى الألمانية حيث لا يزيد العدد المذكور عن 3000 نسخة إلا حين يتعلق الأمر بطباعة عمل مثل "ألف ليلة وليلة" !!ويمكن الحديث طويلاً

عن المستشرقين الإسبان والطليان الذين قدّموا الكثير في مجال ترجمة الآثار العربيّة والإسلاميّة إلى لغاتهم، ولاسيّما أن هذين الشعبين كانا على علاقاتٍ دائمة مع العرب، علاقاتٍ متباينة ومختلفة، حكمتها عوامل كثيرة... ويمكن أن نقول مثلاً إن الدافع المعرفي والعلمي هو المحرّك الأول للاستشراق الإسباني، ويأتي بالمرتبة الثانية الدافع الديني... وأخيراً مهما كان دور الاستشراق والمستشرقين ومهما كانت الغايات القريبة أو البعيدة التي انطلقت منها مؤسساته، فإن ما قام به المترجمون من جهود جبّارة في نقل تراث الشرق عامة ً، وتراث العرب منه بخاصة إلى لغات العالم المختلفة قد أثمرت في تقديم صورة ٍ عن أهميّة هذا التراث، والقسط الكبير الذي اضطلع به منتجو تلك الثقافة في بناء صرح الحضارة الإنسانيّة، وفي مدّ الجسور بين شعوب الشرق وأمم الغرب، وبين ثقافة الشرق وحضاراته وثقافات الغرب وحضاراته؛و في تحقيق تنميةٍ علميّةٍ وثقافيّةٍ واقتصاديّة وصولاً إلى خلق حوار الحضارات والشراكة فيما بينهما عوضاً عن الصراع والصدام الذي بشر به الكثير من المفكرين الغربيين.....

هوامش:

1- لمزيد من التوسع انظر: "عصر المأمون" د. أحمد مزيد رفاعي، المجلد الأوّل، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، 1928، 379- 398.

2ـ نفسه، ص 384، 385.

3ـ يمكن العودة إلى المرجع السابق واستعراض بعض ما ترجم عن اللغات الأخرى التي ذكرناها. الصفحات (387- 397).

4ـ نفسه، ص 394.

5ـ الاستشراق الألماني إلى أين / حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي ص " 138.

6- د. شاكر نوري، جاذبية الاستشراق الفرنسي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، مايو 2011، ص 46.

7ـ نفسه، ص 28.

8ـ نفسه، ص30.

9ـ نفسه

10- د. سهيل فرح الحضارة الروسيّة وأسئلة الهويّة والآخر – العربي، دار علاء الدين، دمشق، 2010، ص 183

11- نفسه، ص 183

12ـ نفسه، ص 189.

13- د. مكارم الغمري، مؤثرات عربيّة وإسلامية في الأدب الروسي، سلسلة عالم المعرفة العدد 155، الكويت، نوفمبر 1991، ص 75- 76.

14- ترجمت هذهِ القصيدة أكثر من مَرّة وبعناوين مختلفين، ومن أهم الترجمات ترجمة الشاعر العراقي حسب الشيخ جعفر، بعنوان "النبي ".

15- انظر د. مكارم الغمري (سابق)، ص 114/ ف بيلنسكي، المؤلفات الكاملة، موسكو 1955، ج7، ص 353. وانظر أيضاً مالك صقور، بوشكين والقرآن، دار الحارث، دمشق، 2000

16- ف بيلنسكي، المؤلفات الكاملة، موسكو 1955، ج7، ص 353 / انظر د. مكارم الغمري (سابق)، ص 139 – 152

17- د. سهيل فرح، سابق، ص 224.

18- نقلاً عن د. سهيل فرح / سابق / ص 225.

19ـ الاستشراق الألماني إلى أين / حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي ص " 135 – 136 ".

دراســـات

د. جمال شحيّد

مساهمة كبار الكُتّاب في الترجمة

إذا استعرضنا كتب تاريخ الأدب. لوجدنا أن الكتّاب الذين عملوا في الترجمة هم عديدون وموجودون في معظم الثقافات. فابن المقفع مثلاً قد ترجم من الفارسية كتاب "كليلة ودمنة" للفيلسوف الهندي بيدبا؛ وشارل بودلير ترجم "مبدأ الشعر" لأدغار آلان بو وستيفان مالارميه ترجم له قصيدته الطويلة "الغراب". وبفضل هاتين الترجمتين صار الشاعر الأمريكي الرجيم معروفاً في فرنسا وأثّر في الحساسية الشعرية الجديدة التي أعقبت الرومانسية. وترجم مارسيل بروست معظم أعمال الناقد الفنّي الإنكليزي جون روسكين. وكذلك ترجم إيف بونفوا معظم مسرحيات شكسبير وعلق في بعض مقالاته على الطريقة الأنسب لترجمة المسرحي الإنكليزي العظيم. وترجم فرح أنطون عدداً من الكتب الأدبية الفرنسية مثل "بول وفيرجيني" و"الكوخ الهندي" لبرناردان دى سان بيير و"أتالا" لشاتوبريان.

وترجم خليل مطران عدداً من مسرحيات شكسبير. وكذلك ترجم طه حسين "**روح التربية**" لغوستاف لوبون و"**نظام الأثينيين**" لأرسطو ومجموعة من مسرحيات سوفوكليس و"**زاديغ**" لفولتير و"**أوديب ولسبوس**" لأندريه جيد. وترجم يوسف الخال "**نشيد الأنشاد**". وترجم جبرا ابراهيم جبرا لعدد كبير من الكتّاب الأوروبيين بينهم صاموئيل بيكيت ولافونتين وأوسكار وايلد وفولكنر، وتُعد ترجمته لسبع مسرحيات لشكسبير أجمل ترجمة في العربية. وترجم غسان كنفاني لتينسي ويليامز. وترجم إدوار الخراط أكثر من عشرة كتب أدبية منها "**الحرب والسلم**" لتولستوي ومسرحية "**أنتيغون**" و"**ميديا**" لجان أنوي و"**السرير المائدة**" لبول إيلوار و"**فارالاكو**" لأميل سيسيه و"**حوريات البحر**" لمجموعة من القصاصين الأمريكيين. وكذلك ترجم أدونيس ست مسرحيات لجورج شحادة ومسرحيتين لراسين، كما ترجم عدة دواوين لسان جون بيرس جمعت في جزئين ومجموعة مختارة من قصائد إيف بونفوا، وترجم إلى الفرنسية "**لزوميات**" أبي العلاء المعري وكتاب "**المواكب**" لجبران خليل جبران. وترجم ممدوح عدوان "**تقرير إلى غريكو**" لكازانتزاكي و"**الرحلة إلى الشرق**" لهيرمان هيسه و"**النار في المرَة القادمة**" لجيمس بالدوين و"**الالياذة**" لهوميروس... وكذلك ترجم الشاعر حافظ ابراهيم رواية "**البؤساء**" لفيكتور هوغو...

قصارى القول إن الكتّاب العرب الكبار لم يأنفوا من الترجمة كما يفعل صغار الكتبة الآن، ولم يبخسوها حقها في التنوير والتثقيف، لا بل عدّوها عملاً متمماً للكتابة. فاختاروا الأدباء الغربيين الذين أحبوهم وترجموا لهم أعمالاً ارتأوها ورأوا فيها فائدة للقارىء.

1- قرأوا قبل أن يترجموا :

تبدأ الترجمة بعملية القراءة. ولهذه العملية وجوه متعددة منوطة أولاً بالقارىء وثانياً بالنص المقروء. فتجنّد الحواس والملَكات أثناء القراءة، ويلعب البصر دوراً رئيسياً. إلا َ أن آليّة القراءة ليست خطية تتقدم فيها العين حرفاً بعد حرف، بل هي كُتليّة تمرّ على النص بشكل ومضات يتمَ خلالها الانتقال من الحروف والإشارات والكلمات إلى المعنى حسب تأويل القارىء. وتتضمن القراءة عملية معرفية. فقارىء الروايات البوليسية مثلاً يركَز في قراءته على الحبكة وتسلسلها، بينما قارىء الكتب الصعبة يترك للتأويل حيّزاً كبيراً فيركّز على الكلمات المفتاحية ويربط بينها وبين ثقافته العامة. ونجد في القراءة أيضاً جانباً عاطفياً وانفعالياً، إذ تثير عند القارىء عدداً من المشاعر كالإعجاب والشفقة والحزن والضحك والتعاطف والغضب والكره والحقد. فتنشأ بين القارىء والشخصيات المدرجة في النص علاقة تعاطف أو نبذ. فنرى بعض القراء يبكون أثناء القراءة أو يبتسمون ويضحكون أو يستثارون جسدياً. وبما أن النص هو رؤية للعالم حدّدها الكاتب، فإن القراءة عملية إقناع يمارسها الكاتب على القارىء. فيؤثّر فيه سلباً أو إيجاباً. ذلك أن القراءة ليست عملية بريئة أو حيادية، لأنها تستكمل عملية الكتابة. وكل كتابة لها أهداف قد يدركها القارىء كما رسمها الكاتب، أو يفسرّها بناء على عدد من الاحتمالات التي يرتئيها هو. فمتخيّل القارىء لا يتماهى بالضرورة مع متخيّل الكاتب، ورموز هذا لا تتطابق بالتالي مع رموز ذاك. وهكذا تظهر القراءة كجزء من أجزاء البنية الثقافية الجَمْعية التي يساهم في تكوينها كلّ من الكاتب والقارىء في آن.

وبما أن القراءة تعقب الكتابة وتتم عامةّ بعيداً عن الكاتب، فإن زمانها ومكانها مختلفان عن زمان ومكان الكاتب. فخلافاً للحوار الشفهي الذي يتواجه فيه شخصان ويستوضح فيه أحدهما الآخر عما غمض أثناء الحوار، فإن القراءة تتم بعيداً عن الكاتب، مما يدفع بالقارىء إلى التأويل وخلق الإحالات والمرجعيات والسياقات التي يراها مناسبة للنص، وبناء على تكوينه الثقافي. فيستطيع مثلاً أن يقدّم بالزاك من منظور ماركسي، كما فعل جورج لوكاتش، أو يوجّه قراءته حسب منظور التحليل النفسي، كما فعل جورج طرابيشي وكثيرون. وإذا بالحقول التأويلية للنص تتعدّد وتتشعب حسب كل قارىء؛ وإذا بحركات الزمن تتداخل، وإذا بالمكان الجغرافي يتعرّض لعدد من الارتحالات.

وانطلاقاً من ذلك، هل جميع القراءات مشروعة؟ إنها مشروعة بشرط ألا تكون نزوية أو متحيّزة، كما ارتأى أمبيرتو إيكو، وبشرط أن تكون منسجمة مع روح النص. فلا يستطيع القارىء أن يؤول النص بشكل عشوائي يبعده عن أهدافه ويخون معانيه، فالفرق كبير بين التأويل المبني على معطيات النص وبين إكراه النص على تحمّل معانٍ لا يستوعبها.

وهكذا تظهر القراءات متعددة. فهناك القراءة الساذجة للنص، وهي القراءة التي تكتفي بظاهره دون البحث عن شتى خلفياته ودوافعه وإسقاطاته. وهناك القراءة الواعية والمتأنية، وهي التي تقرأ النص أكثر من مرة وتكتشف أبعاده الثلاثة متجاوزة بعدي الطول والعرض؛ ذلك أن مختلف علاقات النص لا تظهر من أول قراءة. وهذه هي القراءة المناسبة للأعمال الأدبية أو الصعبة. ويضيف أومبرتو إيكو نوعاً ثالثاً من القراءة هو القراءة النموذجية أو تلك التي يقوم بها القارىء المثالي، إنْ كان هناك قارىء مثالي، وهي التي تستجيب لجميع الاحتمالات داخل النص، وهي

التي تستكشف ظاهره وباطنه، صريحه ومتضمّنه. ولكن يبقى أن القارىء إنسان مصنوع من لحم ودم، ويتعرّض بالتالي لأوهان الجسد وسلبياته كالشرود والحلم والحكم المسبق ويعكس حالته النفسية والإيديولوجية على النصّ. ومهما يقال عن القراءة النزيهة وغير المتحيزة والموضوعية، فإنها تبقى قراءة شخصية وذاتية.

ولكي لا يشطح القارىء فيؤول النص على هواه، يرتأي بعض الكتّاب في بداية كتبهم توجيهه وتحذيره من الشطط كي تتطابق رؤيتهم نوعاً ما مع رؤيته. وهذا ما فعله المركيز دى ساد في مقدمة روايته الشهيرة "**جوستين الجديدة**". فكأن الكاتب يبرم عقد قراءة مع القارىء. يقول الكاتب الفرنسي مونتيني Montaigne من القرن السادس عشر: "أيها القارىء، إنني أنا موضوع كتابي، فلا داعي إذن أن تستخدم هواك في موضوع طائش وباطل"(1).

يفرض النص طبيعته على القارىء. فلا تُقرأ الرواية الجديدة كما تقرأ الرواية البوليسية. وإن لم تتوفّر الدربة على القراءة المتنوعة، فإن منظور القارىء يبقى محدوداً؛ وعندما يحاول أن يقرأ نوعاً أدبياً جديداً عليه يضيع ويمل بسرعة ويغلق الكتاب إلى غير رجعة. وهكذا نرى أن قارىء الرواية الكلاسيكية القائمة على حدث يتطور متنامياً ويصل إلى حبكة مشوقة تنتهي بالمأساة أو الزواج السعيد، هذا القارىء يستصعب قراءة الرواية الحديثة التي غالباً ما تكون نصاً مفتوحاً لا يحتل الحدث التشويقي فيه مركز الصدارة، بل هو قائم على التداعيات والتحليل النفسي والحوار مع الآخر والذات. فالقارىء المتمرّس لا يستسهل النصوص، وإنما هو قارىء متطلّب ويقظ في قراءته يُلبس كل حالة لبوسها.

وعندما يقرأ الكاتب نصاً لكاتب آخر ثم يترجمه فإنه يتوخى متعة يستلّها من النص المقروء، وهي متعة جماليّة تغذّي متخيّله وتشحذ قدرته على الإبداع والابتكار وتحرره - ولو وقتياً - من تفاهة الحياة اليومية ورتابتها. وعندما يتشرب الكاتب القارئ جماليّة النص فإن رؤيته للعالم تثرى وتتوسع. فالقراءة رحلة ممتعة تفضي إلى عوالم جديدة وإلى آفاق رحبة. كذلك تعلَم القراءةُ الملاحظةَ والانتباهَ، وتنقلنا إلى أزمان جديدة وتعيدنا أحياناً إلى أحلام الطفولة التي نفتقر إليها. وإذا بنا نكتشف فينا أبعاداً جديدة كانت منسيةً أو كامنة. فنشعر بأن قراءتنا للنص ليست خمولية، بل حركيّة تترك بصماتها علينا وتنفحنا مزيداً من الحرية النابعة من تعدد المعاني والأصوات.

2- كيف ترجموا :

إذا استعرضنا بعض المترجمات الأدبية التي قام بها الكتّاب العرب في عصر النهضة، للاحظنا أنهم لم يهتموا "بدراسة مناهج الترجمة وقواعدها وأصولها دراسة نظرية معمقة وموسعة ولم يبحثوا في مسائلها بحثاً وافياً في ضوء علم اللغة بل اكتفوا بما ذكره أئمة العربية الأقدمون حول الدخيل والمعرّب"(2). وقد يكون فرح أنطون وأديب اسحق هما أدق المترجمين الأدبيين في القرن التاسع عشر الذي راج فيه التصرف في المترجمات. ومن بين الذين كانوا يتعاملون مع النص بهذه الطريقة، طانيوس عبده ومصطفى لطفي المنفلوطي ولبيبة هاشم. أما الذين سعوا إلى تقديم مترجمات تضاهي الأصل، فيجب ذكر سليمان البستاني الذي ترجم "**الالياذة**" شعراً، وحاول في ترجمته أن يقدم للقارئ العربي نصاً جميلاً لا تشتمّ فيه رائحة الترجمة. والحق يقال إن الترجمة إلى العربية في القرن

التاسع عشر لم تكن بعامة ترجمة دقيقة ومتأنية، كأن المترجمين كانوا يتوخّون إما تسلية القارىء أو الوعظ والنصح والتعليم وتوعية الناس أو الربح المادي (ترجم طانيوس عبده أكثر من ست مئة أقصوصة وقصة ورواية، وكان يطبع من رواية "**باردليان**" عشرة آلاف نسخة كل ثلاثة أشهر، فجمع منها ثروة محترمة).

وازداد الميل إلى الدقة في الترجمة على يد الكتّاب الكبار مثل طه حسين وأدونيس وجبرا ابراهيم جبرا وادوار الخراط. وراح بعض المترجمين يحضّرون أنفسهم سنوات طويلة للعمل الذي يُقدمون على ترجمته وصاروا يهجسون به ليلاً ونهاراً، فأتت ترجمتهم متأنية ووفيّة وأنيقة. لقد بقي حسن عثمان في ترجمة "**الكوميديا الإلهية**" لدانتى زهاء 35 سنة تزوّد فيها بمعلومات فنية وأدبية واجتماعية عن عصر دانتى وعن الشاعر نفسه، فنقل الأجواء التي عاشها دانتى إلى القرن العشرين. ويذكر جبرا ابراهيم جبرا أنه بدأ يترجم "**هاملت**" لشكسبير عام 1959 ولكنه لم يتجرأ على نشرها إلا بعد عشرين سنة قضاها في الكتابة والبحث عن عوالم هذا الشاعر العملاق. ويضيف: " وفي رأسي كلما جابهت النص الإنكليزي زوبعة من الصور أحاول التحكم بها في لغتي كما تحكّمَ الشاعر الكبير بها في لغته، فأخشى عليه، وعلى لغتي، وعلى ما أترجم. ولكن النشوة في مجابهة النص كانت هائلة... عندما فرغت من ترجمة هاملت انتابني شعور بأن الجهد النفسي الذي عانيته، على متعته الهائلة، قد يصعب عليّ أن أعانيه مجدداً." ولكنه أقدم على ترجمة كبرى المآسي الشكسبيرية؛ ويذكر قائلاً إن "ترجمة شكسبير كانت لي إذن فعل حب، وأكاد أقول فعل إنقاذ. وأنا من دأبي ألاّ أترجم، إذا ترجمت، إلا عن فعل حب. وكل ما

أترجم لا أتصدى له إلا إذا شعرت ـ كما قلت في مكان آخر. أنه رئة أخرى لي أتنفس بها ، وأنني في عالمهِ كأنني في عالم من صوري وهواجسي"(3).

وبالرغم من انتقاد د. محمد عناني لترجمة "**عطيل**" التي قام بها جبرا ، وتفضيله عليها ترجمة خليل مطران، يبقى أن هذه الترجمة هي أجمل الترجمات العربية التي وضعت لشكسبير. وإذا رجعنا إلى كتاب "**الغربال**" لميخائيل نعيمة نجد نقداً لاذعاً لترجمة خليل مطران، لأن لغتها مقعرة ولا تتناسب مع التمثيل المسرحي.

يكمن معيار الترجمة بعامة في تطابق النص الأصلي مع النص المترجم، أي أن المترجم يؤدي المعنى بكل تفاصيله الدقيقة. وفي الترجمة الأدبية معايير إضافية كثيرة مرتبطة بالذائقة وبالثقافة والفنون وجماليّات النص الأدبي أكان شعراً أم نثراً. ويتعيّن على المترجم الأدبي أن يتمتّع باللباقة والأناقة ليستكشف دواخل النص الأدبي ونبراته وهمساته، فيتقن القراءة بين السطور ويدرك إحالات النص وإيحاءاته ويترجم بأسلوب يتطابق قدر الإمكان مع أسلوب النص الأصلي. وتقتضي كل هذه الملكات من مترجم الأدب نفَساً طويلاً وصبراً جميلاً.

"فليست الترجمة، على حدّ قول محمد الديداوي، عملية آلية، كما يتخيّل البعض، بل إنها تتطلّب المعرفة اللغوية الواسعة والقدرة على التعلم وعلى البحث والتنقيب وحب الاطلاع والاجتهاد المتواصل والأمانة والاختيار المستنير والضمير المهني اليقظ"(4). ويرى إدوار الخرّاط أن القراءات والترجمات تنصهر في بوتقة "**حريق الأخيلة**". ويماهي بين السؤالين التاليين : لماذا أكتب؟ ولماذا أترجم؟ ويجيب عن السؤالين قائلاً : "أترجم ـ كما أكتب ـ مدفوعاً بقوة قاهرة، لأنني لا أملك إلا هذه الوسيلة سلاحاً للتغيير

: تغيير الذات وتغيير الآخر، إلى الأفضل ربّما، أو إلى الأجمل". "الترجمة عندي - كالكتابة - سعي إلى المشاركة... هل من ضرورة لإنكار ما في الترجمة أيضاً من متعة في اللعب بالكلمات، وما وراء الكلمات من طاقة؟ ... الترجمة عندي إعادة تشكيل للعالَم - عالم الآخر الذي أترجم عنه، وعالمي أنا... لم أترجم قط نصاً إلا وقد كنت أحببته، وهاجني شوق أن يشاركني المتعة به أهلي وناسي"(5). الترجمة أيضاً إبداع.

هوامش:

1ـ وردت هذه العبارة في كتاب "القراءة" لفانسان جوف، ص 48.
Vincent Jouve : La Lecture. Coll. Contours Littéraires. Paris, Hachette, 1993.

2ـ لطيف زيتوني : **حركة الترجمة في عصر النهضة**. بيروت، دار النهار، 1994 ، ص 40.

3ـ **ينابيع الرؤيا**، ص 47 و 52.

4ـ محمد الديداوي : **الترجمة والتعريب. بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية**. بيروت، المركز الثقافي العربي، 2002، ص 294.

5ـ مجلة **الآداب**، العدد 8/7 عام 1999 ، ص 90.

مراجع البحث :

- جبرا إبراهيم جبرا : **ينابيع الرؤية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.
- لطيف زيتوني : **حركة الترجمة في عصر النهضة**. بيروت، دار النهار، 1999.
- محمد الديداوي : **الترجمة والتعريب. بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية**. بيروت، المركز الثقافي العربي، 2002.
- مجلة **الآداب**، العددان 6/5 و 8/7 عام 1999 ، وهما عددان خاصان بالترجمة.
- محمد عناني : **الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق**. بيروت، مكتبة لبنان، 1997.
- أمبيرتو إيكو: **أن نقول الشيء نفسه تقريباً**، ترجمة أحمد الصمعي. بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012.

- Vincent Jouve : La Lecture, Paris, Hachette, 1993.
- Traduire, N° 190-190, Paris, Société Française des Traducteurs, 2002.
- Le Français dans le monde (Retour à la traduction), N° août / septembre, 1987.

دراســـات

حسام الدين خضور

الترجمة في وزارة الثقافة.. واقع وآفاق

بدايــة الترجمــة أســطورية مثــل اللغــة تمامــاً. منشــؤها حاجــة النــاس إلى معرفــة بعضهــم بعضــاً. أو خوفهــم مــن بعضهــم بعضــاً. أو رغبتهــم بالتعــاون مــن أجــل منفعــة متبادلــة. ومهمــا يكــن الدافــع. نشــأت الترجمــة منــذ القــدم وصــار واضحــاً أن أغراضهــا كثــيرة. ولا يمكــن الاســتغناء عنهــا. ومــع ثــورة المعلومــات وتطــور وســائل الاتصــال. غــدت الترجمــة. بأشــكالها الدنيــا علــى الأقــل. أداة مــن الأدوات الــتي يحملهــا المــرء معــه حيثمــا ذهب. فهي تدخل في نسيج حياتنا اليومي.

لقــد اهتمــت وزارة الثقافــة منــذ نشــوئها بهــذه المهنــة الإبداعيــة فأصــدرت كتابــين مترجمــين مــن أصــل ثمانيــة كتب نشرتها سنة تأسيسها عام 1960.

وأخــذت ترتفــع أعــداد الكتــب المترجمــة في كل عــام حتى بلغت عام (2011) ستة وستين كتاباً. حددت عام (2011) كونــه نهايــة حقبــة في تاريخنــا الوطــني وبدايــة مرحلــة جديــدة يخــوض فيهــا وطننــا بجيشــه الوطــني وقــواه الشــعبية حربــاً شرســة ضــد الإرهــاب الدولــي ومحــاولات فرض الهيمنة الأجنبية على قرارنا السيادي.

فماذا ترجمت وزارة الثقافة؟

ترجمت وزارة الثقافة أعمالاً كثيرة في الرواية والقصة والشعر والمسرح والسينما والعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية والصحة العامة وغير ذلك من لغات مختلفة في مقدمتها الفرنسية والإنكليزية والروسية والإسبانية والألمانية، ووصلنا إلى مستوى في هذه اللغات لم نعد نقبل فيه ترجمة عمل بلغة وسيطة من هذه اللغات.

وقد أسست لهذه الحقبة مجموعة من خريجي الجامعات السورية ومجموعة من الطلاب الذين أوفدوا للدراسة في الخارج.

بجهود هؤلاء ترجمت وزارة الثقافة ما يلي:

- 532 كتاباً في الآداب العالمية في الرواية والقصة والشعر والمسرح،
- 594 كتاباً دراسات مختلفة في العلوم الإنسانية،
- 22 كتاباً في العلوم الطبيعية،
- 29 كتاباً في السيرة،
- 190 كتاباً دراسات نقدية، بالإضافة إلى:
- 256 كتاباً في سلسلة الفن السابع المعنية بفن السينما، وتجارب المخرجين وسير بعضهم.
- 14 كتاباً في سلسلة الخيال العلمي.

وإذا راجعنا قائمة المنشورات عموماً نلحظ ضعفاً ملموساً في العلوم الطبيعية والصحة العامة، سنعمل على تلافيه في خططنا القادمة.

الجهات المعنية بالترجمة في وزارة الثقافة :

الهيئة العامة السورية للكتاب، التي نشأت عام 2006، هي المعنية الآن بالتأليف والترجمة في وزارة الثقافة، لكن مديريات أخرى تسهم في مجال اختصاصها بما تراه مهماً. وتميزت المؤسسة العامة للسينما بإصدار سلسلة الفن السابع ذات السمعة المرموقة محلياً وعربياً. وتصدر إدارة مجلة الخيال العلمي كتاباً فصلياً في سلسلة الخيال العلمي.

والكتب التي تُرجِمت باسم وزارة الثقافة سواء في الهيئة العامة السورية للكتاب أو ما قبلها اكتسبت سمعة مرموقة لدى القارئ العربي في كل الأقطار لأن وزارة الثقافة تختار ما ترغب بترجمته، ولأن ترجمة الكتاب فيها تخضع لعملية تدقيق على أسس أكاديمية وفكرية وفنية قبل أن ينال الموافقة على الطباعة.

الواقع، أو ماذا نفعل الآن؟

تحاول مديرية الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب أن تضع الأسس لعمل منهجي في هذه المديرية، التي تعرضت بفعل الحرب إلى خسارة معظم مواردها البشرية، من خلال إعادة هيكلة المديرية إدارياً، لكن المكان والاعتمادات ترجئ ذلك، من جهة أخرى تعمل على إنشاء بنك معلومات وطني حقيقي للأعمال المترجمة في سورية حتى الآن وتسعى إلى إنشاء بنك معلومات آخر عربي أيضاً. أما على صعيد العمل الترجمي فتعمل من أجل رفع تعرفة الترجمة ليتسنى لنا أن نعلن عن خطة عملنا لعام

2017؛ لأن تنفيذ الخطة مرتبط إلى حد كبير بتعديل التعرفة وفق المقترحات التي قدمتها الهيئة العامة السورية للكتاب إلى السيد وزير الثقافة. فليس صحيحاً بأي معيار من المعايير أن نطلب إلى من تبقى من المترجمين أن يعملوا الآن بتعرفة عام 2002، في حين أن تعرفة كل شيء آخر ارتفعت مرات عديدة، مثال المحاماة والطبابة والأعمال الهندسية والرواتب والأجور والتعويضات، علماً بأن تأهيل المترجم أعلى كلفة من تأهيل المهندس والمحامي والطبيب بالإضافة إلى الموهبة لأن هذه المهنة التي تتطلب معرفة شاملة بلغتين على الأقل وثقافة عامة واسعة، هي مهنة إبداعية أيضاً.

هل من سبيل إلى معالجة هذه المشكلة، وكيف؟

نعم المعالجة ممكنة، بكلفة زهيدة، بالإجراءات التالية:

1- إعطاء الجهة المعنية بصناعة الكتاب، وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب، صلاحية تحديد تعرفة الكتابة والترجمة، ترفعها أو تخفضها تبعاً لأسعار مكونات صناعة الكتاب المترجم بما فيها كلفة الترجمة للحفاظ على مواردنا البشرية لاسيما من المترجمين ذوي الخبرة والكفاءة.

2- أن تضع الجهة المعنية موازنة واقعية للكتب التي ستنتجها خلال خطتها السنوية بما فيها أجور المترجم، الذي من حقه أن يتقاضى الأجر الذي يراه متوافقاً مع ارتفاع الأسعار أسوة بارتفاع تعرفة المهن

الأخرى، آخذين في الحسبان أن المترجم ليس موظفاً. هو مهني مثل بقية المهنيين.

3- أن تعلن الجهة المعنية عن خطة نشرها السنوية التالية، في الربع الأخير من السنة الجارية، وتدعو المترجمين ذوي الخبرة والكفاءة إلى المساهمة في إنجازها بتعرفة واقعية. ليست التعرفة المعمول بها الآن على الإطلاق.

الآفاق: الآفاق مرتبطة بقدرة جيشنا الوطني على النصر في حربه ضد الإرهاب. ولأننا مؤمنون بقدرة جيشنا على تحقيق النصر، نتحدث عن آفاق الترجمة في وزارة الثقافة.

تنطلق مديرية الترجمة في الهيئة العامة السورية للكتاب، وهي المديرية المعنية بتنفيذ خطة الهيئة العامة السورية للكتاب في حقل الترجمة، من منطلق أن وزارة الثقافة هي المنسق العام للعملية الثقافية في البلد. وعليه تدرس عملية الترجمة على الصعيد الوطني في كل المؤسسات المعنية بالترجمة، العامة والخاصة، في المجالات التي ينبغي أن تغطيها الترجمة وتوفير الكتب المطلوبة والاتصال بالمترجمين وإبرام العقود معهم وتوفير القراء لتدقيق العمل المترجم، والمراجعين إذا تطلب الأمر ذلك.

ومديرية الترجمة، من خلال تقويمها لعملية الترجمة، خلصت إلى أن القيام بدور المنسق العام لعملية الترجمة في البلد يتطلب التواصل والتشاور مع الجهات المعنية بالترجمة، وهي الجهات المشاركة في هذه الفعالية: اتحاد الكتاب العرب، وجامعة دمشق - المعهد العالي للترجمة، واتحاد

الناشرين السوريين. وخلال التحضير لهذه الفعالية خلصت مديرية الترجمة إلى الاستنتاجات التالية:

1- لا بد لأية خطة وطنية للترجمة من مشاركة هذه المؤسسات في وضعها وتنفيذها، وإلا لن تكون الخطة وطنية، وتسمى باسم المؤسسة التي وضعتها.

2- لا بد لأية خطة وطنية من أن تدرس الموارد البشرية التي ستنفذ الخطة. نحن نفتقر الآن إلى قاعدة بيانات للمترجمين السوريين واللغات التي يترجمون عنها.

3- الترجمة عمل مهني إبداعي خاص. لا يوجد لدى أية مؤسسة عامة أو خاصة مترجمون يعملون لهذه الجهة بالتحديد وفق عقود مبرمة.

4- الخطط تكون محددة الزمن وذات ميزانية محددة. ولتنفيذ الخطة نحن أمام خيارين الأول تعديل التعرفة المعمول بها لدى الجهات الرسمية، التي تعطل عمل الترجمة واقعياً، أو تحرير التعرفة ويترك لكل إدارة أن تبرم عقود الترجمة مع المترجمين وفق أسعار السوق.

5- وضع الخطة الوطنية يتطلب العمل مع الجهات التي تتعامل مع الكتاب في وزارتي التربية والتعليم العالي.

بناء على هذه المقدمات أقترح:

- تشكيل لجنة مكونة من الجهات المعنية المشاركة في هذه الندوة، الهيئة العامة السورية للكتاب وجامعة دمشق - المعهد العالي للترجمة واتحاد الكتاب العرب واتحاد الناشرين، باسم **لجنة الخطة الوطنية** تضع خطة واقعية مدروسة للترجمة.
- الاهتمام الجدي بإعداد أجيال متعاقبة من المترجمين المؤهلين. وهذه مهمة المؤسسات التعليمية المعهد العالي للترجمة، بالدرجة الأولى.
- على الرغم من أن الترجمة تتطلب اتقان لغتين على الأقل وثقافة وتاريخ تلكما اللغتين إلا أن المترجمين الجدد يعانون من ضعف ملحوظ في لغتهم الأم. وهذا لا يجعل منهم مترجمين لأن خطابهم سيوجه إلى قارئي لغتهم الأم.
- الثقافة الواسعة من أدوات المترجم، والمترجم الذي لا يتمتع بثقافة واسعة يرتكب أخطاء ثقافية لا تليق به.
- ربما نحتاج إلى إنشاء كليات خاصة للترجمة تعد طلابها للعمل بلغتين عالميتين على الأقل وفق المعايير الدولية، إذا كنا نريد لهذه المهنة أن ترتقي وتزدهر وتساهم واقعياً في الدخل الوطني.
- التخطيط لصناعة مؤتمرات إقليمية وعالمية. فنحن نمتلك كل مقومات نجاح هذه الصناعة: الموقع والموارد البشرية، وغيرهما.

باختصار، نحن في الهيئة العامة السورية للكتاب - مديرية الترجمة نعمل على مستويين:

في المستوى الأول: سنعمل على تنفيذ خطة طموحة، تتميز بالإضافة إلى العمل الذي أصبح تقليدياً والمتمثل بترجمة منتخبات من الآداب العالمية في مختلف الأجناس، ومن لغات مختلفة، وترجمة مختارات من العلوم الإنسانية من مدارس فكرية مختلفة، بإيلاء حقلي العلوم الطبيعية والصحة العامة اهتماماً أكبر في سلسلتين تحمل الأولى عنوان: "العلم للجميع"، وتحمل الثانية عنوان: "الصحة العامة".

وفي المستوى الثاني، سنعمل مع المؤسسات المعنية الممثلة في هذه الفعالية على وضع خطة وطنية للترجمة، واقعية وقابلة للتنفيذ.

أيتها الأخوات والأخوة!

ارتبطت الترجمة في تاريخنا القومي بالنهوض، فكانت دار الحكمة في بغداد ثم في القاهرة خلال العهد الفاطمي، ثم دار الألسن في القاهرة خلال نهضة القرن التاسع عشر، آمل أن نبني دار المعرفة في دمشق مركزاً لنهضة تكون دمشق منطلقها.

عدنان جاموس

دور الترجمة في مشروع منشأة الفرات الكهرمائية

(تجربة ذاتية ميدانية)

-لا نأتـي بجديـد عندمـا نقـول إن الترجمـة تتيـح لـكل أمـة أن تحيـطَ بمـا أنتجتـه وتنتجـه قرائـح المفكريـن والمبدعـين لـدى جميـع الأمـم في جميـع العصـور، فتكتسـبَ في مـدة وجيـزة منتجـاتٍ معرفيـةً قضـت الإنسـانية عصـوراً كاملـة للتوصـل إليهـا. بعـد أن بـذل عباقرتهـا وموهوبوهـا، جيـلاً بعـد جيـل، جهـوداً خلاّقـة في دراسـةِ وتمثُّـلِ المنجـزات المعرفيـة السـابقة، ومتابعـةِ البحـث والتقصّـي والتجريـب والاختبـار لإغنائها وإضافة منجزات جديدة إليها.

وقد يسّرت الظروف التاريخية لأمم معينة سبل الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من هذه الإمكانية، ما ساعدها على المضي قدماً في طريق التطور، بينما تعرقلت مسيرة أمم أخرى بحكم ظروفها التاريخية غير المواتية فتخلفت وراحت تراوح في مكانها، واتسعت الشقة بينها وبين الأمم المتطورة، وغدا لزاماً على تلك الأمم أن تحرق المراحل للحاق بركب الحضارة الإنسانية المتقدم؛ وهنا برزت أهمية الترجمة كوسيلة لا غنى عنها لتدارك ما فات، واستيعاب المعارف التي من شأنها أن تدفع بعجلة التقدم والتنمية الوطنية الشاملة إلى الأمام، على أن تكون الترجمة في نهاية المطاف حافزاً ومساعداً على إنجاز دراسات وأعمال باللغة الأم، تترجم إلى اللغات الأخرى.

ولكن هذه الوسيلة لن تؤدي دورها الفعال، ولن تُؤْتي أُكُلَها المأمول، إلا إذا أُحسن استخدامها باستيفاء شروط لا بد منها، وأهمها: وضع خطة شاملة مدروسة بعمق وتبصّر، تُحدِّد المؤلفاتِ والأعمالَ الأساسية التي يجب أن تترجم في جميع مجالات المعرفة التي تساعد على تحقيق التنمية الوطنية علمياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؛ ثم انتقاء المترجمين المؤهلين للقيام بهذه المهمة الجليلة، والحرص على توافر الحوافز المعنوية والمادية، التي تجعل المترجم يشعر بأن العمل الذي يقوم به هو جزء لا يتجزأ من عملية شاملة ومتكاملة، ترمي إلى المساعدة على تطوير الوطن ورُقيّه، وبأن الجهد الذي يبذله يُقدّر حق قدره مادياً ومعنوياً.

وكما كانت سورية رائدة في تعريب التعليم، لِتكن رائدة في وضع خطة متكاملة لترجمة أُمّات الكتب والمؤلفات ذات الأهمية الحضارية العالمية، إلى اللغة العربية، ولتعمل على تنفيذ هذه الخطة بجهود جميع الجهات المعنية العامة والخاصة، كلٌّ بحسب إمكاناته وظروف عمله، على أن يضبط عملَ الجميعِ برنامجٌ زمني لتنفيذ هذه الخطة التي تواكب المستجدات وتستدرك ما فات في الوقت المناسب.

وإذا ما ابتغينا تبيان أهمية الترجمة بصفتها وسيلةً للتفاهم ضمن نطاق مشروع تنموي محدد يهدف إلى تطوير الوطن اقتصادياً واجتماعياً، ويؤدي في أثناء ذلك إلى تقدُّمِه علمياً وثقافياً، يمكن أن نأخذ كمثال واضح على ذلك الدور الذي أدّته الترجمة بنوعيها الكتابي والشفهي في تنفيذ مشروع "سد الفرات"، الذي بدأ يأخذ مرتسمات ملموسة، ويغدو تجسيداً واقعياً لطموح الشعب السوري إلى تحقيق قفزة نوعية غير مسبوقة على طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بعد توقيع « بروتوكول التعاون على بناء منشأة كهرمائية على نهر الفرات» بين حكومة الجمهورية العربية السورية والاتحاد السوفييتي في عام 1958. وما إن أُنشئت أولى الهيئات الإداريّة السوريّة للقيام بالتواصل مع الجهات السوفييتية المعنية من أجل تنظيم الأعمال، حتى برزت الحاجة إلى إيجاد الوسيلة المناسبة لتبادل الآراء وتحقيق التفاهم بين الطرفين. وما لبث الطرفان أن اتفقا على أن تكون اللغة الإنكليزية هي اللغة المعتمدة في الوثائق الرسمية والمراسلات بينهما. وكان هذا الإجراء يفي بالغرض في المرحلة الأولى، أي مرحلة التعاقد وتحديد شروط التعاون والتزامات كل من الطرفين من النواحي المالية والسكنية والمعيشية إلخ... ولكن عندما بدأ تنفيذ الأعمال الطوبوغرافية والجيولوجية لتحديد موقع البناء بدقة، وأخذ الخبراء الروس يضعون التقارير والبيانات والمذكرات ذات الطابع العلمي والتقني، برزت معضلة يصعب حلها بالسرعة المطلوبة؛ إذ إن المهندسين السوريين المسؤولين عن اتخاذ القرارات الحاسمة في كيفية سير الأعمال لابد من أن يطّلعوا على محتوى هذه الوثائق التقنيّة، وعلى النتائج والآراء التي تكوّنت لدى الخبراء، من أجل مناقشة التوصيات التي يقترحونها؛ وهذا يستدعي ترجمة هذه المعطيات إلى اللغة الإنكليزية، ومن ثم إلى اللغة العربية، ليطلع عليها الاختصاصيون الذين لا يجيدون الإنكليزية بالقدر الكافي للقيام بهذه

المهمة. وكانت المؤسسات الروسية التي توفد خبراءها لتنفيذ الأعمال في مشروع سد الفرات تنشط في عدد كبير من بلدان العالم، ولذا فقدت النصوص التقنية إلى اللغة الإنكليزية، ولكن الترجمة إلى العربية كانت تتطلب وجود المترجمين المتخصصين في ترجمة العربية، كانت تتطلب وجود مترجمين سوريين متخصصين أيضاً. وهنا كانت تنشأ حالة تثبت بوضوح صحة الأطروحة التي تذهب إلى أن احتمالات الخطأ وعدم الدقة في النص المترجم تزداد بقدر ملموس عندما تتم الترجمة عبر لغة وسيطة حتى في النصوص العلمية، وخصوصاً إذا كان المترجم غير متخصص في ترجمة مثل هذه النصوص. وغدا من الواضح للمشرفين على المشروع من كلا الطرفين أن هذا الأسلوب في التواصل لا يمكن اعتماده في المراحل التالية، عندما يتسع نطاق العمل، وتتعدد الاختصاصات الهندسية، ويتدفق إلى مواقع الإنشاء وورشات الإنتاج مئات الخبراء والمهندسين والمساعدين الفنيين، وآلاف العمال المهرة والعاديين، وتبرز مسائل تقنية دقيقة، تحتاج إلى دراسة معمقة ونقاش موسع، قبل اتخاذ قرارات مصيرية تحدد مواصفات المنشأة وأبعادها الهندسية النهائية ومراحل تنفيذها، وما يترتب على ذلك من إجراءات إدارية ومالية. وشرع المشرفون على المشروع يبذلون الجهود لاستقطاب عاملين يعرفون اللغة الروسية، أو يلمون بها مجرد إلمام، ويمنحونهم الأفضلية في الاستخدام. وقام هؤلاء بدور لا يستهان به في تحقيق التواصل والتفاهم بين المهندسين والعمال السوريين من جهة، والخبراء والمهنيين الروس من جهة أخرى، في كثير من ورشات العمل في المشروع...

وقد قضت الظروف آنذاك أن أوضَعَ، بناء على طلب مني، خارج ملاك وزارة التربية، وتحت تصرف المؤسسة العامة لمشروع الفرات بموجب قرار من أعلى سلطة في القطر آنذاك، إذ لم يكن وزير التربية ليسمح بتلبية الطلب والاستغناء عن مدرس اللغة الروسيّة، الذي كان يصعب إيجاد بديل

منه آنذاك، إلّا بقرار صادر عن جهة عليا. وكان تعليل إصدار القرار هو حاجة المشروع (الذي كان يُعَد بحق أكبر مشروع للتنمية الوطنية في القطر آنذاك) إلى مترجم متمكن، يجيد اللغة الروسيّة ويستطيع أن يحقق التواصل المتوخّى بين الجانب السوري والجانب الروسي. وهكذا يصبح بالإمكان الاستغناء عن اللغة الوسيطة في كثير من الحالات والمواقف، وتحقيق التواصل والتفاهم بوساطة الترجمة المباشرة التي تنقل الأفكار والمعطيات بدقة أكبر ووضوح أسطع، ولكن هذا الشرط الذي تحقق لم يكن كافياً البتة لبلوغ الهدف المطلوب؛ إذ إن المترجم الذي يجيد اللغتين كان مختصاً بفقه اللغة الروسية وآدابها، فأنّى له أن يخوض غمار الترجمة في مشروع تأخذ النصوص المتداولة فيه الطابع التقني والتعاقدي والمالي والإداري، وكل مجال من هذه المجالات يتفرع إلى عدد من الاختصاصات بدءاً بالمساحات الجيوديزية والطوبوغرافية، والتحريات والبحوث الجيولوجية والستراتيغرافية، والأعمال الهندسية الإنشائية، والميكانيكية، والكهربائية، والهيدروليكية، والتجارب والدراسات المخبرية المرافقة لكل مرحلة من المراحل، والأعمال في ورشات التصنيع والإصلاح والصيانة إلخ...، مروراً بمناقشة عقود توريد المعدات والمواد، وعقود إيفاد الخبراء والمهندسين والعمال المهرة، وصولاً إلى وثائق تنظيم الأعمال ووضع هيكلية المؤسسة ككل، وما تشتمل عليه من مديريات وأقسام تصميمية وتخطيطية، ومن قواعد وورشات إنتاجية وتصنيعية وإصلاحية، ومن قطاعات تنفيذية وإنشائية إلخ... والموضوعات في كل مجال من هذه المجالات تشتمل على مفاهيم محددة، وتفترض أساليب خاصة للتعبير عنها، وتُستعمل من أجل ذلك مصطلحات دقيقة لا يجوز تحريفها أو الخلط بينها.

وما إن كُلِّفتُ ترجمةَ المذكرة الأولى حول بعض نتائج التحريات الجيولوجية في موقع المشروع حتى أُصبت بصدمة أذهلتني وجمدت الدم في عروقي. فأنا طلبت الانتقال من عملي كمدرس للغة الروسيّة إلى العمل مترجماً في مشروع سد الفرات لأجد متنفساً للشعور بالإحباط الذي كان يستولي عليّ بعد أحداث حزيران عام سبعة وستين، إذ إن العمل في أكبر مشروع تنموي في الوطن من شأنه أن ينتشلني من حالة الإحباط التي أطبقت علي ويشعرني بأنني أساهم ولو بقسط بسيط في تنفيذ مشروع يمكن أن يرسي أساساً للنهوض باقتصاد الوطن من جديد بما سيوفّره من طاقة كهربائية لازدهار الصناعة ومن موارد مائية لإحياء الأراضي البور وري الأراضي المستصلحة. وها أنا الآن أعاني من مشاعر إحباط جديدة لأنني لن أستطيع أن أقوم بالمهمة التي انتدبت نفسي لها؛ فالنص الذي أمامي مكتوب بلغة لم أعهدها، وبكلمات ومصطلحات لا أعرف فحواها، وكل ما أتعرفه هنا هو حروف الجر والعطف، وبعض الظروف والصفات اليتيمة، ولم أجد من مخرج لي سوى السعي إلى الحصول على موافقة المسؤولين لإعادتي إلى ملاكي الأصلي؛ وكانت حجتي في ذلك هي أن اختصاصي لا يؤهلني للعمل في مشروع ذي طابع تقني بحت. ولكن المدير العام في المشروع وكبير الخبراء الروس فيه كان لهما رأي آخر؛ إذ كان الأمر المهم والحاسم في رأيهما هو إجادة المترجم اللغتين إلى الحد الذي يمكنه من فهم أية معلومات تُشرح له بهما.

وقد أوعز كل منهما إلى الخبير الروسي والمهندس السوري اللذين يعملان جنباً إلى جنب في الموقع نفسه بأن يساعدا المترجم في الوقت الذي يريانه مناسباً على ترجمة المذكرة وتبيان معاني المصطلحات الواردة فيها. وما إن بدأت هذه العملية حتى شعر المترجم بأن اللغة بدأت تصبح مألوفة، وأن الكلمات شرعت تترابط، والمعاني أخذت تتوضح، وحصلتْ في أثناء

ذلك عملية تفاعل ثلاثي مثمر، فقد كان الخبير يشرح المضمون بلغة مبسطة مع تحديد دقيق للمقصود من كل مصطلح يرد في النص، وكان المترجم ينقل كل هذا إلى العربية بالكلمات التي يعرفها، ويتوقف عند المصطلحات الاختصاصية التي يميزها المهندس السوري بحكم السياق، واستناداً إلى إحاطته بالموضوع عموماً، ومعرفته بعض المصطلحات باللغة الروسية نتيجة تعاونه في أثناء العمل مع الخبراء الروس واستماعه إلى الأحاديث التي تدور بينهم حول الموضوع. وكان يصدف أن يسمع الخبير في سياق هذه العملية التفاعلية الثلاثية تعبيراً سمعه في السابق يتردد كثيراً على لسان العاملين السوريين ولم يستطع أن يخمن معناه فينتهز الفرصة المتاحة الآن ليسأل المترجم عن المقصود منه، وكذلك كان يحدث مع المهندس السوري؛ وبهذا كان الثلاثة يُغْنون معارفهم اللغوية، ويستفيدون من هذا الحوار، ولكن الفائدة الكبرى كان يجنيها المترجم الذي يسجل كل ما اكتسبه خلال هذه الجلسة في مسرد خاص يراجعه من حين إلى حين، فتصبح جميع هذه المصطلحات والمفاهيم جزءاً من رصيده المعرفي الحي الذي يمكن أن يسترجعه عند اللزوم وفي الوقت المناسب. وهكذا كان الحوار مع الخبير الروسي والمهندس السوري يقوم مقام معجم ثنائي اللغة يُحدِّد المصطلح ومقابله، ويعطي شرحاً موجزاً ولكنه وافياً للمقصود منه. والمهم أن أمثال هذا الحوار الثلاثي كانت تتكرر مع خبراء ومهندسين من مختلف الاختصاصات من أجل ترجمة تقارير، ومذكرات، ومخططات تصميمية وتنفيذية، وبرامج شهرية وأسبوعية، وتعليمات تنظيمية، ومحاضرات تلقى في دورات تدريبية، ويحضرها مساعدون فنيون وعمال مهرة. وكان المترجم يسجل جميع المصطلحات المكتسبة في مسارد خاصة يراجعها ويدققها باستمرار مستفيداً من معطيات المعاجم الفنية الروسية- الإنكليزية التي يحضرها الخبراء الروس معهم أحياناً، والمعجم الفني

الإنكليزي- العربي الوحيد الموجود في مكتبة المؤسسة؛ ويعمل، بعد المراجعة والتدقيق، على طباعة هذه المسارد طباعة أولية بالوسائل المتوافرة في المؤسسة لعرضها على كبار المهندسين في المشروع من أجل إبداء ملاحظاتهم حولها، وإدخال التعديلات المناسبة عليها. وبعد أن يتأكد من أن جميع المعطيات التي تحتويها هذه المسارد في مختلف الاختصاصات قد بلغت من الدقة الغاية المتوخاة يطلب من الإدارة الإذن بطباعتها على آلة تسحب العدد الكافي من النسخ لتوزيعها على مختلف الإدارات والأقسام التصميمية والتخطيطية، وقطاعات وورشات تنفيذ الأعمال، وذلك بهدف توحيدا المصطلحات المستعملة في المشروع ككل. وكان على المترجم بالإضافة إلى ذلك ترجمة مصطلحات تستعمل في أنواع من الأعمال لم يسبق للمهندسين السوريين أن مارسوها عملياً، وتعميم هذه المصطلحات وجعلها متداولة على نطاق واسع في المشروع، لتحقق مزيداً من التواصل والتفاهم بين العاملين السوريين والروس، ومنها، على سبيل المثال، المصطلحات المستعملة في أعمال التجريف الهيدروليكي، وهي الطريقة المقترحة في التصميم لبناء جسم السد من الرمل والحصى والغضار المأخوذ بالشفط من سرير النهر ومحيطه، وفي أعمال الحقن بالمستحلب الإسمنتي لملء التكهفات والتشققات وضمان الكتامة في صخور الأساسات التي ستبنى عليها المنشآت، وفي أعمال تركيب المعدات والأجهزة الميكانيكية والكهربائية الجديدة إلخ... وكانت تُتَّبع في إيجاد المصطلحات الجديدة الطرائق المعروفة، كالترجمة والاشتقاق، وتضمين كلمات قديمة معاني جديدة، والنحت والتعريب. وبهذا كان المعجم التقني العربي يغتني بمصطلحات ومفاهيم جديدة، تساعد العاملين العرب على اكتساب واستيعاب معارف إضافية تُثري خبرتهم، وتوسّع من نطاق اختصاصاتهم، وتزيد من قدراتهم على معالجة القضايا التقنية وإيجاد الحلو المناسبة لها.

وقد أثبتت التجربة بالفعل أن الكوادر الذين تخرّجوا من «مدرسة سد الفرات»، كما سُمّيتْ الإدارات وورشات العمل في المشروع آنذاك، قد اكتسبوا من المعارف الهندسية والكفاءات التصميمية والتخطيطية والتنظيمية والمهارات المهنية ما أهّلهم لِشغْل مناصب قيادية في الوزارات والمؤسسات والشركات التي تتولّى تنفيذ مشاريع التنمية الوطنية.

وإذا كانت الترجمة الكتابية قد أدّت دوراً مهماً في نقل الأفكار والمعارف الهندسية والتقنية، وفي رفع كفاءة الكوادر الوطنية، فإن الترجمة الشفهية لم تكن تقل أهمية عنها، إن لم تكن تفوقها في كثير من الأحيان؛ إذ إنها كانت تؤدي في ظروف المشروع، عدداً من الوظائف الأساسية ذات الأهمية الحاسمة. فعندما أُنجز القدْر الكافي مرحلياً من أعمال المسح الطوبوغرافي، والتحريات الجيولوجية، والتجارب المخبرية، وتم على أساس نتائجها وضع المذكرة الفنية – الاقتصادية التبريرية، التي تعلل علمياً اختيار موقع المنشأة، وتحديد أنموذجها، وطريقة تنفيذها، وأبعادها، ومواصفاتها وتجهيزاتها، وجدواها الاقتصادية والاجتماعية، كان لابد من مناقشة هذه الدراسة التبريرية مع الجانب السوري، وتبادل الآراء حولها، والتوصل إلى قرارات نهائية مشتركة بشأن جميع المسائل المطروحة فيها، ليتم على أساسها وضع التصميم الفني العام للمشروع. وقد شكّل الجانب السوري لجنة فنية عليا تضم أساتذةً جامعيين، ومهندسين مخضرمين ذوي خبرة غنية، لمناقشة الدراسة المذكورة مع وفد من الخبراء الروس، يترأسهم كبير مهندسي تصميم المشروع، وهو من أشهر مصممي السدود الكبرى والمنشآت الكهرمائية الضخمة في العالم. ولنا أن نتخيل أهمية الترجمة في مثل هذه الجلسات، والمسؤولية الملقاة على عاتق المترجم المكلّف نقلَ الأفكار والآراء الهامة والعميقة التي يعبر عنها هؤلاء العلماء الكبار من كلا الجانبين، بكل أبعادها ومضامينها العلمية بدقة

متناهية، وبوساطة المصطلحات المستعملة في هذا المضمار المعرفي بالذات؛ إذ إن أي تحريف في المعنى أو إنقاص من الفكرة يمكن أن يخلق سوء تفاهم يتطلب تلافيه وقتاً طويلاً، ويمكن أن يُوَلِّد في ذهن المتلقي انطباعاً خاطئاً عن مستوى المُرْسِل العلمي، وعن مدى استيعابه للموضوع الذي يتحدث عنه؛ وهذا ينعكس على لهجة الخطاب، ويخلق جواً لا يتناسب مع أهمية موضوع النقاش. كما أن الترجمة التتبعية هنا تتطلب السرعة في النقل، إذ إن كل دقيقة من وقت هؤلاء الخبراء تكلف غالياً، وتلكؤ المترجم أو تباطؤه في الترجمة يمكن أن يضاعف الوقت المستغرق ويطيل مدة النقاش من دون مسوّغ. وهنا يخطر في البال سؤال وجيه: ألم يكن من الأجدى في مثل هذه الحالة أن يتولى مهمة الترجمة مهندس مختص يجيد اللغتين، فينقل الأفكار بشكل صحيح ودقيق، ويستوعب الآراء المطروحة بسرعة، ويستطيع أن يصوغها بعبارات واضحة يستعمل فيها المصطلحات الصحيحة والدقيقة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال بالنفي يجب ألّا تثير الاستغراب. فقد دلت التجربة الحية على أن المهندس المختص يمكن أن ينجح في ترجمة محاضرة لخبير أو نظرية جديدة لعالم - والحديث هنا عن الترجمة الشفهية بالذات – ولكنه لا يصلح لأن يقوم بدور المترجم في نقاش يدور بين اختصاصيين حول مسألة هندسية، وذلك لسبب بسيط هو أنه لن يستطيع أن يكون موضوعياً ومحايداً في نقل أفكار الطرفين بدقة وأمانة؛ إذ لابدّ له من أن ينحاز إلى وجهة نظر أحد الطرفين ويتبناها ويتحمس لها، وتتسرب أفكاره هو ووجهة نظره الشخصية إلى صلب الترجمة فتغدو ترجمة منحازة. وربما يصبح هو نفسه طرفاً ثالثاً في النقاش. وقد تكررت هذه الظاهرة غير مرة في المشروع، وخصوصاً عندما كان كبير الخبراء الروسي يناقش حلاً هندسياً لمسألة فنية مع المدير العام للمشروع عن طريق مهندس يجيد اللغة الروسية، فيحاول أن يفرض وجهة

نظره الشخصية التي يعبّر عنها بالعربية للمدير العام وبالروسية لكبير الخبراء، ويجهد لإقناع الاثنين بها؛ وعندما يفطن أحدهما أو كلاهما إلى حقيقة ما يجري يتوقفان عن النقاش المزعوم ويطلبان حضور المترجم المختص ليناقشا القضية عن طريقه. وهذه الحقيقة لا تتعارض مع القاعدة المعروفة التي تقول إن أفضل من يترجم النص العلمي هو العالم المختص الذي يتقن اللغتين ولديه ميل إلى الترجمة. ولكن هذه القاعدة لا تنطبق على بعض الحالات التي تجري فيها الترجمة شفهياً حول موضوع مطروح للنقاش بين شخصين أو أكثر، وللاختصاصي الذي يقوم بالترجمة رأيه الخاص فيه، ولاسيما إذا كان يعتقد أن رأيه هو الصواب.

وكانت أهمية وجود مترجم مختص معتمد في المشروع تبرز بوضوح عند عقد الاجتماعات الشهرية العامة التي يحضرها جميع مديري القطاعات الإنتاجية السوريين وجميع نظرائهم الروس من كبار المهندسين في هذه القطاعات، بإشراف المدير العام ونظيره كبير الخبراء الروس في المشروع، وبحضور كل من مدير وكبير مهندسي مديرية التخطيط ومديرية الشؤون الفنية، وذلك لاستعراض نتائج تنفيذ الخطة الشهرية في كل قطاع، والكف عن حالات التقصير التي حصلت، وتبيان أسبابها والمسؤول عن حدوثها، وكيفية تلافي التقصير وتجاوزه في خطة الشهر القادم... ثم استعراض خطة الشهر القادم في كل قطاع وتحديد مستلزمات تنفيذها. وكان عدد المهندسين السوريين والروس الذين يحضرون هذه الاجتماعات الدورية المنتظمة يربو على الثلاثين، وكل منهم عليه أن يقدم تقريره ويبين فيما إذا كان سببَ التقصير يعود إلى نقص في مواد مصنعة كان يجب أن يزوده بها قطاع، وهنا ينبري المسؤول عن القطاع الآخر بالدفاع عن نفسه، وينشب جدل بين المسؤولين لا يُفض إلّا بتدخل المدير العام وكبير الخبراء، وكل هذا لابدّ من أن يمر عبر المترجم الذي عليه أن

يتابع أدق التفاصيل، وينقل كل ما يقال بأمانة متناهية. ومن البدهي أن يَرِد في أثناء تقديم التقارير ومناقشة بنود الخطة عدد كبير من المصطلحات والتسميات التقنية التي لم يكن للمترجم أن يستوعبها ويعبر عنها بشكل صحيح لو لم يتعرَّفَها ميدانياً في أثناء مرافقته للمدير العام وكبير الخبراء عند تفقدهما بين حين وآخر مختلف المواقع والورشات، واطّلاعهما على سير الأعمال فيها.

وكانت المناقشات التي تجري في غضون هذه الجولات التفقدية بين المدير العام وكبير الخبراء من جهة والمهندسين والخبراء المنفِّذين من جهة أخرى تغني معارف المترجم، وتتيح له الاطلاع على تفاصيل العمليات الإنشائية والتقنية، وامتلاك المزيد من المصطلحات التي ما يلبث أن يصنفها ويضيفها إلى مسارده الخاصة.

ولا تقتصر أهمية الترجمة الشفهية في مشاريع التنمية الاقتصادية المشابهة على المجال الهندسي والتقني فحسب، بل تتعداه إلى جميع المجالات الأساسية الأخرى، ومن أهمها المجال التعاقدي. فعندما أرادت مؤسسة استصلاح الأراضي في حوض الفرات إبرام العقد الأساسي لتحريد المعدات اللازمة للاستصلاح وإنشاء شبكات الري بما فيها الأقنية ومآخذ المياه ومحطات الضخ الضخمة، أرسل الجانب الروسي مشروع العقد باللغة الإنكليزية، ودُرس المشروع دراسة وافية، وبرزت في أثناء ذلك بعض الملاحظات التي يقتضي تلافيها تعديل نصوص بعض البنود ومن ثَمَّ الاتفاق النهائي على قوائم التوريدات وأسعارها. وجاء إلى القطر لهذا الغرض وفد من الشركة المورِّدة برئاسة مديرها العام وعضوية عدد من معاونيه؛ وكان البرنامج الذي وضعه للزيارة ينص على مناقشة الملاحظات، والاتفاق على التعديلات والقوائم والأسعار خلال ثلاثة أيام، ثم توقيع العقد والعودة بأسرع وقت ممكن. ولكن المفاوضات طالت حتى نهاية الأسبوع، وتوترت

الأعصاب، واحتدم النقاش والجدل إلى درجة غير مألوفة، وقرر الوفد الزائر المغادرة بعد عقد جلسة ختامية يحدد الطرفان فيها أوجه الخلاف، ويكلفا الاختصاصيين من الجانبين مناقشتها للتوصل إلى اتفاق بشأنها ربما لن يبلغاه إلّا بعد أشهر، مما سيؤدي حتماً إلى التأخر في تنفيذ الأعمال ريثما يبدأ توريد المعدات. واقترح مهندس، كان قد انتقل مؤخراً من مؤسسة السد إلى مؤسسة الاستصلاح، على المدير العام أن يطلب من المؤسسة الجارة انتدابَ مترجمها المختص لتولي الترجمة في هذه الجلسة الختامية كي تتحدد نقاط الخلاف بدقة وتصاغ بوضوح. ولكن ما إن بدأت هذه الجلسة بحضور المترجم الجديد، الذي كان قد أحاط سلفاً بالموضوع وبأجواء المفاوضات، حتى تحوّلت من جلسة ختامية إلى جلسة افتتاحية، وقرر الوفد الضيف تمديد إقامته يومين آخرين لأنه شعر بأن المفاوضات قد اتخذت مساراً سليماً وستفضي إلى النتيجة المرجوة. فما الذي أحدث هذا التحول؟

أجيب باختصار: كما أن الأخطاء وسوء الأسلوب في الترجمة الكتابية يُشَوِّهها في بعض الأحيان أعمالاً فلسفية وفكرية وأدبية رائعة، كذلك فإن الخطأ في فهم المعنى، وعدم الدقة في نقل الرأي، والأسلوب غير الملائم في التعبير تفشل المفاوضات على الرغم من صدق نيات المتفاوضين، ورغبتهم في التوصل إلى اتفاق. ورب جملة تقال من باب الدعابة فتتحول لدى المترجم غير المتمكن إلى جملة تحمل طابع الجد، وتخلق لدى المتلقي انطباعاً سيئاً، فيرد على محاوره بتعبير جاف مما يؤدي إلى سلسلة من التعابير القاسية المتبادلة التي تجعل الحوار عقيماً. وبالعكس، رب مجاملة تقال في سياق الحوار يهملها المترجم لأنه يعتقد أنها لا تمسّ جوهر الموضوع كان من شأنها لو ترجمها أن ترطب الأجواء، كما يقولون، وتشكل فاتحة مسارٍ بنّاءٍ في المفاوضات. وثمة أمور كثيرة في الترجمة الشفهية تتعلق بخبرة

المترجـم، ومقدرتـه علـى إشـاعة جـو عـام يسـاعد علـى التوصـل إلى تفـاهم متبادل واتفاق سـريع مـن دون أن يحـرّف المترجـم معنـى أيـة فكـرة تقـال، أو يغفل ترجمة أية كلمة تـرد ـ في سياق الحـوار وهنـا لابـدّ مـن الإشـارة ولـو مـن خـارج السـياق إلى أن مثـل هـذا الأسـلوب لا يجـوز أن يُتّبـع ـ في أثنـاء الترجمـة الشـفوية بـين مسـؤولين دبلوماسـيين أو سياسـيين، حيـث يجـب علـى المترجـم هنـا أن يكـون مـرآة صـادقة لكـلا الجـانبين، وأن ينقـل بمنتهـى الدقـة والإحكام لا الكلام وحده، بل أيضـاً النبرة والشـحنة الانفعاليـة الـتي تعبّـر عن الاستحسان أو الاستهجان أو الاسـتغراب أو التهكم أو الحسم الواضح أو التهديد المبطن، وحتى الخطأ ـ في المعلومات العامة يجب نقله كما هو لأن مـن المفترض أن تكـون كـل كلمـة وكـل إيمـاءة وكـل نـأمـة ـ في مثـل هـذه الحوارات مقصودة ومحسوبة بدقة، والطـرف المُرسِل ينتظـر طـابع رد الفعـل الذي سيصـدر عـن الطـرف المتلقـي؛ فهنـا لا مكـان لتـدوير الزوايـا وترطيـب الأجواء من جانب المترجم.

وثمة أمـر مهـم آخـر لابـدّ مـن التطـرق إليـه لتبيـان دور الترجمـة ولاسـيما الشـفهية ـ في أمثـال هـذه المشـاريع التنمويـة، حيـث يجـري احتكـاك مباشـر وتفاعل حي خلال مدة طويلة بـين أبنـاء أمـتين، لا ـ في مجـال العمـل فحسـب، بـل أيضـاً ـ في مجـال الحيـاة بكـل مناحيهـا المعيشـية والثقافيـة، بمـا ـ في ذلـك الاحتفـالات بالإنجـازات الإنتاجيـة، وبالأعيـاد والمناسـبات الوطنيـة لكـلا الشـعبين، وعنـد زيـارة مجموعـات سـياحية وفـرق فنيـة مـن كـلا الجـانبين، وخلال إقامة أمسيات ثقافية يطلع فيها كل جانب على وجه من وجوه ثقافة الجانـب الآخـر. ولا شـك ـ في أن مقـدار الجـدوى الفعليـة مـن كـل هـذه النشـاطات والممارسـات يتعلق إلى حد كبير بنوعية أداء المترجمين، ومسـتوى ثقافتهم العامة، وخبرتهم وكفاءتهم. والمترجم ـ في مثل هذه المواقف لابـد مـن أن يـوطّن نفسـه علـى قـوة الجَلَـد، ورحابـة الصـدر، ومـن أن يكـون حـاضـر

الذهن، سريع البديهة، قادراً على تركيز الانتباه وشحذ الذاكرة، وأن يحسن التصرّف والتخلص في المواقف الحرجة؛ كما لابد له من أن يكون متسلحاً بذخيرة ثقافية واسعة الطيف، لأنه لا يستطيع في أمثال هذه المناسبات أن يتنبأ بكل ما سيتعرض له من موضوعات مطروحة للترجمة فيستعدّ لها سلفاً كما في الاجتماعات التي تُناقَش فيها مسائل تقنية وإنتاجية وتعاقدية وما شابه... ويتضح هذا الأمر بأجلى صوب في تلك المآدب التي تقام على شرف كبار الضيوف من مختلف المراتب والمناصب، بمن فيهم أولئك الذين يتولون إدارة معاهد الدراسات والتصميم، واتحادات توريد المعدات والآليات، ومؤسسات إيفاد الخبراء والفنيين؛ ففي أثناء هذه المآدب يمكن أن يتعمق التفاهم بين المسؤولين من الطرفين، وتُرفع الكلفة البروتوكولية بينهما، وتتوطد العلاقات الودية التي تساعد على حل أعقد المشكلات العالقة، والتوصل إلى اتفاقات حولها ترضي الطرفين. وتحقيق كل هذا يتوقف في جزء كبير منه على كفاءة المترجم وحسن تصرفه. فالمتحادثون في هذه المناسبات، بعد أن ينتهوا من كلمات الترحيب والشكر، ومن عبارات المجاملة المألوفة، يمكن أن يسترسلوا في الحديث ويمزجوا في كلامهم بين الفلسفة والأدب والفن والثقافة، ويمكن أن يوردوا في أثناء ذلك مقبوسات وشواهد قديمة وحديثة مأخوذة من النصوص المقدسة، والأعمال الأدبية المشهورة عالمياً، والأشعار والحكم والأمثال والأقوال المأثورة التي يجب على المترجم أن يكون قادراً على ترجمتها على الفور من دون تلكؤ أو تلجلج، ولا يتأتى له ذلك إلّا إذا كانت ذخيرته الثقافية في كلتا اللغتين غنية ومنوعة، وكان يحتفظ في ذاكرته بترجمات جاهزة لأشهر الأقوال المأثورة والأمثال التي يُستشهد بها عادة ويتكرر ذكرها في كثير من المناسبات. وغالباً ما يروون في تضاعيف الحديث طرائف ونكات ذات طابع محلي يترتب على المترجم أن ينقلها إلى

اللغة الأخرى بمفردات منتقاة، وبطريقة ولهجة تعطيان رد الفعل المرتقب، مما يشيع جواً من البهجة التي تزيد من التقارب الوجداني بين الحضور من الجانبين، وتسود مثل هذه الروح تالياً في أجواء جلسات الحوار العملي، الذي ينعكس نجاحه على تسريع وتائر الإيفاء بالالتزامات التعاقدية، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى إنجاز المشروع في المواعيد المحددة، أو حتى قبل ذلك.

أجل، هكذا كانت تتحقق النتائج النهائية المتجسدة على أرض الواقع بفعل أسباب أولية مرئية وغير مرئية؛ ولم تكن الكلمات التي تنقل الأفكار والمشاعر والعواطف تطير في الهواء وتتبدد من دون أثر، بل كان أثرها ينطبع عميقاً في العقول والنفوس والقلوب، ويغذي مشاعر الصداقة والوفاء، التي تدفع أصحابها إلى العمل بإخلاص وجداني وتفانٍ حقيقي لتنفيذ مشاريع التنمية في مجال توليد الطاقة واستصلاح الأراضي وكأنها مشاريع مشتركة في وطن واحد.

أفلا يحق لنا إذن أن ننصف الترجمة الشفهية عندما تؤدي دورها بكفاءة وأمانة في أمثال هذه المشاريع، وترتقي أهمية دورها إلى مرتبة ليست أدنى من مرتبة الترجمة الكتابية، من حيث هي: «جسر للتواصل» بين الشعوب، و«أداة للتلاقح» بين الأفكار، و«واسطة للحوار» بين الأمم؛ ومن حيث إنها: «تلغي الحواجز بين الناس»، و«تخلق المثاقفة بين القوميات»، و«تجسر الهوة بين المتقدم والمتخلف» و«تتيح تبادل التجارب والخبرات»، و«تُيسِّر الانفتاح على آفاق جديدة»، و«تندرج ضمن أهم البنود في خطة تحقيق النهضة الوطنية».

د. فؤاد سليمان الخوري

مستقبل الترجمة والتقانات الحديثة

يندرج هذا البحث في إطار عنوان ندوة "دور الترجمة في التنمية الوطنية" التي نظمتها الهيئة العامة السورية للكتاب في وزارة الثقافة في دمشق بمناسبة اليوم العالمي للمترجم في 17 و18 تشرين الأول 2017. من منطلق أن التقانات الحديثة كالحاسوب والإنترنت وما يرافقهما من تطبيقات وبرمجيات، أصبحت أدوات مهمة لا ينكر دورها بل لا بد منها في ميدان التنمية على جميع الأصعدة.

الترجمة والأدوات المعلوماتية:

قبل أن نطرح السؤال كيف يمكن أن نستفيد من الحاسوب والتقانات الحديثة في عملية الترجمة وما هو المستقبل في هذا الميدان، يجدر تحديد المصطلحات بصورة دقيقة. فإذا نظرنا إلى الترجمة والحاسوب وأشكال التقاطع بينهما، وجدنا أربع حالات تختلف باختلاف طريقة التعامل مع عملية الترجمة والأدوات المتوافرة. هذه الحالات هي:

- الترجمة البشرية (Human Translation)
- الترجمة الآلية (Machine Translation)
- الترجمة البشرية بمساعدة الحاسوب (Computer Assisted Translation)
- الترجمة الآلية بمساعدة الإنسان (Human Assisted Translation)

فالترجمة البشرية تعني أن يقوم الإنسان بإجراء عملية الترجمة بشكل كامل ولا يستخدم الحاسوب إلا كالآلة الكاتبة لإدخال النص في أحسن الأحوال، وذلك من خلال برامج معالجة النصوص. وهذا حال معظم المترجمين. وربما استخدم المترجم بعض المعاجم وأدوات التصحيح الإملائي والتصحيح النحوي المرافقة لهذه البرامج.

أما الترجمة الآلية فهي الترجمة التي نقدم فيها إلى الحاسوب نصاً يعيده إلينا مترجماً باللغة الهدف، وهذا ما أثبتت الدراسات – وهي كثيرة – أنه غير قابل للتحقيق بصورة كاملة في الوضع الحالي للتكنولوجيا وليس قبل سنوات عديدة. فالتعابير المجازية والصور والبلاغة والعبارات الثقافية واللاإقليمية، وكذلك الجمل الطويلة المركبة، هي بعض الأمثلة التي تذكر في هذا الصدد.

وأما الترجمة البشرية بمساعدة الحاسوب فهي الأكثر واقعية واستخداما، حيث يقوم المترجم بعملية الترجمة مستعينا بالوسائل المعلوماتية كالحاسوب والبرمجيات المتخصصة، لتوفير الوقت والجهد، وللحصول على ترجمات موحدة ومتجانسة. وهذا ما سوف نتطرق إليه في مداخلتنا هذه.

وأخيراً الترجمة الآلية بمساعدة الإنسان، التي تعني أن يقوم الحاسوب بعملية الترجمة مستعينا بالإنسان لإجراء التصحيحات والتعديلات اللازمة.توجد على سبيل المثال مواقع عالمية على الإنترنت تقوم بإعطاء ترجمة النص الذي نزودها به، ثم تقترح الترجمة على المستخدم وتطلب منه أن يدقق ويصحح هذه الترجمة لكي يزودها بالترجمة الأفضل ويغنيها بحيث يستفيد لاحقا. وهي نادرة لأنها تأخذ الكثير من الوقت في التنقيح والتصحيح قد يتجاوز الوقت اللازم للترجمة بحد ذاتها.

الأدوات المتوافرة في مجال استخدام الحاسوب للترجمة:

تقسم الأدوات الحاسوبية التي تفيد في ميدان الترجمة إلى فئتين : أدوات عامة وأدوات مخصصة.

الأدوات العامة هي تلك المعروفة مثل استخدام الحاسوب لإدخال النص وعمليات معالجة النصوص كافة المتوفرة والمدقق الإملائي، الذي يساعد على تدقيق الأخطاء الإملائية، والمدقق النحوي والمعاجم والمكانز (معاجم المترادفات) والتعرف على الكلام والتعرف على الكتابة وغيرها.

أما **الأدوات المخصصة** للترجمة وهي الأكثر انتشاراًفهي الأكثر نجاعة وفائدة في ميدان الترجمة. وهي تدخل في ميدان الترجمة بمساعدة الحاسوب (Computer Assisted Translation) التي تكتب اختصارا (CAT). نذكر فيما يلي أهم هذه الأدوات.

ـ ذواكر الترجمة:

ذاكرة الترجمة هي ناتج عن برنامج لإدارة ذواكر الترجمة. وهي تتكون من مجموعة ضخمة من وحدات الترجمة. ووحدة الترجمة هي كتلة من المعلومات تحتوي الجملة باللغة المصدر وترجمتها باللغة الهدف وبعض المعلومات الأخرى. هي إذا مجموع الجمل التي نترجمها في حياتنا المهنية كمترجمين منذ البدء باستخدام هذه الأدوات. وبما أن الجمل التي نترجمها قد خزنت في الذاكرة، فإن الحاسوب قادر على استرجاع هذه الجمل على الفور وبسرعته الكبيرة المعروفة عندما تظهر هذه الجملة مرة ثانية في أثناء عملنا.

لا بد من التنويه إلى المجالات التي يفيد فيها هذا النوع من الأدوات. فإذا كان المبدأ هو التكرار المحتمل في العبارات والجمل المترجمة، فإن ذلك ينطبق على النصوص المرشحة لذلك، كالكتب التقنية والعقود والاتفاقيات الاقتصادية والقانونية والتجارية. وبالمقابل لن نجد لها فائدة في المجالات الأدبية كالشعر والرواية والمسرحية والمقال الأدبي وما شابه ذلك.

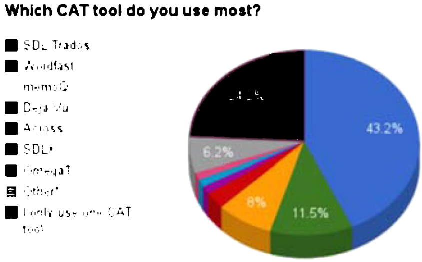
تقوم إذا ذاكرة الترجمة بالاحتفاظ بما نترجمه اليوم للاستفادة منه عند تكراره غدا. فإذا ترجمنا على سبيل المثال كتاب استخدام لجهاز أو لآلة وتمّت طباعته ونشره، ومن ثم تم إصدار نسخة حديثة من الكتاب، فسوف تحتوي هذه النسخة الجديدة على الجزء الأكبر من النص السابق مع تعديلات وإضافات جديدة. هنا تأتي الفائدة الكبيرة من استخدام ذواكر الترجمة. بما أن ترجمة النسخة السابقة لكتاب الاستخدام محفوظة في الحاسوب، فإن الكثير من الجمل ستكون مكررة وبعضها سيتكرر جزئياً، أي أن جزءا منها يكون قد تُرجم والتغير سيكون كلمة إضافية أو كلمة محذوفة أو غير ذلك. هنا يأتي دور الحاسوب. قد يقول

قائل إنه بالإمكان القيام بهذه العملية بصورة يدوية، فعند ترجمة نص جديد، نتذكر أننا قمنا بترجمة هذه الجملة أو تلك في يومٍ ما، فنذهب للبحث ضمن مجلدات الحاسوب الكثيرة وبين الملفات العديدة، التي قد تبلغ ربما بالمئات، وعندما نجد الملف الذي يحتوي هذه الجملة، نبحث أيضاً عن هذه الجملة في الملف ونسترجع الترجمة من خلال عملية النسخ من النص القديم واللصق في النص الجديد الذي نترجمه. صحيح أن ذلك يمكن أن يتم يدوياً ولكنه سوف يستغرق الكثير من الوقت أقله بضع دقائق، في الحين الذي لا يتطلب الأمر بالنسبة للحاسوب أكثر من ثانية واحدة لأداء كل هذه العمليات. حيث يبحث كما ذكرنا في ذاكرة الترجمة التي تحتوي الجمل كافة التي ترجمت سابقاً عن جملة مماثلة ويقترح علينا هذه الجملة مع ترجمتها لتكون جاهزة للاستخدام على الفور. ولا شك أنه بالإمكان تدقيق هذه الترجمة مرة ثانية وتصحيحها إن وجدنا ذلك ضروريا.

إن أهم البرامج المستخدمة في هذا المجال هي:

- SDL Trados
- MultiTrans
- Déjà vu
- MemoQ
- WordFast

يبين المخطط التالي توزع استخدام هذه البرمجيات على المستوى العالمي:



إدارة المصطلحات:

تشتمل برمجيات الترجمة بمساعدة الحاسوب عادة على أداة خاصة للتعامل مع المصطلحات التي نستخدمها في ترجماتنا. وتعني إدارة المصطلحات تلك العمليات التي تسمح ببناء قاعدة بيانات مؤلفة من بطاقات مصطلحية فيها المعلومات اللازمة عن المصطلح والتي تتكون عادة من المصطلح بلغة أو عدة لغات والتعريف وميدان المعرفة الذي ينتمي إليه ومثال على استخدامه ومرادفاته وتوجيهات متنوعة حول استخدامه. هذه البطاقات الإلكترونية تسهل عمل المترجم من حيث إدخالها واسترجاعها والبحث فيها وإجراء التعديلات عليها.

يحتاج المترجم في أثناء عمله إلى الرجوع إلى بعض المصطلحات المتعلقة بموضوع النص الذي يترجمه. وهنا يقوم الحاسوب في أثناء الترجمة وبشكل تلقائي بالبحث عن المفردات الموجودة في الجملة والتي يحتمل أن تكون مخزنة في قاعدة المصطلحات، سواء جاءت على شكل كلمة واحدة أو مجموعة كلمات. فإذا عثر على المصطلح قام على الفور باقتراح الترجمة المناسبة له المخزنة سابقا.

من الواضح أن لهذه العملية فوائد عدة منها العثور السريع على ترجمة المصطلح في أثناء الترجمة، وكذلك توحيد المصطلحات في نطاق معيّن كالمؤسسات والشركات إذا ما كان فريق المترجمين يستخدم قاعدة مصطلحات واحدة يرجع إليها جميع المترجمين.

وهذه أهم البرمجيات المتوفرة في موضوع إدارة المصطلحات:

- SDL Multiterm
- Transterm
- Keyterm
- Lexis

أداة الترصيف:

تسمح هذه الأداة بإجراء ما يسمى بعملية الترصيف (Alignment) التي نلجأ إليها عندما نكون قد ترجمنا أعدادا كبيرة من النصوص في السابق، أي قبل البدء باستخدام أدوات الترجمة بمساعدة الحاسوب، كنظام Trados أو غيره. حيث يكون لدينا مخزون قديم من الترجمات يمكن الاستفادة منه لتغذية ذواكر الترجمة به. هنا يُطلب إلى الحاسوب استخدام أزواج النصوص، الأصلي والمترجم، وإجراء عملية الترصيف التي تتضمن التعرف على الجمل واحدة تلو الأخرى في الملف الأول، وعلى الترجمات المقابلة لها في الملف الثاني، ثم استخراج هذه الجمل وعرضها في جدول. عندئذ يمكن للمترجم أن يدقق هذه المقابلات ويجري التعديلات المناسبة عليها. وعند اعتماد هذه الترجمات يُطلب إلى الحاسوب أن يصب هذه الجمل في ذاكرة الترجمة فتصبح متاحة للاستخدام لاحقا كما لو أنها خُزنت سابقا في أثناء الترجمة باستخدام الحاسوب.

توطين البرمجيات:

من الأدوات المهمة أيضا توطين البرمجيات (Localization)، التي تتوفر في معظم برمجيات الترجمة بمساعدة الحاسوب. وهي تسمح لنا بتغيير لغات التطبيقات والبرمجيات وصفحات الوِب وملفات المساعدة وغيرها من المواد التي ليست على شكل نص ناتج عن برنامج معالجة النصوص. فعندما تأتينا البرامج من الخارج، تكون مكوناتها اللغوية، أي واجهة البرنامج وقوائم الأوامر وملفات المساعدة وكل ما هنالك، باللغة الإنكليزية في غالب الأحيان. وإن كانت البرمجيات الكبيرة والعالمية تأتينا عادةً بلغات متعددة منذ تسويقها، مثل برامج Microsoft Word, Excel وغيرها، إلا أنه ثمة برامج وتطبيقات كثيرة لا تصلنا باللغة العربية. وهنا يأتي دور هذه الأدوات التي لا غنى عنها للمترجم إذا ما أردنا توطين هذه المواد.

ماذا عن الترجمة الآلية؟

يوجد في الوقت الراهن بعض البرمجيات (مثل الكافي والوافي و Cimos) وبعض المواقع الإلكترونية للترجمة (مثل Google, SysTran, Yahoo, Bing) التي توفر الترجمة الآلية البحتة، أي تلك التي تقوم بها الأنظمة الحاسوبية بشكل كامل. لا بد هنا من التنويه إلى أنه لا يعوّل الكثير على هذه الأدوات وأنها، في وضعها الحالي، لا توفر الترجمة الجيدة الصحيحة، لا سيّما في الميادين الأدبية والشعرية وما شابه.

فالمشكلات كثيرة. نذكر منها التعابير البلاغية كالمجاز والاستعارة وغيرها من الصور. لن نتجرأ مثلا أن نطلب إلى الحاسوب أن يترجم عبارة مثل "عاد بخفي حنين" فمن المتوقع أن نحصل على جملة مضحكة باللغة الفرنسية، أو مثلاً عبارة "It is raining dogs and cats" أي "إنها تمطر بغزارة

شديدة" ، والنتيجة سوف تكون أيضا غير مقبولة. وبما أن هذه العبارات وما شابهها تميز النصوص الأدبية والشعر ، لذلك نقول إن هذه المجالات سوف تبقى عصيّة على الآلة ولا يمكن أن يتم التعامل معها إلا بالترجمة البشرية.

نذكر في هذا السياق أيضاً الجمل المعقدة والطويلة ، حيث يسهل على إعطاء الحاسوب جملا كهذه تثبت عدم قدرته على الترجمة بسبب تعقيد الجملة. إذاً فالترجمة الآلية لن تحل محل الإنسان في المستقبل القريب.

فعالية الترجمة باستخدام الحاسوب:

بالعودة إلى الترجمة بمساعدة الحاسوب ، يجدر التنويه إلى الأفكار الخاطئة في هذا الميدان. فالنقطة الأولى هي أن هذه البرمجيات لا تترجم بدلاً منا ، وذاكرة الترجمة تكون فارغة في البداية. وإذا بدأنا اليوم بالترجمة باستخدام ذاكرة الترجمة ، لا يمكن أن نستفيد من الحاسوب بأي شيء. ولكن وبمرور الوقت ، نقوم يومياً بإغناء الحاسوب بترجماتنا التي تغذي هذه الذاكرة فتصبح مفيدة فيما بعد. والنقطة الثانية هي أن هذه البرمجيات لا يمكنها أن تقيّم الترجمة أيضا ، إضافة إلى أن العائدية لن تكون فورية لأن هذه الذواكر تنمو مع مرور الزمن كما ذكرنا.

أما فوائد الترجمة بمساعدة الحاسوب فتتلخص في نقاط عدة ، أولها أن الترجمة تكون أسرع ، عند الحصول السريع على جملة تُرجمت سابقاً ، وفي هذا اختصار للوقت والجهد والمال. وثانيها أن تكون الترجمة متجانسة ، فعندما يقوم مشروع الترجمة على فريق من المترجمين يصبح من الضروري توحيد الترجمات والمصطلحات ، لاسيما في المجالات التقنية والتخصصية. تسمح هذه الأدوات بذلك في المشاريع الكبرى ، فعندما تعتمد ترجمة جملة معينة من قبل أحد المترجمين أو مدير المشروع ، فإن المترجمين

الآخرين الذين يعملون في الفريق ذاته يحصلون على الترجمة المقترحة بحيث لا تكون هناك أكثر من ترجمة للعبارة الواحدة في المجالات التقنية والتخصصية كما ذكرنا. والقاعدة ذاتها تنطبق على المصطلحات، التي يجري توحيدها بالطريقة عينها موفرين لمجموعة المترجمين في الشركة أو المؤسسة المصطلح ذاته.

ولا بد من التذكير أن ثمة تكاليف مادية وبشرية للترجمة بمساعدة الحاسوب، تتمثل في سعر البرمجيات والتجهيزات اللازمة، وفي تأهيل المترجمين المستخدمين لهذه البرمجيات.

كلمة أخيرة تقال. إن كانت الترجمة الجيدة والدقيقة تتطلب الكثير من الوقت، فلم يعد ثمة تعارض بين الجودة والوقت في هذا الميدان، وذلك لأن هذه الأدوات ترفع الجودة وتوحد المصطلحات والترجمات، وفي الوقت نفسه توفر الوقت الكثير والجهد والمال.

دراســـات

د. لبانة مشوّح

أثر الترجمة في تطوير اللغة الأم

أثـر الترجمـة في اللغـة الأم موضـوعٌ شـائك متشـعب لا يسـعنا في هـذه العجالـة إلا الإحاطـة ببعـض جوانبـه. وسـأقصر حديثـي علـى أثـر الترجمـة مُعجميـاً ودلاليـاً وتركيبيـاً في تطويـر اللغـة العربيـة. باعتبارهـا اللغـةَ الأم ولغة الأمة. ولن أتطرق إلى التأثر الأسلوبي في اللغة.

لغتنـا العربيـة هـي إرثُنـا التليـد. وسِـفرُ تاريخِنـا بحلـوه ومـرّه، مـا بنـاه أجدادُنـا مـن حضـارةٍ عمّـت في زمانهم أرجاء المعمورة فوسِعَت ألفاظُها علومَ الدنيا.

لغتُنـا هـذه ازدهـرت غنـىً وانتشـاراً. حـين كنـا نبـدع العلـومَ ونعلـي بنيـانَ الحضـارة. وضعُفـت وغابت حين ضعُفنا وكَسفَت شمسُنا.

بفضـل الترجمـة سـار العـرب في طريـق العلـم. فنقلـوا عـن الأمـم الأخـرى علومَهـا، واسـتوعبوها بلغتهـم. وصاروا بناة حضارةٍ عمَّ خيرُها واستظلَّ العالم بها.

واللغة العربية كنزٌ متجدّدٌ لا ينضب، لِغنى مادّتها وتنوّع قوالبها، وسِعةِ دلالاتِها، ولما تتمتّعُ به من خصائصَ ذاتيةٍ وقدرةٍ على التوليد والاشتقاق، تتيح نموَّها وتطورها بما يستوعِبُ مجالاتِ المعرفة كافة، فينفَتِحُ البابَ واسعاً أمام المجاهدينَ من واضعي المصطلحِ في مختلفِ أنواع العلوم، ليشتقوا منها أو يولّدوا أو ينحتوا ما يحتاجونَه من ألفاظٍ لاحتواءِ المفاهيم المعرفية، وهو من العواملِ التي أبقْتها حيّةً متجدّدةً نحوَ ستةَ عشرَ قرناً.

وللمترجمين أولاً واللغويين ثانياً في مرحلة لاحقة، أكبرُ الفضل في ذلك، بل إن لهم الفضلَ الأول في تعريب الدواوين والعلوم، وإثراءِ اللغة العربية والفكر العربي، بتعزيز قدرته على ولوجِ علوم العصر واستيعابها وامتلاكِ ناصيتها، تمهيداً لإبداعها وتجنُّباً للتبعية الحضارية.

ولعلَّ أولَ حركةٍ واسعة منظّمة للترجمة الثقافية الحضارية(1) بين الأمم، هي تلك التي بدأَها العربُ صدرَ الحكم الأموي، فترجموا بعضَ الكتب في الطب والكيمياء، وأنشؤوا بدمشق أول مكتبة عربية تضمّ أعمالاً يونانية في الطب وعلوم أخرى؛ وعرّبوا الدواوين، حيث كانت لغةُ الدواوين فارسيةً في العراق فعرّبها الحجّاج سنة ثمان وسبعين للهجرة، وكانت رومية في الشام فعرّبها عبدُ الملك بن مروان حين كان والياً على مصر. ثم ما لبِثت الترجمةُ أن نَشَطَت واتّسعت أبعادُها وتعدّدت مصادرُها في العصر العباسي، فاستقدم الخليفة أبو جعفر المنصور، ثاني الخلفاء العباسيين، وفداً من علماء الهند الذين بَرَعوا في دراسة حركات النجوم واختراع طرائقَ لتوقّعِ مواعيد الكسوف والخسوف، وكذلك في حلِّ المعادلات الجيبية (التي تعتمد على حساب الجيب أو جيب التمام)، وأمَرَهم

أن يترجموا إلى العربية المتونَ العلمية التي حملوها معهم، فكانت تلك بدايةَ قفزةٍ نوعية لعلمي الفلك والرياضيات عند العرب(2). ونظراً لضخامة الأعمال المطلوب ترجمتُها من الفارسية والسنسكريتية واليونانية، أنشأ المنصور مكتبةً ملكية، وأوجد هيكلية إدارية ومالية لسّد احتياجات "جيش العلماء"(3) المُكلّفينَ بالترجمة ثم بالبناء عليها نتاجاً إبداعياً أصيلاً. ديوانُ الترجمة هذا الذي أحدثه المنصور ووسعه الرشيد ونمّاه لتصل حركة الترجمة أوجَها زمن الخليفة المأمون، هو ما بات يُعرف بـ"بيت الحكمة."

أصبحت الترجمة عمليةً مُمأسَسَةً شديدةَ التنظيم، تتِمُّ بإشراف الدولة وتمويلها. قام المأمون بتعيين الأكفِياءِ من العلماء والمترجمين، وأجرى عليهم الرزق الوافر، استقطاباً لقدراتِهم وتحفيزاً لهممهم، بل كان أبرعُ المترجمين يرتقي إلى مناصب َرفيعةٍ نظيرَ قدراتِهِ وعظمةِ منجزاتِهِ الفكرية. حتى الدبلوماسية في ذاك الوقت وُضِعت في خدمة هذا المشروع العلمي الحضاري الضخم، فكانت تُرسَل وفود إلى البلاط البيزنطي تنقل إليه طلبات الحصولِ على نُسَخٍ من المتون اليونانية النفيسة. ولمّا انتصر المأمون على الروم عام 830 ميلادي طلبَ من ملكِهم أن يعطيه بدل الجِزية كتباً، فقبل الملك نيوفيلوس(4)، عدّ المأمون ذلك نِعمة عظيمة ومغنماً لا يقدّر بثمن. وهكذا حصل المترجمون على أعمال أفلاطون وأرسطو وأبُقراط وجالينوس وإقليدس، ثم على تحفة بطليموس في علم الفلك (المجسطي)، لا بل كان الحصول على تلك الدُررِ العلمية والفكرية، أحدَ الشروطِ لإتمام الصلح بين القوتين العظميين في ذاك العصر. ولعلّ من المفيد أن نستذكر ما كتب العالم والمترجم حنين بن إسحاق من القرن التاسع، لندرك عظمة الجهد الذي كان يُبذل في الحصول على المادة العلمية وترجمتِها. يقول

حنين بن إسحق إنه سعى جاهداً طلباً لمخطوطة طبية مفقودة، فجال بلاد الرافدين وعمومَ سوريا وفلسطين ومصر، فلم يجد إلّا نِصفَها بدمشق(5).

ترجم العرب على مدى مائة وخمسين عاماً جُلَّ كتب العلم والفلسفة اليونانية. وكان لا بدَّ لهم من إيجاد مقابلات عربية لآلاف المصطلحات في شتى فروع العلم، فتوسّعت العربية وتطورت لتتسعَ لهذا الكمِّ المعرفي الهائل، فسرعان ما حلَّت محلَّ اليونانية لغةً عالمية للبحث العلمي.

بالترجمة أيها السادة أصبح العلم وسيلة العرب الأساسية للتقدّم اللغوي، ومن ثمَّ للتقدم الفكري والاجتماعي، ما ضمن استمرار العملِ العلمي والأدبي الرفيع قروناً من الزمن. ثم انقلبت الآية، فأخذ الغرب يغرِفُ من نتاج الثقافة والحضارة العربية منذ القرن الثاني عشر وحتى بداية القرن السابع عشر.

وفي عصر النهضة، عادتِ الترجمةُ للعب دورٍ بارزٍ في نقل المعارف والعلوم والفنون التي كان الغرب قد أحرز فيها تقدماً كبيراً. وكانت سورية رائدةً في مجالِ الترجمة. وبحسَبِ دراسة إحصائية قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1986، من مطلع 1970 إلى نهاية 1980، فإن العدد الإجمالي للكتب المترجمة في شتى الموضوعات بلغ (2840)، أتت مصر في طليعة الدول العربية المنتجة للترجمة بـ (1758) كتاباً، تلتها سورية بـ 422 كتاباً.

وكانت سورية رائدة في مجال تعريب التعليمِ بمختلفِ مستوياته وأنواعهِ، بما في ذلك التعليم العالي والتِقني، وهو نهجٌ بدأته واستمرت فيه منذ نحوِ تِسعة عقود، الأمر الذي حتَّم تعريبَ العلوم، فكان لا بدَّ من

التأليف والترجمة في فروع العلوم كافة، واستنباطِ مصطلحاتٍ مطابقة للمسميات المستحدثة؛ وهذا ما أتاحه غِنى اللغة العربية وقدرتُها على الاتِّسَاع والامتداد، للتعبير عن المستحدث الجديد. لتبقى لغتُنا، كما عهدناها، حية متجددة، جميلة التعبير، دقيقةَ الدلالة، قادرةً على الوفاء بالمتطلبات الحضارية والفكرية والمعرفية.

من نافل القول: عدمُ وجودِ تطابقٍ تام بين اللغات، فلكل لغة ألفاظُها ودلالاتُها ونظامُها وأساليبُها البيانية وسياقاتُها الثقافيةُ والحضارية، وهنا تكمن تحديداً صعوبةُ عمليةِ الترجمة. لكنّ المترجمَ مغامرٌ مِقدامٌ بطبعه، لا يَثنيه شيء عن التصدي لتلك المصاعب وتجاوزِ تلك العقبات، فينجح حيناً ويخفق أحياناً.

أمّا تطويرهم للغة العربية فقد تمّ عن طريق نبش التراث اللغوي وإحياء كلمات اندثرت من التداول، أو باستحداث مفردات ومصطلحات جديدة أو دلالاتٍ مجازية.

وقد استعان المترجمون العرب بطرق عدة في استحداث الألفاظ الجديدة، فكان أن لجؤوا إلى أيسر سبل العربية للتوالِد الحيّ وهو (الاشتقاق)، ما أتاح استحداث ألوف الألفاظ في شتى المجالات، ككلمة (شَفْرة) المشتقة من (الشُفْر) و(الشّفْر) وهو حدٌّ الشيء (شَفْرُ العين: أي طرَفُها) وكلمة متحف، ومِقود، وخرّازة، ومِرقب، وناسوخ، وحاسوب، وطابعة، وشابكة، ولسانيات، وأحيائيات، وعولمة، وريادة، وحاكمية أو حوكمة، وغيرها مما لا يُعدّ ولا يُحصى من المشتقات التي دخلت بفضل المترجمين واللغويين فأحيتها وأغنتها.

كما لجأ المترجمون إلى المجاز الذي يوسّع في دلالة الألفاظ، فأوجدوا (الطيّارة) التي تدلّ في الأصل على الفرس الشديد، و(السيارة) التي تعني في الأصل (القافلة)، و(الدولة) بمعناها الحديث، بينما وردت الكلمة في لسان العرب بمعانٍ لا صلة لها بدلالتها المعاصرة، فهي ما يُتداول، أو الانتقال من حال إلى حال - على عكس مقابلها الإنجليزي State الذي يعني الثباتَ على الحال، أو هي العقبة والصعوبة في المال والحرب، أو الداهية.

وهناك (المِرنان) هو في الأصل (السحابة)، تحوّل كغيره إلى اسم آلة. و(العضو) أي المنتسبِ إلى جماعةٍ أو حزب، بينما معناها في الأصل: جُزءٌ من مجموعِ الجسد.

كذلك لجأ المترجمون إلى النحت، أو ما يسمى بالتركيب المزجي الذي يقوم على دمجِ جُزء من كلمة في كلمة أخرى، فتعطي كلمة ثالثة بمعنى جديد يجمع بين مدلولي الكلمتين المدموجتين(6). هكذا نُحِتت ألفاظٌ جديدة مثل برمائي، ولاسلكي، ولا مادي، ولا معقول، وجيو- سياسي، وأفرو- آسيوي، وكهرومغناطيسي، وكهرمائي، وسمعي بصري، وغيرها، ليس بقليل.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن النحت وإن كان موجوداً في العربية فهو أسلوب غير مُحبّذ، ينصح اللغويون بعدم التوسُّع في استعماله.

وأخيراً لجأ المُحْدَثون كما القدماء إلى التعريب، وهو أن نتكلّم بالكلمة الأعجمية على منهج العربية، فولّد المترجمون ألفاظاً دخيلة من نحو السفسطة التي اشتقت منها السفسطائية، والكلاسيكي، والرومنسي، والسينما، والفلم، والكمرة، والاستوديو... وهي ألفاظ تبنّتها

لغتنا حين تعذَّرَ إيجادُ مقابلات عربية لها بالاشتقاق أو المجاز أو النحت. إن وجود المعرّبات بالحد الأدنى لا يُضير العربية في شيء فالاقتراض المعجمي أمرٌ شائع بين اللغات، ولئن أَخَذَت العربيةُ من غيرها قديماً وحديثاً، فقد أعطت اللغات الأخرى، وما تزال، الكثير من الألفاظ. ففي الفرنسية كلمتاchiffre وzero تنحدران من كلمة عربية واحدة هي (الصفر)، ومن (القطران) أتت goudron؛ وsirop ليست سوى (شراب)، و(القطن) تحوّل بالفرنسية إلى cotton وبالإسبانية إلى algodon، و(الزرافة) إلى girafe، و(الغزالة) إلى gazelle. كلمة houri الفرنسية ليست سوى (حورية)، وarsenal أصلها (دار الصناعة) ثم آبت من الفرنسية إلى العربية فتحوّلت إلى (ترسانة). وmagazin أتت من (مخازن)، وdouane (مصلحة الضرائب أو الجمارك) أصلها (ديوان)، وtariff (تعرفة)، و jarre (جرّة)، وcramoisy من (قرمزي) وفعل masser مقترضمن (مسّ)... ناهيك عن كلمات من مثل:

fakir,dravich,keif,zein,hammam,kebab,khan,bournos,bakchich,Ba raka,maboul,razziamesquin (من غزوة ومعناها بالفرنسية السلب والنهب) , sofa, goule, djinn, clèbard, chouia, barda'a, mèchoui, café (كلب).

علماً أن تحديد مسار رحلة الكلمات بين الشعوب أمرٌ ليس بالسهل ولا مأمون العواقب. فالبعض مثلاً يرى أن الفعل الفرنسي capter بمعنى (التقط) مقترض من (قبط) أي (جمَع بقبضته)، لكن البعض الآخر يرى أن capter أصلها لاتينيcaperer ومعناها أيضاً (حاول أن يجمع). فمن تراه أخذ مِمن؟ الله أعلم!

المهم أن الاقتراض اللفظي ظاهرة لغوية عامة، بل يكاد يكونُ قدراً لا تسْلَمُ منه لغة، وهو لا يَعيبُها في شيء طالما بقي محصوراً، ولم يؤدِ إلى

تمييـع اللغـة وفقـدانها لأصـولها وهويتهـا. بـل إن في الاقـتراض إغنـاء للغـة والفكـرِ وأنماطِ الحياة على حد سواء، إذ إن الكلمات الوافدةَ تحمل معها مفاهيمَ جديدة، وأدوات وتقانـات، وعـادات ونشـاطات إنسـانية متنوعـة، إلا أن اللجـوء إلى الـدخيل لا يصِـحّ إلا إذا عجزنـا عـن إيجـاد المقابـل العربـي المناسب بالطرائق المعروفة والمنهجيـات المعتمـدة، المؤتلِفـة مـع طبيعـة العربيـة ومبادئها. فالمبالغة باللّجوء إلى المقترض والتعريب، وإقحـامُ الـنصّ بالـدخيل، استسهالاً أو عجـزاً أو استعراضـاً لعضـلات ثقافيـة أو معرفيـة، مـن شـأنه أن يُغلِقَ الـنصَ إلا علـى أهـل الاختصـاص، ويُسـدِلَ حُجبـاً معرفيـة بينـه وبـين القارئ غيرِ المختص.

إن ازدياد التواصل بين الحضارات وتفجّر المعارف العلمية والتقنيـة جعـل ألوفاً من الألفاظ والمصطلحات تتـدفق علينـا، لا بـل وتغـزو لغتنـا، حتـى شـاع اسـتعمالها وتوسّـع تـداولها في حيـاة الخـاصّـة والعامّـة. هـذه الألفـاظ والمصـطلحات هـي مـا نسـميه " ألفـاظَ حضـارة" كونَهـا تجسّـد النشـاط الإنسـاني، وتشتمل على المُنتجِ المادي للفكـرِ عمومـاً.

مـن هنـا نـدب مجمـع اللغـة العربيـة بدمشـق نفسـه للعمـل ضـمن لجانـه المختصّة على رصد الـدخيل والمقترض مـن الألفـاظ الـتي يسـتعملها الكتـاب والمترجمـون، ثـم لا تلبـث وسـائل الإعـلام والتواصـل الحديثـة أن تتـداولها فتنتشر كالنار في الهشيم. وتسعى لجانُ المجمع المختصة إلى وضع مقـابلات عربية لما شاع على الألسن والأقلام من دخيـل ومعـرّب شـاعَ واسـتوطنَ سـاحة التـداول، كالإنترنيـت، والفدراليـة، والتكنـوقراطي، والتيـوقراطي، والـديمغرافي، والإبسـتمولوجيا، والسـيكولوجية، والاسـتراتيجية، والتكنولوجيا، واللوجستي أو اللوجستيكي، والـديناميكي، والبرغماتيـة

والديالكتيكية، والدبلجة، والسيناريو، والسنوغرافية، والسبرنيتية، والكمبيوتر، والماوس، والراوتر، والإنفرتر، والفاكس، والأستوديو، والدوُبلاج، والمِكساج، والشيفرة والتشفير، والجندر ... وغيرها كثير.

كذلك تعمل اللجان العلمية المتخصصّة في مجمع اللغة العربية بدمشق على وضع معاجمَ لمصطلحاتِ العلوم كافة في الطب والرياضيات، والفيزياء وعلوم الأرض، والعلوم الزراعية، وطب الأسنان، والعلوم البيئية، والتقانة والاتصالات والمعلوماتية. كلُّها ثمرة جهود حثيثة، لنخبة من المترجمين واللغويين والمختصين العلميين، في التصدّي لإيجاد مقابلات عربية مناسبة وبما يعبّر بلسان عربي عن دلالات واضحة لا لبس فيها، تخاطب العقل وتتيح له ولوج أبواب العلم الواسعة، وتُطلِق له عنان الإبداع، بدَلَ تقييدِه بالدخيل الغريب المبهم، فاللغة عِماد الفكر وركيزةُ بنائه، ومزاوجة المترجمين واللغويين بين اللغة العربية وعلوم العصر هي للفكر العربي أحد سبل التقدّم والإبداع، وتوفِّر شرطاً لازماً من شروط توطين المعرفة.

إن رصداً سريعاً للغة الإعلام المعاصرة كفيل بإظهار الدور المتعاظم الذي تلعبه الترجمة في توليد مئات العبارات الاصطلاحية التي استُحدِثت، واستوطنت لغتنا باستعمال أسلوب الترجمة بالنسخ calque، وهو عادة أسلوب غيرُ مستحب كونُه ينزعُ إلى الحَرفية في الترجمة، لكنه دون شك أغنى لغتنا بمئات العبارات الاصطلاحية المعاصرة مثل: صفيح ساخن، صمّام أمان، صمت انتخابي، صناعة الموت، ضوء أخضر، وضوء أحمر، وإنذار برتقالي، خط ساخن، التوقيع على بياض، التوقيع بالأحرف الأولى، الضخ الإعلامي، الضرب تحت الحِزام، تدوير الزوايا، تعديلات تجميلية،

المطبخ السياسي، نيران صديقة، رايات كاذبة، تدوير البنادق، عقوبات ذكية، على نار هادئة، دائرة الاهتمام، بؤرة اهتمام، النظر من زاوية، حالة الطوارئ etatd,urgence، الموت الرحيم، الفراغ الأمني، نصيب الأسد، تضييق الهوّة، تضييع البوصلة، الطريق المسدود، الضوء في أخر النفق، سياسة العصا والجزرة، لعِبَ دوراً، لعب كلَّ أوراقهِ، كَشَفَ أوراقه، وجهاً لوجه، فوق القانون، تحت القانون، محرّك البحث، بوابة إلكترونية، إلخ. وهذا غيض من فيض عبارات اصطلاحية لا تُعدّ ولا تُحصى، ولّدتها الترجمة بالنسخ، ولا يسعُنا أن نتخيّل خلوَّ اللغة العربية المعاصرة منها، عباراتٌ أغنتِ المُعجَم العربي، ووسّعت بالمجاز دلالات المداخل المُعجميةِ نفسها.

إلا أن أثر الترجمة في لغتنا لم يقتصر على الاقتراض المعجمي، بل تعدّاه، وإن بقدر أقل، إلى الافتراض النظمي، إذ شاعت على الألسن والأقلام تراكيب لغوية هجينة غريبة عن أصول النحو العربي، دخلت عبر الترجمة بالنسخ التركيبي من لغات كالفرنسية والانجليزية، فكاد المفعول المطلق المؤكّد للفعل أن يختفي من لغتنا المعاصرة، وشاع استعمال فعل مساعد هو "تمَّ" حلّ محلّ صيغة المبني للمجهول التي تكاد تندثر في لغة الإعلام. كما دخلت صيغ هجينة منسوخة كصيغة المبني للمجهول معلوم الفاعل، شاعت في التداول إلى حدٍّ بات لزاماً معه على النحويين إعادةُ النظرِ في بعض قواعد النحو بما يتلاءم وتلك التطورات.

وبعد، فقد لعبت الترجمة، وما تزال، دوراً عظيماً في إغناء اللغة العربية بالألفاظ والمصطلحات والدلالات والأساليب، حتى ليكاد دور الترجمة يوازي دور الشاعر قديماً في إثراء العربية لفظاً وأسلوباً. إلا أن

مسؤولياتٍ جساماً تقع أيضاً على عاتق المترجم في الحفاظ على اللغة سليمة من كل شائبة. بل يكاد عمل المترجم إلى العربية يلامس في جانب منه عمل اللغوي؛ فهو في سعيه إلى نقل معاني اللغةِ المصدر ومدلولاتِها إلى اللغة الهدف، ودأبه على صياغة المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية وفق أبنية اللغة العربية الصرفية وتراكيبها النحوية، إنما يستنبط قواعدها الناظمة لعمل العربية، ويطوّر مخزونها، ويوسّع آفاقها، كي يتلاءم مع حاجات العصر، دون أن يقحِمَ فيها ما ينبو عن القياس ويلحِق بها التشويه. وبالمقابل تقع على اللغويين مسؤوليةُ رصدِ الآثار اللغوية للترجمة، والتدقيق فيها، وتنقيتها من شوائبها، إلى جانب إثبات مآثرها، بما يحصّن لغتنا ويحميها من الضياع والذوبان في عولمة ثقافية وفكرية تدجِّن العقل وتطيح بالتميّز، فتمحو الهوية الوطنية، وتضعف ثم تلغي حسّ الانتماء الوطني والتجذّر الثقافي.

هوامش:

1ـ ونعني بالترجمة الثقافية الحضارية نقل الآداب والعلوم المختلفة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، بما في ذلك الترجمات السياسية والمالية والاقتصادية والإدارية والقانونية، إلخ.

2ـ راجع جوناثان ليونز، **بيت الحكمة**، ترجمة مازن جندلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، العراق، بغداد، 2011 ص. 91.

3ـ المرجع نفسه، ص. 92.

4ـ راجع عبد الفتاح مصطفى غنيمة، "**واقع الترجمة العلمية بين ماضي الحضارة العربية وآفاق الترجمة في العصر الحديث**"، (ص 177- 190)، مؤتمر الترجمة في الدول العربية أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، الجزء الأول، سورية، اللاذقية، 26- 28 حزيران 2006.

5ـ المرجع نفسه، ص. 92.

6ـ راجع ممدوح خسارة، "**ترجمة السوابق واللواحق**،" (ص. 325- 346)، مؤتمر الترجمة في الدول العربية، أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، ج1، اللاذقية، 26- 28 حزيران 2006.

د. منتجب صقر

رهانات الترجمة المسرحية الحركية

مقدمــة

في هذه المداخلة سوف أركز على جانبين:

الأول: أهميــة ترجمــة الأعمــال المســرحية في نشوء الثقافـة بـين الشعوب والثانـي: خصوصيـة الترجمة المسرحية.

في هــذا الإطــار ســوف أقــدم لمحــة عــن ترجمـات عاليـة كان لهـا تأثـير كبـير في إحـداث تغيير جـذري في فهـم المسرح كمـا سـأقدم وجهـة نظري بالنسبة للترجمـة المسـرحية وفقاً لعمليـة إلقـاء النـص المسـرحي. انطلاقـاً مـن تجربـتي الشـخصية لترجمــة المســرح ومــن أعمــال مترجمين آخرين.

سوف أثير مسألة تخص الترجمة المسرحية والـتي غالبـاً مـا يغفلهـا المترجمـون المسـرحيون ألا وهـي الترجمــة الحركيــة أي ترجمــة النــص المسـرحي وفقـاً لطريقـة إخراجـه وإمكانيـة إلقـاء الكلام على الخشبة.

إن هذه الملاحظة لا تعني أبداً تحميل النص المسرحي مضامين وأبعاداً أخرى خارجة عن محتواه بل على العكس تهدف لنقل الجانب الحركي الذي يميزه. فالنص المسرحي يتميز أنه نص "ناقص" كم تقول الناقدة الفرنسية آن أوبرسفيلد(1) لأنه مكتوب ليعدّ على الخشبة وبالتالي يتعدى كونه مجرد نص أدبي. وهنا فإن ترجمته تستوجب التفكير بكيفية إعداده على الخشبة. هذه الفكرة لا تعني إلزام المترجم برؤية العرض المسرحي قبل ترجمة النص فهذا الأمر قد لا يكون غالباً ممكناً، بل على المترجم أن يدرك الطبيعة الخاصة للنص المسرحي.

إن هذه العملية، أي الترجمة وفقاً لحركات الممثلين على الخشبة، تتحقق عبر طريقتين:

الأولى: ترجمة الإيضاحات النصية بشكل جيد وعدم اختصارها فهي تمثل الطرق الرئيسة التي تسير عليها كلمات النص المسرحي. هذه الملاحظة تشمل على وجه الخصوص النصوص المسرحية التي تكثر فيها الإيضاحات النصية التي تشكل امتداداً لكلام الشخصيات وبالتالي فإن فهم ذلك الكلام لا يتم إلا من خلال فهم حركتهم على الخشبة. وهنا نشير إلى أن الكتابات المسرحية المعاصرة بدأت تعطي هذه الإيضاحات مساحات واسعة خصوصاً بعد الحقبة الطليعية في الستينيات من القرن المنصرم.

الثانية: في حال ندرة هذه الإيضاحات يجب على المترجم الانتباه إلى بنية النص المسرحي بحد ذاتها أي يجب أن يراعي طبيعة الكلام الذي يستخدمه الكاتب المسرحي. يجب أن يطوع قدراته لخدمة النص الذي يترجمه متنكراً لذاته فلا يضع في ترجمته تعابير يفضلها أو أكليشيهات جاهزة لدى رؤيته لكلمة أو لمصطلح ما.

وفي هذا السياق نتساءل: ما هي صعوبات العمل المسرحي؟ و"ما هي الشروط التي يجب توافرها في من يقوم بترجمة الأعمال المسرحية؟. إن

صعوبات الترجمة المسرحية واقع علينا بحثه كون الترجمة الأدبية وخصوصاً المسرحية أصعبُ كثيراً من العلمية، إنها تحتاج إلى التأنق ومزج روح المترجم بروح المؤلف. وهى تحتاج أيضاً إلى دراية عميقة بالموضوع وباللغة المنقول منها.

يجب أن يكون مترجم النصوص المسرحية مبدعاً فالنص المسرحي يُعدُّ، إن من حيث المضمون أو شكل التعبير، كائناً حياً، ديناميأً، حيوياً ومتطوراً ومعناه غير قابل للنفاد. وهذا لأنه يتكون من شبكات دلالية معقدة تجعل من تعدد القراءات، دون هدم البنيات، أمراً ممكناً بحيث أن الترجمة المسرحية تظل، إذن، أكثر من أي نوع من أنواع التحويل والنقول، اقتراحا ذاتياً إلى حدٍ بعيدٍ.

غالباً ما يكون العمل المسرحي غير قابل للترجمة لصعوبة إيجاد نسخة مطابقة له، واستحالة إعادة إنتاجه مع الحفاظ على كل تشعبات اختياراته الأصلية. الترجمة المسرحية لا يمكن أن تكون إلا إنتاجاً لعمل آخر، أي لنص مستقل له الوضع الاعتباري نفسه. ليس المهم، في هذه الحالة، هو استنساخ النص الأصل، بل هو إنتاج أصل جديد يحل محله. وهنا فإن مترجم المسرح يقوم دائماً بإنتاج نص مسرحي آخر ما دام هناك تجاوز للحرفية، وما دام هناك تحويل وانزياح، أي بعبارة أخرى تملك. فالمترجم المسرحي مجبر، بمعنى من المعاني، على أن يكون حراً، ربما أكثر حريةً من زملائه المترجمين في المجالات الأخرى لكنه يبقى خاضعاً لبعض القواعد حتى يظل التلاقي بين النصوص أمراً مضموناً. هذه الحرية في الترجمة ترتبط بشكل أساسي في كون النص يترجم لكي يمثل على الخشبة وليس فقط للقراءة.

إذا كان الأدب يحقق جزءاً من التفاعل عبر الترجمة والتناص بمفهومه التداولي، فالمسرح لا يكتفي بترجمة النصوص فقط، بل يهتم بإعادة إنتاج

هذه النصوص على شكل عرض مسرحي ينتمي إلى بيئة مغايرة ويبنى على شكل حوار لنص ينتمي إلى ثقافة أخرى.

ترجمة النص المسرحي وفقاً للحركة على الخشبة:

يجب عدم الاكتفاء باستخدام القاموس في ترجمة النص المسرحي وعدَّهُ أداةً كافية لنقل النص من لغة إلى أخرى وإنما يجب أن ينتبه المترجم المسرحي إلى الإيضاحات النصية التي تحدد حركة الممثلين على الخشبة وبالتالي يكون لها تأثير كبير على طريقة كلامهم. وهنا فعلى هذا المترجم علاوة على إتقانه للغتين المنقول منها والمنقول إليها أن يَحضر الكثير من العروض المسرحية بحيث يتسنى له فهم لعبة الممثلين على الخشبة. وعليه فإن إدراك أهمية الإرشادات النصية كحامل لكلام الشخصيات ومحرك أساسي للحدث المسرحي يدفع المترجم لنقل روح النص وفقاً لمقتضيات هذا الأخير ولكيفية توزع الكلام على الخشبة. بهذا الأمر يمكن للشخصيات أن يعيش النص المترجم كما لو أنه كتب بلغتها ومن دون أن تشعر بثقل كلماته. مثال: في مسرحية هاملت- بعد أن يقتل هاملت عمه- يتقدم إلى الخشبة ويقول "Here"، ترجمت هذه الكلمة ب "هنا" وهذا خطأ لأنه لم ينتبه لأهمية عودته إلى الخشبة ودلالاتها الحركية فعليه أن يترجمها ب "ها قد عدت" أو "ها أنذا" بحيث يتم التعبير عن تلك الحركة. وهكذا ينبغي على المترجم أن يعتني بترجمة النص المسرحي بأكمله كما يراه في النص بما فيه الإيضاحات النصية التي تشرح توضعات الشخصيات على الخشبة.

يجب على المترجم المسرحي ألا يتعامل مع النص المسرحي كونه عملاً أدبياً فقط بل يجب العمل عليه وفقاً لآليات إخراجه في اللغة المنقول إليها. بعبارة أخرى الصفة الأدبية للنص المترجم قد تبعده عن عفويته وبساطة اللغة التي كتب بها.

مثال: A la Renverse(2) مسرحية للكاتب الفرنسي ميشيل فينافير، بدلاً من ترجمة العنوان أدبياً ب "رأساً على عقب" (دون أن ننكر وجود العبارات الأدبية التي تفيض بها المسرحية) يجب ترجمته ب"بالمقلوب". هذه الكلمة مستمدة من محتوى المسرحية التي تسرد وقائع شركة إنتاج أدوات تجميل أصيبت بالإفلاس بعد أن أصيبت امرأة بمرض جلدي لدى استعمالها لمواد التجميل التي تنتجها الشركة وبالتالي فإن وضع هذه الشركة قد أصبح بالمقلوب.

مثال: تترجم الكلمة الفرنسية Espace أحياناً بكلمة "مكان" بالعربية. وهذا غير صحيح لأنها تعني في المسرح بالفضاء.

مثال: تترجم عبارة Quel bruit ب " يا لتلك الضجة" وهي ترجمة أدبية ترفع من مستوى شعرية النص. لكن على الخشبة يستحسن أن تترجم ب "يا للضجة" حيث أن الممثل لا يشعر بثقل العبارة الأولى.

مثال: تترجم جملة Nous n'avons pas tout à fait les mêmes définitions sur ce point.

"ليس لدينا التعريف ذاته لهذه النقطة" وهي ترجمة أدبية لأن كلمة ذات تُعدُّ توكيداً معنوياً لكلمة التعريف. الأحرى ترجمة الجملة بطريقة تسهل قراءتها على الخشبة "ليس لدينا التعريف نفسه لهذه النقطة"

المترجم المسرحي:

لا بد من توافر مواصفات بعينها فيمن يقوم بالترجمة المسرحية، إذ لا تكفي معرفته باللغة الأصلية للنص معرفة أكاديمية، بل تلزمه ممارسة واعية متفهمة لمدلولات الألفاظ في تلك اللغة، مع دراسة دقيقة للزمان والمكان والخلفيات الاجتماعية والنفسية التي كتب فيها النص. وأيضا دراسة لغوية دقيقة لمدلولات الألفاظ، في اللغة التي يترجم إليها. إذ أن للمسرح لغته الخاصة، فيها تناسق شديد بين اللفظ مع غيره من الألفاظ، وبين اللفظ وإيقاعه الدرامي، مع إدراك لفنون البيان والبديع في اللغتين.

يقول جان فيلار: "النصوص المسرحية الجيدة تحافظ على إيقاع معين. عموماً يصعب على المترجم إيجاد هذا الإيقاع. شخصياً أحبذ النص الذي ينطوي على نفس واحد. وللأسف معظم النصوص المترجمة لا تتنفس"(3).

في هذا الإطار يفضل أن يكون مترجم المسرح "دراماتورج" يتقن اللغة الأجنبية التي يترجم منها ويفضل أن يقوم بهذا العمل مع مخرج العرض الذي يمكن أن يقدم له الإيضاحات اللازمة المتعلقة بخروج ودخول الشخصيات على الخشبة وطريقة كلامها وبالتالي فإن هذه التفاصيل تقتضي لغة مسرحية تتناسب مع لعبة الممثل.

على مترجم المسرح "الدراماتورج" أن يتعامل مع النص بنظرة فنية عصرية، فيعيد تشكيلة البناء الدرامي بحس متفرد، وإعادة صياغة الحوار، مع اختصار فني بليغ للحوارات المطولة، التي لم يعد للجمهور اليوم طاقة على سماعها، أو الإصغاء إليها، مع مراعاة إمكانية الممثلين في التعامل مع لغة ميسرة متداولة، مع إعادة ترتيب الأحداث، والمشاهد، والنهاية، حتى يحدث إيقاعا حيويا من الناحية الفنية، كل ذلك من دون الإخلال بأمانة المترجم في التعامل مع النص.

يجب على المترجم أن يضع نصب عينه استخدام لغة تجري على لسان الناس، ألفوها، وأنسوا إليها، وغير مجهدة في محاولة تتبع مغزاها، وذلك من خلال حوار يتسم بالرشاقة اللفظية، مع مواءمة الألفاظ للسياق العام، وللإيقاع الدرامي النابض بالفن، والتركيبة الشخصية، وهذا الأمر لا يتم إلا من قبل شخص يتوافر لديه الحس الدرامي، والمعرفة بأحوال الحركة المسرحية، وظروف الإنتاج. بتوافر هذه الشروط تتحقق له المصداقية الدرامية من خلال رؤية متكاملة للنص من حيث مفرداته، مع الاهتمام الفني لإبراز مفهوم النص وعناصره الأساسية.

الترجمة فن قائم بذاته، يغذي المسرح بروائع الإبداع العالمي، وهي ترجمة تفسيرية درامية، تفسر النص، وتعيد صياغته، يقوم بها خاصة ممن

لهم الحس الدرامي مع معرفة دقيقة باللغتين، ولا بد للمترجم أيضا من معرفة بفن التمثيل المسرحي، مدركا أنه يؤدي رسالة سامية في تفاعل الحضارات، وحوارها الدائم، يختار مفرداته بعناية، ويوظف أنسب أشكال اللغة سواء أكانت فصحى أم عامية ويترجم إليها. وهكذا لا بد من تكامل عناصر الترجمة المسرحية بعينها حتى تحقق هدفها المنشود بعيدا عن النقل الحرفي.

بعض المترجمين المسرحيين يقدمون ترجمات تلخيصية لا تتناسب مع روح النص فهم يغيرون في تركيب الجمل والكلمات التي ينقلونها إلى اللغة لأخرى وذلك وفقاً لمقتضيات القافية والوزن. وبالتالي فإن الحوار المسرحي يبدو غير متوازن وبعيد عن المضمون الأصلي وروح النص، الذي قصده الكاتب بتركيبات حواراته. وفي هذا السياق إن استخدام الألفاظ الطنانة يراد به التأثير على المتلقي وتقديم نص مترجم يهتم بالصيغة الشكلية أكثر مما يحافظ على المستوى اللغوي والأداء المسرحي للممثلين على الخشبة. هذه الترجمة لا ترقى إلى مستوى الإبداع الذي يحرص الكاتب على سبكه وبالنتيجة فإن رموز العمل الدرامي تضيع ويتلاشى البعد الجمالي الذي يحتضنه النص الأصلي.

فترجمة النص المسرحي يجب أن تراعي نقل الأحاسيس والمشاعر من دون إرهاق النص بالعبارات الرنانة الغريبة عن ماهية وطبيعة العمل بحيث أن الممثلين سيضطرون في نهاية الأمر للتكيف مع النص المترجم وفقاً لما يقدمه المترجم أي التمثيل بأصوات مستعارة متشنجة تقيد الحوار. فعندما لا يشعر الممثل بروح النص فإنه سيعتمد على قدراته الشخصية وخبرته في التعامل مع النصوص الأجنبية لإيصالها للجمهور. هذا الأمر قد لا يتم في غالب الأحيان فعندما لا يسمع الجمهور النص بشكل واضح وعندما لا تصل له عبارات واضحة نتيجة عملية الترجمة الحرفية فإن مسألة التواصل

بينه وبين الممثل ستفقد أهم مرتكزاتها وبالتالي لا يحدث التفاعل المرجو معه الذي يعد من أهم غاية من غايات العمل المسرحي.

إن الترجمة المسرحية تقودنا للتفكير بين طبيعة النص وماهية العمل المسرحي وكيفية إعداد النص لتحويله إلى عرض وبالتالي أهمية إلقاء الكلمات على الخشبة وتلقيها من قبل الجمهور. هذا التلقي لن يتكامل إلا عند وجود نص متماسك البنيان.

خلاصة:

هذا المقال يركز على إعطاء الأولوية لترجمة الدلالة الحركية للنص المسرحي قبل بعده الأدبي بحيث أن الخشبة يجب أن تسقط بظلالها عليه قبل أن يؤديه الممثلون عليها أمام الجمهور. على المترجم أن ينقل للمخرج لغة العرض التي يمكنه التعامل معها أثناء إخراجه للنص. فحركات وتوضعات الشخصيات التي تصفها الإيضاحات النصية تمثل جزءاً لا يتجزأ من النص المسرحي وإن فهم هذه الإيضاحات يسهل عملية الترجمة ويعطي للنص المسرحي دينامية حركية تجعله أقرب للنص الأصلي. على المترجم أن ينقل لنا اللغة الشفهية والحركية التي ينبض بها النص وبذلك يكون قادراً على حمل روح النص من لغة إلى أخرى محافظاً على الكيمياء التي كتب فيها.

إن الترجمة خيانة لكنها خيانة جميلة.

هوامش:

1- Anne Ubersfel, *Lire le théâtre I*, Ed. Sociales/ Messidor, 4ème édition, 1982.

2- Michel Vinaver, *A la Renverse*, Ed. L'Arche, Théâtre complet 4, Paris, 2002.

3ـ جان فيلار، "حول التقاليد المسرحية"، دار لارش، باريس، 1955.

دراســـات

د. نورا أريسيان

الترجمة الفورية ووظيفتها التنموية

تعـد الترجمــة الفوريــة نشــاطاً فكريــاً وإبداعيــاً يقــوم علــى أســاس اكتســاب مضامـين معرفيـة متكاملـة والعمـل علـى نقـل هــذه المضامــين بطــرق شــتى. وفي الحقيقــة مهمــة الترجمــة الفوريــة هــي مســألة معقـدة ومتشعبة ودقيقة وتتطلب مهارات متعددة.

وانطلاقـاً مـن تجربـتي الشـخصية في حقـل الترجمــة. لاســيما في الترجمــة الفوريــة. ســأحاول تســليط الضــوء في ورقــتي علــى أهميــة الترجمــة الفوريــة ضمــن رؤيــة تطبيقيــة، وإبـراز دورهـا في تبـادل الخـبرات وتطوير العلاقات بين الدول.

تــبرز الترجمــة الفوريــة في المؤتمــرات الدوليــة السياســية والاقتصاديــة والعلميــة، كمــا لهــا أهميتهــا الخاصــة في تغطيــة الأحداث ذات الصبغة العالمية.

وللترجمة الفورية أنواع مختلفة: الترجمة الفورية المتزامنة والترجمة التتابعية والترجمة الهمسية، التي تعرف أيضاً باسم الوشوشة. ونجد تداولها في ترجمة المؤتمرات وترجمة الحلقات الدراسية، وترجمة المُرافق (تعود إلى الترجمة التي تقدم للموظفين الرسميين ورجال الأعمال والمستثمرين والمراقبين والدبلوماسيين).

وكذلك الترجمة الإعلامية: وتستخدم في مؤتمرات صحفية واجتماعات عامة ومقابلات وكذلك أفلام وشرائط فيديو ومؤتمرات تدار عبر الفيديو وبرامح الإذاعة والتلفاز.

والترجمة في المحاكم وتعرف أيضا بالترجمة القانونية.

والترجمة التجارية، والترجمة الطبية، والترجمة التربوية، وترجمة الهاتف: وهي معروفه أيضاً بالترجمة عن بعد.

بالإضافة الى عملية الترجمة التي يقوم بها الدليل السياحي، وهذا يقودنا الى ضرورة تسليط الضوء والاهتمام بالسياحة التاريخية وغيرها من أشكال السياحة في سوريا.

وتختلف الترجمة الفورية عن الترجمة التحريرية في جوانب عديدة أهمها الإصغاء والفهم والتحليل وتبليغ الرسالة في وقت محدود للغاية.

يعرِّف الأستاذ شحادة الخوري الترجمة الفورية بأنها "الترجمة التي تتم شفوياً تلبية لاحتياجات التفاهم بين المتكلمين بلغات مختلفة وهي اختصاص لا يتقنه إلا المتفوقون". وهي من أصعب التراجم الشفهية نظراً لأنها الوحيدة التي تقتصر على استخدام المترجم لحاسة السمع فقط، بينما الأخريات يتم فيهن استخدام البصر والسمع واللمس أو اثنتين منهما على الأقل.

تمر الترجمة الفورية في مراحل عديدة: الإصغاء والتحليل للخطاب وإعادة الصياغة التي تعرف بـ re-verbalization.

وقد دخل مقرر الترجمة الفورية في مناهج الجامعات، ليتعرف الطلاب على أسسها وأصولها.

ومن مستلزمات الترجمة الفورية إجادة نظامين لغويين مختلفين تتم عملية الترجمة بينهما بشكل أحادي الجانب أو ثنائي الجانب.

ومن المفيد هنا الإشارة الى الجو العام الذي تجري فيه الترجمة الفورية، لاسيما المؤتمرات التي توفر كل مقومات انعقاد المؤتمر بشكل احترافي من موارد بشرية وتقنيات وغيرها، ولذلك من الضروري الاستثمار في صناعة المؤتمرات الدولية والإقليمية، بما فيها عملية الترجمة الفورية من غرف خاصة، ومعدات ومترجمين محترفين.

ويمكن اختصار معوقات الترجمة الفورية بالنقاط التالية:

- تلاشي الكلمات بشكل طبيعي بعد سماعها بقليل.
- عدم وضوح الفكرة لكونها مغلفة بالكلمات.
- قلة الوقت للموازنة بين ما سمعه وأوشك أن يتلاشى وما سيقوله انطلاقاً منه.
- الصراع مع اللغة الأخرى والجهد العسير لفصل ما يقوله عما سمعه.
- صعوبة الوصول إلى مدلول الكلمة يجعل عملية الترجمة غير مباشرة.
- قصر الوقت بين مراحل الإدراك السمعي واستخلاص المعنى والترقنة والتعبير باللغة الهدف.

- عدم إمكانية تدوين إلا أشياء محدودة جداً.
- سيطرة اللغة الأجنبية تكاد لا تدع له مجالاً لتمييز التداخلات اللغوية.
- تباعد النظامين اللغويين بالنسبة للمترجم العربي يُعدُّ عائقاً كبيراً.
- مشكلة قصر الذاكرة الفورية.
- مشكلة الفراغ المفرداتي الناتجة عن اختلاف الشعوب.

وفق تجربتي المتواضعة في هذا المجال سألخص ما يمكن القيام به للتدرب:

1. تمارين مصطلحاتية تفيد في تنشيط الذاكرة، وإعداد أكبر قائمة مصطلحات يمكن أن ترد أو تستخدم في المجال المطلوب.
2. استخلاص الأفكار الرئيسة لنص ما.
3. تدريب المراجعة للمفردات والجمل أحادية المعنى، وكذلك الأرقام والصفات العددية والتواريخ والنسب المئوية والكميات التقديرية وأسماء البلدان والعواصم وأسماء سكان الدول وكذلك الألقاب والمسميات الوظيفية في مجال السياسة والعلاقات الدبلوماسية. وكذلك بالكلمات اللاتينية واليونانية التي قد ترد في كلام المتحدث ولا يوجد ما يقابلها.
4. تطوير المستوى الثقافي من خلال متابعة أحداث الساعة سواءً عن طريق القنوات أو عن طريق بعض المواقع المتخصصة بذلك على الشبكة العنكبوتية.

عوامل نجاح الترجمة الفورية :

1. المعرفة اللغوية القصوى لكل من النظامين.
2. الخلفية الثقافية الغنية.
3. المتابعة المستمرة لأحداث الساعة أو الموضوع المترجم.
4. الذاكرة النشطة الحاصلة نتيجة القراءة والاطلاع عن طريق وسائل الإعلام كافة.
5. سرعة البديهة وحسن التصرف عند مواجهة صعوبات معينة.
6. سلامة اللفظ في اللغة الأجنبية.
7. الجرأة والطلاقة الغالبتين على لغة المترجم.
8. التمتع بالروية والسرعة بآن معاً والحفاظ على نبرة صوت موحدة.

ونخلص إلى أن الترجمة الفورية بحاجة إلى أعلى حد ممكن من التركيز. وكذلك التدرب التقني الكافي على أجهزة مختبرات الترجمة الفورية.

وأود أن ألفت النظر هنا إلى الترجمة الفورية التي يوفرها الإنترنت، التي سميت الترجمة الآلية حيث تتم من خلال الخدمة المجانية لترجمة اللغات على الإنترنت من محرك البحث Google ترجمة النصوص وصفحات الويب بصورة فورية. ويتيح برنامج الترجمة القيام بترجمة من وإلى العديد من اللغات .

وهناك برامج عديدة للمترجم الفوري متوفرة على الشبكة العنكبوتية. حيث تنشر الشركات عبر إعلاناتها ما يفيد أنه "إذا كنت تحتاج إلى مترجم على الإنترنت، فلقد وجدت المترجم الأفضل هنا. إن

Babylon يضع تحت تصرفك هذا المترجم الآلي للكلمات والنصوص والعبارات وغيرها. ويمكنك البحث عن ملايين المصطلحات في قاعدة بيانات Babylon التي تضم أكثر من 1400 قاموس ومسرد من أكثر مجالات المعلومات تنوعًا. كل ذلك متاح بأكثر من 80 لغة".

وتؤكد تلك البرامج أنها تقدم الفرصة الكبرى للترجمة الفورية المجانية، وتعلن أنه "يمكنك من خلال الموقع أن تقوم بترجمة جمل كاملة، والحصول على مرادفات ومتضادات، والترجمة من أي لغة إلى أي لغة تقريبًا. ويعد Babylon أداة هامة لملايين المستخدمين في جميع أنحاء العالم وبمعدل نجاح عالٍ من العملاء الراضين الذين يستخدمون برنامج الترجمة الخاص به. ويقوم المستخدمون - من خلفيات متنوعة - بالترجمة واسترجاع المعلومات ببساطة من خلال النقر على أي مستند على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم باستخدام برنامج Babylon؛ وقد تم التصويت عليه من قبل الملايين بوصفه أداة الترجمة الأكثر ملاءمة المتاحة في السوق."

في الحقيقة ربما استخدام تلك البرامج مفيد لغرض الاستئناس أحياناً لترجمة بعض المفردات فقط. فترجمة الجمل والمقاطع عن طريق تلك البرامج أمر خطير يتسبب في تشويه النص.

وفي النهاية، نخلص إلى أن أنواع الترجمة الفورية كافة موضع توسع هائل، وخاضعة للتحديث وفق التطور الاجتماعي والثقافي والسياسي والتقني.

ومن جهة أخرى، لابد من الإشارة إلى أن الترجمة سواء كانت فورية أو كتابية رسمية من رسائل واتفاقيات تلعب دوراً مهماً في تعزيز العلاقات بين الدول. وكذلك نقل المعرفة إلى الآخر، والتعرف إلى تجارب الآخر، للاستفادة منها في تطوير العلوم، ما يسهم في التنمية الوطنية.

وتعد الترجمة عاملاً أساسياً من عوامل النهضة، وهي إحدى الوسائل المهمة في تحقيق التنمية الشاملة. كما تلعب الترجمة دوراً كبيراً في تطوير اللغة دلالياً وتركيبياً وتسهم في نقل المعارف ونتاج الفكر العلمي والأدبي والثقافي بين الثقافات وتبني واقعاً فكرياً جديداً لتطوير الحاضر وتخطيط المستقبل.

لا يمكننا تجاهل حقيقة أن البحث العلمي يتطور دائماً بفضل التراكم المعرفي من الترجمات للبحث العلمي، ويسهم بذلك التطور العلمي.

ومن الطبيعي أن تفضي تلك البحوث المترجمة إلى مشاريع عملية تسهم في حل قضايا علمية واقتصادية وثقافية وتدفع العملية التنموية في البلاد إلى الأمام. وربما نصل يوماً ما إلى حد يترجم فيه البحث العلمي العربي إلى لغات أجنبية.

ولكي نؤمن دوراً فاعلاً للترجمة في التنمية الوطنية ينبغي الاستفادة من قدرات كل الطلاب المتخرجين الجدد والمترجمين المبتدئين ودفعهم إلى ميدان الترجمة، وكذلك ينبغي دعم المترجمين مادياً ومعنوياً.

وهذا يتطلب التعاون بين كافة المؤسسات المعنية بالترجمة، بالإضافة إلى إعداد كتب لتوحيد المصطلحات الخاصة بمجالات مختلفة.

جميعنا مقتنعون بأنه لا يمكن تحقيق التنمية والمعرفة من دون عملية الترجمة والتواصل مع الآخر.

ماذا تلبي الترجمة؟ أعتقد أن الترجمة تلبي حاجتنا إلى التواصل، من أجل التواصل مع الآخر، والسير خطوة إلى الأمام والتقدم في ذلك المجال المرجو. إلى جانب ذلك، فالترجمة تلبي حاجتنا في التطور وتحقيق تغيير في حياتنا ومجتمعنا وبالتالي ارتبط دور الترجمة بالتنمية. ولذلك ينبغي ان

تكون الاستراتيجيات مرسومة في حقل الترجمة، فيما إذا أردنا الاستفادة من مجتمع ما.

وهذا ما يجعلنا نعيد النظر ربما في ترجمة المسلسلات التركية التي لم تسهم في عملية التنمية، بل أساءت إليها، في حين نجد أن ترجمة كلاسيكيات الأدب الصيني أو الروسي ساعدت في الاطلاع على الآداب الأجنبية.

أما الترجمة في الحقل العلمي فهو باب التقدم والنهضة العلمية، وأكبر إسهام في تنمية البلاد، ولذلك تتسابق الدول إلى نشر الدراسات والمنشورات الصادرة في المحافل الدولية والمنتجات التي يمكن أن تستفيد منها، لكي يتم استثمارها في مشاريع تنموية.

حقيقة، لقد باتت الترجمة تكتسب أهمية أكثر أمام التقدم العلمي في كل المجالات.

فعلى سبيل المثال أدرج المترجم الفوري على رأس وظائف المستقبل أو العصر في العديد من الدول مثل الصين؛ وذلك مع زيادة التبادل الاقتصادي بينها وبين الدول الأجنبية، وكذلك ترجمة الدراسات الاقتصادية التي تستند إليها اليابان من أجل الإسهام في التنمية وزيادة الإنتاج في التبادل الاقتصادي.

في الحقيقة، يجب ألا نغفل الدور الذي تلعبه الترجمة وخاصة الترجمة الفورية في السياسة والانفتاح السياسي والثقافي لدى العديد من الدول.

ومن المفيد الإشارة إلى الأهمية التي تكتسبها الترجمة الفورية في عملية التنمية وتطور الدول خصوصاً مع وجود مترجمين محترفين وميزانيات خاصة بالترجمة.

ونشير إلى أنه في مؤسسة اليونسكو، بلغ عدد الصفحات المترجمة في اليونسكو في عام 1982 مائة وخمسين مليون صفحة مترجمة، من خلال 175 مترجماً محترفاً.

ونذكر بأنه اعتمد قرار يقضي بتعزيز استخدام اللغة العربية في اليونسكو في عام 1966، وتقرر تأمين خدمات الترجمة الفورية إلى العربية ومن العربية إلى لغات أخرى في إطار الجلسات العامة، وترجمة وثائق مهمة إلى العربية.

وفي عام 1968، قرر المؤتمر العام اعتماد العربية تدريجياً مع البدء بترجمة وثائق العمل والمحاضر الحرفية وتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى العربية.

كما اعتمد المؤتمر العام في عام 1974 اللغة العربية لغة عمل وقرر وضعها في المكانة نفسه التي تحظى بها اللغات الأخرى. وعلى أثر اعتماد العربية لغة عمل في الهيئتين الرئاسيتين لليونسكو، شرعت المنظمة إلى ترجمة الوثائق الرسمية والمحاضر إلى العربية وتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى هذه اللغة خلال الاجتماعات والمؤتمرات.

وفي الوقت الراهن، في عصر تعدد الوسائط وعصر المعلوماتية، برز دور الترجمة التنموي، في تطور بنية المجتمع وتقدمه حين لعبت دوراً محورياً في تبادل الخبرات والتنمية الاجتماعية والزراعية والإدارية. فقد أضحت أساس التغيير في كل شيء؛ وأهمها تغيير المجتمعات والبلاد.

في النهاية، وانطلاقاً مما سبق، أسجل بعض النقاط كتوصيات يمكن الاستعانة بها للإعلاء من شأن الترجمة في سوريا ولما لها من وظيفة تنموية هامة:

1- أن تعمل الجامعات السورية على إدراج اللغات التي يتزايد دور شعوبها في الشأن الدولي اقتصادياً وسياسياً في أقسامها اللغوية لحاجة السوق المحلية والعربية إليها.

2- أقترح أن نستخدم كلمة مترجم على من يقوم بترجمة النصوص، وكلمة ترجمان على من يقوم بالترجمة الفورية والشفهية للتمييز بينهما.

3- الفصل بين تعرفة الترجمة وتعرفة التأليف لأنهما صناعتان مختلفتان.

4- السعي لدى الجهات المعنية لرفع تعرفة كل أنواع الترجمة بما يحفظ مواردنا البشرية.

5- ترسيخ هذه الفعالية في حياتنا الثقافية بمناسبة اليوم العالمي للترجمة كل عام.

دراســـات

هيثم الحافظ

واقع الترجمة في دور النشر السورية الخاصة

الترجمــة هــي محــرض ثقــافي وجســر يــردم الهــوة بــين الشـعوب ووسـيلة أساسـية للتعريـف بالعلـوم والتكنولوجيـا وعنصـر أسـاس في التربيـة والتعليـم ومواكبــة الحركــة الفكريــة والثقافيــة ووسـيلة لإغنـاء اللغـة وعصرنتهـا وهـذه كلهـا مـن مفـردات التنميـة. وقـد أحدثـت الأمـم المتحـدة عــام 1953 يومــا عالميــا للترجمــة تحتفــل فيــه الإنســانية جمعــاء. مركــزة علــى قيـم الترجمـة في التقـدم الإنسـاني. وأهميتهـا في تقريـب وجهـات النظـر بـين الشـعوب ولتشـارك فيمـا بينهـا بعلومهـا وثقافاتهـا وقيمهـا الـتي هـي قيم التقدم والسلام في العالم.

لذا يجب على دور النشر المحلية تطوير واقع الترجمة بما يتناسب مع واقعنا المحلي والعربي، وأن يكون الخط البياني للترجمة منعكسا ثقافيا لواقعنا الحضاري ومتمماً ومرمماً للنواقص التي لم يلحظها الكاتب العربي، ويجب أن تكون الإصدارات المترجمة إثراءً للمكتبة العربية بأفضل ما قدمه الفكر العالمي من أعمال في مختلف المجالات وأن لا تقتصر الترجمة من اللغة الأجنبية إلى العربية بل تكون الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى لإظهار الوجه الحضاري للأمة بنقل الإبداعات العربية إلى لغات العالم...

فالفكرة الأساسية من الترجمة والهدف الأسمى والأهم هو نقل الإبداع، حيث تقدم الترجمة كل ما هو ضروري من أجل المثاقفة على صعيد اللغات كلها شرط أن يكون المترجم متأهباً لاحترام لغته ودعمها ونقلها أيضاً إلى لغات العالم لتوازيها وتتفوق عليها، فالترجمة صلة وصل وليست جدار فصل بين الثقافات والشعوب منذ القدم وحتى هذا اليوم، وأرى أن للترجمة دوراً هاماً في بقاء واستمرارية اللغة وحماية الاختلاف والتمايز بين اللغات والثقافات ويجب وضع الترجمة في سياقها الحضاري.

وقد أظهرت التقارير والدراسات الميدانية احتلال أمة اقرأ في تصنيف الأمم الراعية للكتاب درجات متدنية جدا لا تستحق المقارنة مع أغلب دول العالم، لاسيما فيما يتعلق بعدد الكتب المطبوعة والأعمال المنشورة على رغم من عدم صحة البيانات المأخوذة عن ذلك، في إشارة واضحة إلى تدني عدد القراء بشكل معيب في مجتمعاتنا العربية، فهناك كتاب يصدر لكل 12 ألف مواطن عربي، بينما هناك كتاب لكل 500 انكليزي، ولكل 900 ألماني، أي أن معدل القراءة في العالم العربي لا يتجاوز 4 في المائة من معدل القراءة في إنكلترا. ولم تختلف الأرقام المرعبة بين الكتاب المترجم والكتاب المؤلف فعدد الكتب المترجمة في الوطن العربي يساوي

خمس ما يترجم في اليونان حيث تترجم اليونان حوالي 30 مليون صفحة سنويا في حين أن ما يترجم سنويا في الوطن العربي حوالي خمس ما يترجم في اليونان، والحصيلة الكلية لما ترجم إلى العربية منذ عصر المأمون إلى العصر الحالي 10.000 كتاب، وهي تساوي ما تترجمه إسبانيا في سنة واحدة . **نظرة مرعبة حقاً**...

ووفقا لدراسة عربية متفائلة أظهرت أن الترجمة قد تطورت تطورا هائلا في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، إذ يبلغ - مثلا- مجموع ما ترجم في العام 2007 أو في العام 2008 أكثر مما ترجم في العام 2000 بضعفين، أما من حيث موضوعات هذه الكتب فهي تتوزع بين مختلف المعارف والعلوم، إلا أن الأدب والعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية تتبوأ مركز الصدارة، وقد شهدت الترجمة حركة متنامية خلال عشر السنوات الماضية ممتدة إلى الآن حول موضوعات التنمية البشرية وكل ما يتعلق بتطوير الذات ورفع السقف المعرفي بين أوساط المعلمين والمثقفين على حد سواء.

وظهرت دور نشر بعينها تعنى بترجمة العناوين الرنانة في عالم التنمية البشرية من خلال تشكيل فرق خاصة بترجمتها، والسوق العربية شهدت أسماء لامعة قد ترجم لها غالبية منتجها الفكري، ولاقت رواجا منقطع النظير من خلال ترجمة الكتب الأكثر مبيعاً في أميركا مثلاً، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على وعي بعض دور النشر بالموضوعات التي تهم القارئ العربي وتنشله معرفيا **ولو بشكل بسيط**.

والواضح أن نسبة الكتاب المترجم في بالسوق المحلي إلى الكتاب المؤلف تصل إلى20٪ والمشكلة الرئيسة التي نعانيها من الكتاب المترجم أنه لم يكمل الكتاب المؤلف بل كان اختيار العناوين والكتب المترجمة تتم

بصفة عفوية واسمحوا لي أن أقول بتخبط وعشوائية أكثر من عفوية، وهذه المشكلة التي يعانيها الكتاب المترجم حيث لم يترجم الكتاب المطلوب فمشكلات الترجمة في العالم العربي كبيرة جدا وأخص الكتاب المترجم الذي تنتجه دور نشر خاصة، فالدار الخاصة تعمل من خلال وجهة نظر تجارية تسويقية والكتاب المترجم بحاجة إلى دعم حكومي ملموس، واختيار العناوين والكتب من الجهات المختصة، وتفعيل واقع حماية الملكية الفكرية ومساعدة الناشر على ذلك فالمترجم والناشر وجهان لعملة واحدة هدفهما دعم الكتاب وتأسيس صناعة رافدة ترفد الكتاب المؤلف.

ويجب على دور النشر السورية توفير زخم جديد لحركة الترجمة من خلال الارتقاء بها كمّاً ونوعاً كونها رائداً حيوياً للتنمية المعرفية والإنسانية في نظامنا المحلي ودافعاً ورافداً للعربي والدولي.

فالترجمة تعدُ أهم المصادر والرسائل الأصلية للمعرفة والتفاعل مع الثقافات الأخرى، فرسالة الترجمة رسالة سلام وحوار بين الشعوب، فعندما ينقطع الحوار تبدأ الحرب، وينبغي التزام المترجمين السوريين بحوار الحضارات وخصوصا في الوقت الحالي لكي تعيش الحضارة بما اختزنته من معارف وتجارب، وخصوصا أن خلاص مجتمعنا في حوار الحضارات وليس في صراعها وعندما يكون هناك حوار يجب أن يكون هناك ترجمة **الأزمة في سوريا**.

وفي عصر يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، ننظر بعين من الأمل والتفاؤل إلى الترجمة باعتبارها وسيلة فعالة لاستيعاب المعارف السامية وأداة مهمة من أدوات النهضة المنشودة، وستكون الترجمة محركا فاعلا من محركات التنمية بالاقتصاد وتقوية الصناعة صناعة النشر في سوريا وإظهار اقتصاد السوق، ويجب علينا إقامة هذه الندوة

بشكل سنوي وأن يكون لها تفعيل مهم على الصعيد المحلي ولا تقتصر على الدراسات والمؤتمرات، وأن نلتزم بالوسائل التي تجعل الترجمة في خدمة الثقافة الإنسانية والوطنية للبلاد.

ومن التباشير الأولى لهذه الندوة المشاريع التي تهدف إليها من خلال طرح عديد من الأفكار والخطط العملية لإثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدمه الفكر العالمي من علوم وإبداع، واسمحوا لي أن أعرض خطة حقيقية أرجو أن تتبناها وزارة الثقافة وربما الحكومة أيضا بالعمل على ترجمة 1000 كتاب من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية خلال ثلاث سنوات وربما يكون خلال السنوات الخمس واتحاد الناشرين السوريين جاهز بكل إمكانياته للمشاركة في هذه المبادرة الوطنية الهامة.

ويأمل اتحاد الناشرين السوريين أن تكون هذه الخطة تجسداً علمياً وعملياً لرسالة الاتحاد الثقافية والتنموية في تعزيز الإبداع وتمكين الأجيال القادمة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات عن طريق نشر المعرفة ورعاية الأفكار الخلاقة التي تقود إلى إبداعات حقيقية، إضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات، فالترجمة هي الجسر الرئيس الذي تتفاعل بوساطته الثقافات العالمية المختلفة، وثقافتنا العربية تفاعلت بوساطة الترجمة مع الآداب الأجنبية والعالمية تفاعلاً واسعاً. وتبرز أهمية الدور الذي قام به المترجمون العرب في عصر النهضة العربية الذي كان في جوهره عصراً للترجمة، ونحن الآن نعيد الواقع نفسه ومن غير الممكن أن يكون لنا حضور دون أن يكون لنا استيعاب للثقافات الأخرى والحوار معها. هي أدق وصف لها فهي إعادة الإبداع وتعميم الإبداع وترجمة الإبداع والمترجم والناشر - وأركز هنا على أن المترجم والناشر يداً بيد هما أساس هذه العملية برمتها - لذا على المترجم أن يهتم بتطور الأمور

المعرفية وأن يتميز بشمولية الثقافة وأن يعنى بتطوير ذاته ومعارفه ومهاراته إذا كان يسعى للريادة والتميز فللمترجمين دور كبير في تصحيح الصورة وتصويبها والتصدي لمحاولات تشويه العلاقات الحضارية بيننا وبين شعوب العالم ، ومن أجل ذلك طرح الاتحاد فكرة الـ1000عنوان من أجل إثراء المجتمع السوري بإبداعات جديدة وتنمية صناعة النشر من خلال الكتب المترجمة ، وأن يروي المترجم ظمأ القارئ للجديد ويرفد ينابيع النهضة العلمية والمعرفية بمساعدة من الناشر وصولا إلى التنمية الاقتصادية الشاملة في وطننا الحبيب تحت مظلة وزارتنا وزارة الثقافة.

د. ورد حسن

أمانة النقل ونظريّات الترجمة

الضوابط الموضوعيّة خدمة لمتطلبات التنمية

مقدّمـــة :

بمناسبة اليوم العالمي للترجمة، يشرفني أن أشارك في الفعالية التي تقيمها وزارة الثقافة، من خلال محاضرة بعنوان : أمانة النقل ونظريّات الترجمة - الضوابط الموضوعيّة خِدمة لمتطلبات التنمية. سوف أستهلّ المحاضرة بإلقاء الضوء على أبرز نظريّات الترجمة، وظروف نشأتها الحديثة نسبياً. وعلاقتها الفعلية بواقع ممارسة الترجمة ميدانياً. ثم سأنتقل لتوضيح ماهيّة أمانة النقل في الترجمة وأهميتها في هذا المجال.

بعدئذٍ سوف أتناول نظريّات الترجمة الأدبيّة لتوضيح الأهميّة الكبيرة التي توليها للجانب الذاتي في عمليّة النقل، والذي يجعل الاختلاف بل حتى التناقض بين ترجمات نصّ أدبيّ واحد إلى اللغة ذاتها أمراً طبيعيّاً، نظراً لاختلاف أساليب الفهم والتعبير بين مترجم وآخر. ثم سأشرح رأياً مخالفاً تماماً تتبناه النظريات الألسنية في الترجمة، يَعدُّ النص، سواء أكان أدبياً أم عاماً أم تخصصياً، يفرض فحواه على المترجمين كافة الذين ينبغي عليهم التعاطي معه بموضوعيّة مطلقة.

أما في المرحلة التالية، فإنني سأبيّن كيف تُعدُّ النظريّة الغائية أمانة النقل مرتبطة بالهدف المتوخى من الترجمة، مما يفتح البابَ على مصراعَيه، ليس فقط أمامَ تناقض الترجمات، بل أيضاً أمامَ الخيانة وعدم الأمانة في الترجمة. ثم سأنتقل إلى فكرة ليست بعيدة عن هذا المفهوم، تذكرها النظريات الذاتية في الترجمة. إذ سأوضح كيف تؤثر مشاعر، وميول، وقيم المترجم على خياراته لدى معالجة عبارات أو أفكار تطرح إشكالياتٍ أخلاقية، أو سياسيّة، أو اجتماعيّة.

وفي نهاية المطاف، سوف أشدّد على أهميّة تجرد المترجم في عمله، وتعاطيه بإخلاص مع النصوص التي يترجمها، وذلك خدمة لمتطلبات التنمية. وسأسوق على ذلك أمثلة عديدة من مجالاتٍ مختلفة، موضحاً كيفيّة الإفادة من الترجمة الأمينة والموضوعيّة في إعادة بناء وطننا الحبيب سورية.

لمحة عن نظريّات الترجمة:

كانت الترجمة منذ فجر التاريخ حتى أواسط القرن العشرين ميداناً عمليّاً بحتاً، وكان التنظير فيه محدوداً يقتصر على نصائح بسيطة سطحيّة (مراعاة اللغة المنقول إليها على حساب معنى النص الأصليّ، أو

أمانة نقل المعنى على حساب قواعد اللغة المنقول إليها). والجديرُ ذكره أنّ الجاحظ قد حاوَلَ التنظيرَ في الترجمة الأدبيّة تحديداً، إذ رأى استحالة ترجمة القصيدة العربيّة بسبب فرادة شكلِها.

لكن نظراً للدور الهام الذي لعبته الترجمة أثناء محاكمة قادة ألمانيا النازيّة السابقين عقب انتهاء الحرب العالميّة الثانية، برزت أهميّة التنظير في الترجمة، فأخذت تنشأ تيّاراتٌ مختلفة في هذا المجال، كانت في البداية تتعامل مع الترجمة من وجهة نظر لغويّة بحتة، لكنها سرعان ما سعت لتوسيع آفاقها بغية التعاطي مع الترجمة من زوايا أكثرَ انفتاحاً وشمولاً. أما أهم نظريّات الترجمة فهي:

- التيار الأدبيّ
- النظريّات الألسُنيّة
- النظريّة التفسيريّة
- النظريّة الغائيّة
- النظريّات الاستدلاليّة
- النظريّة الذاتيّة.

يَسعى عددٌ من هذه النظريّات لتوصيف الترجمة كما تمارَسُ على أرض الواقع، في حين يُحاولُ قِسمٌ آخرُ توجيه المترجم في عملِهِ. ما يخصنا في المداخلة الراهنة هو مفهومُ أمانة النقل وَفقاً لهذه النظريّات ودوره في تلبية متطلبات التنمية.

مفهوم أمانة النقل في الترجمة:

«المترجمُ خائنٌ».. هكذا يقولُ مَثلٌ لاتينيّ.. لكن بعيداً عن دحض أو تأييد هذا القول، فإننا نجدُ فيهِ إشارة واضحة للدور المحوريّ الذي تلعبه

أمانـة النقـل في عمليّـة الترجمـة. إذ إن نقـل نـص مـن لغـة إلى أخـرى يُعَـد قبـل كل شيءٍ عمليّة تواصل يقوم بها المترجم بين كاتب النص وقراء لا يُجيدون اللغـة الـتي كتِبَ بهـا الـنص الأصـليّ. لـذا فـإنّ هـذه العمليّـة تفقـدُ مضـمونها بمجملـه عنـدَ افتقادِهـا للأمانـة. وبالتـالي نسـتطيع القـول إن أمانـة النقـل في الترجمة تعني إيصـالَ أفكـار الـنص الأصـليّ إلى قـارئ الترجمـة مـن دون أي زيادة أو نقصـان أو تحريـف أو تحـوير. ولكـن، لـدى قـراءة مختلـف نظريّـات الترجمة، نجد أن التعـاطي مـع هـذا المفهـوم علـى أرض الواقـع أعقـد بكـثير من التعريف الـذي قـدمناه للتـو. إذ إن عـدد كلمـات اللغـات ليسـت متماثلـة، والثقافـات الـتي تـرتبط بهـا مختلفـة، وعـادات الشـعوب وأفكارهـا وطـرق عيشـها وتفكيرهـا ليسـت متطابقـة، ممـا يجعـل مَهمـة أمانـة النقـل معقـدة ومتشعّبة.

أمانة النقل وفقاً لنظريّات الترجمة:

يَعدُ التيّارُ الأدبي الترجمة فناً، وموهبـةً، وفطـرةً، لكنهـا ليسـت عِلمـاً. وتعـدُّ الصـبغة الذاتيّـة في الترجمـة الشـعار الأسـاس بالنسـبة للتيـار الأدبـي. فكل مترجم يفهَم الـنص الأصـليّ بطريقتِهِ، ويَنقلـه إلى لغـةٍ أخـرى بأسـلوبه الأدبيّ الخـاص، ممـا يعـني أن أي نـص أدبـي يمكـن أن تكـون لـه ترجمـاتٌ مختلفـة بـل متناقضـة إلى اللغـة نفسِـها، نظـراً لاخـتلاف فهـم المترجمـين لـه ولتباين أسـاليبهم الأدبيّة.

غـيرَ أنّ النظريّـات الألسُـنيّة تطـرحُ رأيـاً مُعاكسـاً تمامـاً، يَسـتندُ إلى موضوعيّة الترجمة. فالنص كيانٌ مستقلّ قـائمٌ بذاتِهِ، مُنفصِلٌ عـن القـارئ وعن المترجم. وبالتـالي فـإن الـنص يَفـرضُ عليهمـا معنـىً واحـداً لا غـير، ممـا يُحَتمُ على المترجم البحث عن هـذا المعنـى داخـل الـنص بحـد ذاتـه كـي يُعبّـرَ عنه بلغةٍ أخرى، مما سينتج ترجمة موضوعيّة.

لكنّ النظريّة الغائيّة ترى أنّ المِعيارَ الأساس لتقييم الترجمة هو مراعاتها للغاية المرجوة منها. فلكل ترجمة هدف ينبغي على المترجم الاستعلامُ عنه واحترامُهُ إيصالاً للرسالة المطلوبة إلى الجمهور المتلقي. وبالتالي يُمكنُ أن يكون للنص الواحد ترجماتٌ مختلفة إلى اللغة ذاتها، لكنها صحيحة بمجملها، لأن كل واحدة منها تراعي الغاية المرجوة.

نسوق على ذلك مثالين. يتعلق الأول بالكلمة الفرنسيّة « concurrence » التي لها ترجمتان إلى اللغة العربيّة. الأولى دارجة جداً في القطر العربي السوري وهي « المنافسة »، أما الترجمة الثانية فتستعمَلُ كثيراً في أقطار المغرب العربيّ وهي « الحَمائيّة ». الترجمتان صحيحتان لمراعاة كل منهما قواعد الاستخدام السائدة في القطر العربيّ المعنيّ. وهناك مثالٌ آخر شبيه به يتعلق بترجمة المصطلح الفرنسي التالي : « optique ». هناك ترجمتان صحيحتان لهذه المفردة، الأولى مُعتمدة في سورية، وهي « الضوئيّات »، أما الثانية فمُعتمدة في مِصر، وهي « البَصَريّات ».

لذا فإنّ النظريّة الغائيّة تشدّدُ على أهميّة قيام المترجم بالبحث لغويّاً كي يُعبّر عن المعنى الأصلي بأسلوب يبدو عفويّاً وطبيعيّاً باللغة المنقول إليها. لكن لا بُدّ من الإشارة إلى أن النظريّة الغائيّة تفتح الباب على مِصراعَيه أمامَ الخيانة في الترجمة، إذ يُمكن أن يستندَ أي مترجم إليها تبريراً لتحريفه معلوماتٍ واردة في النص الأصلي لقاء أجر مُعيّن يَعِدُهُ به الزبون.

على أيّة حال، فإنّ الخيانة في الترجمة تجدُ طريقاً آخرَ لاكتساب نوع من الشرعيّة بفضل النظريّات الذاتيّة التي تَعدُّ ميولَ المترجم وعواطفه ليست مجرد ردة فعل، بل هي بالأحرى أداة ووسيلة تتيح للمترجم التعبير عن

أفكار النص الأصلي باللغة المنقول إليها. نذكر على ذلك مثالين يوضحان خطورة هذا الرأي.

يتعلق المثال الأول بترجمتين لعبارة «حرب تشرين» إلى اللغة الفرنسيّة. الترجمة الأولى هي:« la guerre d'octobre »، أما الترجمة الثانية فهي: «la guerre du Kippour». كثيرٌ من المترجمين الفرنسيّين يختارون بين هاتين الترجمتين دون الاستناد إلى موقف سياسيّ مُعيّن، لكن هناك مترجمون ينتقون عمداً الترجمة الأولى نظراً لتعاطفهم مع العرب. إذ إن هذه الترجمة تتوافق مع العبارة العربيّة التي تدل على الشهر الميلاديّ الذي هبّ فيه العرب لتحرير أراضيهم المحتلة. ويقوم فريق آخر من المترجمين باختيار الترجمة الثانية لتعاطفهم مع الصهاينة؛ فهذه الترجمة متوافقة مع التسمية العِبريّة للحرب والتي تشير إلى اندلاع القتال بينما كان الإسرائيليّون يُحيون عيداً دينيّاً هو عيدُ الغفران. مما يعني أن هؤلاء المترجمين يرغبون في تشويه فحوى الصراع العربي الإسرائيلي مُظهرين أنه نزاعٌ ديني وليس نزاعاً على الأرض بين الغزاة الصهاينة والعرب المدافعين عن أرضهم.

أما المثال الثاني فيتناول ترجمتين فرنسيّتين لكلمة «إرهابيّ». الترجمة الأولى – terroriste – أمينة مئة بالمئة، خلافاً للترجمة الثانية – rebelle – والتي تعني بالعربيّة: «مُتمَرِّد»، والتي يَرمي من خلالها كثير من المترجمين الفرنسيّين إلى تحسين صورة الشخص المعني عبر إظهاره على أنه مناوئ يحمل السلاح ضد الدولة السوريّة، وليس فرداً يثير الذعر والرعب والتهويل والدمار ويقترف المجازر بحق الشعب العربي السوري بأكمله. أي أن المترجمين الذين يتبنون هذه الترجمة يقومون بذلك بسبب حقدهم على سورية ورغبتهم في تشويه صورة حكومتها.

موضوعيّة الترجمة خدمة للتنمية وإعادة الإعمار:

غنيّ عن القول إن استسلامَ المترجم لمشاعره لدى قيامه بعمله ينسف مهمته من جذورها. فالترجمة – كما أسلفنا – عملية تواصل بين الشعوب. مما يعني أن تحريف النص الأصلي – أياً كان الدافع وأياً كانت الغاية – يُسيءُ إلى صورة مؤلفه، ويحرم القراء من الاطلاع بدقة على نتاج الحضارات الأخرى، ويعرقل التواصل بين الأمم. فلا نبالغ إذاً عند قولنا إن الخيانة في الترجمة جريمة ضد الإنسانيّة. الجديرُ ذكرُهُ أن القوانين في مختلف البلدان تنص على عقوباتٍ بحق المترجم الذي يُحرف فحوى النص الأصلي، خاصة إذا كانت الترجمة مرتبطة بقضيّة جنائيّة.

من جهةٍ أخرى، التاريخ حافلٌ بأمثلة عن مترجمين تخطوا الحواجز النفسيّة التي كانت تفصلهم عن أمم معادية، ونقلوا وثائق هامة إلى لغاتهم الأم دعماً لأوطانهم وإسهاماً في تنميتها. فعقب نكسة حزيران عام 1967 نقل مترجمون مصريون من العبرية إلى العربية تسجيلات مطولة لتصريحات أدلى بها المسؤولون الصهاينة في الفترة الممتدة بين نكبة فلسطين عام 1984 و النكسة – أي على امتداد حوالي تسع عشرة سنة – كي يتسنى للمسؤولين المِصريّين تحليل أفكار قادة العدو، وتحديد المراحل التي اجتازها الكيان الصهيوني قبل قيامه بعدوان حزيران، والتعرف إلى الثغرات التي استطاع العدو استغلالها كي يُنفذ عدوانه، واستشراف أهداف الاحتلال المستقبليّة. وقد أتاحت هذه الترجمات استخلاص العبر من النكسة والمراحل السابقة، مما سمح بتفادي العديد من الأخطاء التي كانت قد ارتكبت ولعبت دوراً أساسياً في تمهيد الطريق أمامَ انتصار العرب في حرب تشرين التحريريّة.

و لم يَحل العداء القديم بين ألمانيا وفرنسا والحروب الطاحنة التي دارت بين البلدين دون اهتمام المترجمين الألمان بالمؤلفات العسكرية الفرنسية عشية الحرب العالمية الثانية. فقد نقل المترجمون الألمان في الثلاثينيات من القرن الماضي عدداً من كتب الجنرال ديغول الذي كان حينها مُدرساً في الكلية الحربية الفرنسيّة. وقد أثارت هذه الترجمات اهتمامَ أدولف هتلر شخصياً، فقرأها وتأثر بفحواها وطبقها على أرض الواقع، خاصة فيما يتعلق بإيلاء المدرعات الأهمية الكبرى في المعركة الحديثة، في حين لم تلق أفكار ديغول استجابة لدى القيادة الفرنسيّة. وقد أدت الترجمات الألمانية لمؤلفات ديغول إلى تفوق سلاح المدرعات الألماني على نظيره الفرنسي كماً ونوعاً، مما ألحق بالجيش الفرنسي هزيمة منكرة فسقطت فرنسا في غضون أيام قليلة تحت الاحتلال النازي في حزيران 1940.

و رغم الصراع التاريخي بين الإمبراطوريّة العربيّة في الأندلس والممالك الأوروبيّة، فإنّ حقد هذه الأخيرة على العرب لم يمنعها من تخليد مكتبة طليطلة العظيمة التي وَرّثها العرب للأوروبيّين. بل عكف هؤلاء على ترجمة مخزونها الهائل إلى لغاتهم، مما لعب دوراً أساسيّاً في نشوء عصر النهضة في أوروبا، الذي تطور فيما بعد فدخل في الحداثة وما بعد الحداثة. ورغم انقضاء قرون على هذه القصة، ما فتئ الأوروبيون يفخرون بمكتبة طليطلة وبما تركه لهم العرب فيها من مؤلفات نهضت ترجماتها بأممهم وجعلتهم يطوون قروناً من التخلف والظلام.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة على أهميّة الترجمة في تلاقح الحضارات وتنمية الأمم وإعمارها. فقد ترجمَت أفكار ماركس إلى لغات كثيرة، فاستفادت منها أمم شتى في مشارق الأرض ومغاربها، ونشأت حضاراتٌ طبعت التاريخ ببصمات لا تمحى، كالاتحاد السوفييتي والصين الشعبيّة

اللذين شكلا رقمين صعبين، وقوتين صناعيّتين نهضتا بأبنائهما بعد قرون من الاضطهاد والتخلف والجهل. ورغم كل الانتكاسات التي تعرض لها المعسكر الاشتراكي في أواخر القرن العشرين، ما زالت أفكار ماركس تترجَم إلى شتى اللغات وتثير اهتمامَ أمم كثيرة، منها دولٌ رأسماليّة كبرى كفرنسا.

و لن نذكرَ شيئاً جديداً إن قلنا إن العرب في العصر العباسيّ حفظوا النتاج الفكري للأمم الأخرى عندما نقلوا أمهات الكتب الفارسيّة والهنديّة والسريانية والإغريقيّة. وقد طالت هذه الترجمات ميادين مختلفة، كالأدب والطب والفلسفة، مما أدى إلى تنمية فكرية وعلمية حقيقية في العصر العباسي، فغدت الدولة العباسيّة قوة عظمى فكرياً وعلمياً واقتصادياً، وليس فقط عسكريّاً.

و اللافت في هذا الصدد، هو توخي الموضوعيّة لدى القسم الأهم من المترجمين العرب. ففي الوقت الذي تبنى فيه الترجمة الحرفية كل من يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي، اهتم حنين بن إسحق والجوهري وغيرُهما قبل كل شيء بنقل المعنى بأمانة مع مراعاة قواعد اللغة العربيّة، مما يؤكد أن الموضوعية هي الضامن الأساسيّ لجودة الترجمة التي ستكون بالنتيجة رافداً هاماً لحضارات الشعوب ومنارة على طريق تنميتها وتطويرها.

أما الآن، وبينما تقوم سورية بوضع الأسس الضرورية لإعادة إعمار بناها التحتية بموازاة انتصارات الجيش العربي السوري، يسعى المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية وقسم اللغة الفرنسيّة بجامعة دمشق لإعداد الكوادر الضرورية من مترجمين محترفين قادرين على نقل أمهات الكتب

والإنتاج الفكري العالمي لدى مختلف الحضارات، وخاصة تلك الناطقة بالفرنسية والإنكليزية، إلى اللغة العربيّة، لمواكبة إعادة إعمار قطرنا الحبيب، والحفاظ على التواصل الحضاري بينه وبين الأمم الأخرى.

وقد أولى مدرسو المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية وقسم اللغة الفرنسية أهمية كبيرة لترجمة النصوص التخصصية، في مجالات الحقوق، والاقتصاد، والطب، والطاقة الذرية. وثابر المدرسون والطلبة على توخي الموضوعية في تحليل النصوص الأصلية ونقلها إلى العربية بأسلوب لغوي سليم تراعى فيه الترجمة الدقيقة للمصطلحات التخصصية. كما تم توجيه طلبة المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية هذا العام نحو انتقاء نصوص اقتصادية وعلمية لدى إعدادهم مشاريع التخرج، وذلك دعماً للقطر العربي السوري في جهوده لإعادة الإعمار.

وتقوم حالياً طالبتان في المعهد العالي للترجمة والترجمة الفورية بإعداد مشروعي تخرج يتمثلان بترجمة نصين اقتصاديين فرنسيين إلى اللغة العربية، وسنسعى لنشر المشروعين لدى انتهائهما، آملين أن يُساعدا صانعي القرار في وطننا الحبيب على التخطيط الاقتصادي الأمثل. ولن يكون هذان المشروعان وغيرهما من المشاريع سوى إضافة بسيطة لجهود مترجمين ومبدعين كثر يعملون بلا كلل ولا ملل لتنمية سورية وإعادة إعمارها.

عياد عيد

نحو استراتيجية للترجمة

(دراسة غير منشورة ألقيت في ندوة الترجمة لعام 2015)

لماذا نترجم؟

لا يختلف اثنان على أن عهد هارون الرشيد وولديه الأمين والمأمون قد شهد قمة ازدهار الحضارة العربية. ويكاد المترجمون جميعهم يجمعون على أن عصر الترجمة الذهبي كان في تلك الفترة تحديدًا. يسمح لنا هذا التأكيد بأن نستنتج بثقة أن ازدهار الترجمة مؤشر هام من مؤشرات الازدهار والنهوض. وتاليًا، فإن العكس صحيح أيضًا، أي أن انحطاط عملية الترجمة في المجتمع وتراجعها يدلان على وجود مشكلة ثقافية جدية يعاني منها.

غير أن الأساس في أي بلد هو الحراك الثقافي المحلي، وعلى الترجمة أن تؤدي دور المساعد على تنشيط هذا الحراك وتحفيزه وتوسيع أفقه لا الحلول محله وتعويض النقص فيه.

لا ينفصل وضع الترجمة في بلادنا عن الأوضاع الثقافية العامة، فحركة الترجمة هي جزء من حراك ثقافي عام، ولذلك نرى أن ابتكار الحلول لمشكلاتها ينبغي أن يكون في إطار البحث عن حلول المشكلات الثقافية عموماً.

علينا أن نقر بأن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تؤثر تأثيرًا حادًّا في الحراك الثقافي المحلي، وخصوصًا في أوضاع كالتي نعيشها اليوم، لا بل ثمة من يرى أن العملية الثقافية هي الضحية الأولى لأي تقلبات سياسية أو اقتصادية، غير أننا من جانب آخر على قناعة تامة بأن العامل الثقافي هو الحاسم في عملية استنهاض المجتمع وتجديد قواه والسير به نحو المخرج الذي يتمناه الجميع، على أن يتجلى هذا العامل في حراك ثقافي حقيقي، وغير مصطنع، وبعيد عن الأمراض التي صبغت حياتنا الثقافية في الفترات السابقة. يرى بعض العاملين في المجال الثقافي، ونحن منهم، أن الأزمة التي يعيشها مجتمعنا حاليًّا هي أزمة ثقافة أساسًا، وهذا التعميم يشمل تصوراتنا عن الحياة وقيمنا الاجتماعية، وتبدل تراتبيتها وأولياتها في وعينا وسلوكنا عبر مراحل التطور التي عاشها مجتمعنا، ويشمل أيضًا صورة مجتمعنا التي نحب أن نراه فيها، والأهم من ذلك كله هو إدراكنا لهويتنا وموقعنا من الحضارة الإنسانية، وتأثرنا بها ومدى إسهامنا فيها، ولذلك نجد أن معرفتنا للآخر وتصوراته ودراسة تجربته على قدر مساو في القيمة لمعرفتنا لأنفسنا وتحديدنا لذاتنا، وهذا لا يمكن أن يتم بلا ترجمة.

ثم إن الترجمة اليوم تكتسب أهمية استثنائية كبيرة بسبب من التحولات العاصفة والمتسارعة التي يعيشها العالم من حولنا، والتي لا نستطيع مهما فعلنا أن نكون بمنأى عنها؛ فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي وما كان يسمى منظومة الدول الاشتراكية دخل العالم في طور جديد

وغريب عنا وعن تصوراتنا التي ترسخت عبر أجيال عن الحياة، والكيفية التي يجب أن تكون عليها؛ ونستطيع أن نقول إن العالم كله يمر منذ ذلك الوقت حتى اليوم في مرحلة انتقالية سمتها الأساسية الصراعات والحروب والفتن تحت شعار صراع الحضارات، ومنطلقها رغبة قوى الهيمنة العالمية في تدمير الشكل الكلاسيكي للدول والأمم من أجل بناء نظام عالمي جديد لم تتحدد بعد ملامحه كاملة، لكننا نستطيع أن نستشف منه بعض المؤشرات الدالة عليه. إننا نرى اليوم تفتيتًا لشعوب وحضارات عاشت آلاف السنين وراكمت تجارب ومعارف خدمت الإنسانية عبر العصور، ونرى فرضًا قسريًّا لثقافة وحيدة تدعي أنها الأرقى والأسمى والأقوى، وأنها الوحيدة الصحيحة.

ترتسم بذلك صورة مبسطة لكنها معبرة: ثمة ثقافة الغرب التي تدعي الأفضلية، والتي يحاولون فرضها قسريًا على الأمم من جانب، وثمة ثقافات متنوعة ومختلفة وأصيلة عاشت خلال قرون وراكمت الكثير من المعارف والتجارب وتدعو إلى التعايش والحوار فيما بينها.

إننا لعلى قناعة تامة بأن خلاص البشرية وحضاراتها، في ظل العولمة الغربية المتوحشة المستبيحة للشعوب الأصيلة والمشوهة لقيمها والمشيطنة لثقافاتها، لا يمكن أن يتحقق إلا بالحوار بين هذه الحضارات، فكيف إذًا تتحاور الحضارات بلا ترجمة؟!!

في عالمنا المعاصر لا خلاص لشعب بمفرده، ولا خلاص لأمة بمفردها.

عن أي ترجمة نتحدث؟

تتنوع الترجمة بتنوع الموضوعات وتنوع الأغراض منها، وفي هذا المقام سوف نقصر الحديث على الترجمة الأدبية والفكرية، لأنها الأكثر تطلبًا

للإبداع والموهبة، ولأنها الأصعب والأرقى من بين أنواع الترجمة الأخرى، ولأن المشتغل فيها ينبغي أن يكون في الأساس أديبًا في ثقافته الأم، ومتعمقًا في الوقت نفسه في الثقافة التي يترجم عنها، ولذلك نقترح على الجهات المعنية إدراج مفهوم «الكاتب المترجم» تمييزًا عن المشتغلين بأنماط الترجمة الأخرى (الترجمة المحلفة، والترجمة الفورية، وترجمة المراسلات التجارية والمواضيع العلمية البحتة وغير ذلك).

اقتراحنا هذا مبني على وجود عدد لا بأس به من الأشخاص ممن حصلوا على عضوية جمعية الترجمة في اتحاد الكتاب العرب واكتسبوا صفة المترجم لكنهم لم يكتسبوا صفة الكاتب[1].

الاستراتيجية

في المصطلح: الخطة والاستراتيجية

قد يبدو الحديث عن هذا الأمر زائدًا عن اللزوم من حيث المبدأ، لكننا نلحظ في تفاصيل العمل الثقافي اليومي أن الكثيرين، ومن بينهم أشخاص يمتلكون القرار الثقافي في مؤسساتهم، يخلطون بين هذين المفهومين، ويرون أن وضع خطة ترجمة هو بحد ذاته استراتيجية للعمل.

يفترض مفهوم الاستراتيجية أول ما يفترض تحديد الأهداف والمخاطر، ومن ثم دراسة الواقع بتفاصيله، وتحديد مكامن القوة والضعف فيه، وعلى أساس ذلك وضع الخطط اللازمة لتلافي نقاط الضعف، وتمتين نقاط القوة، وتطوير الإمكانات من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة ودرء المخاطر، وبذلك تغدو الخطة جزءًا تفصيليًّا من الاستراتيجية الكلية.

[1] - ولذلك نقترح تعديل آلية قبول المترجمين في اتحاد الكتاب العرب بحيث تنص شروط التقدم للعضوية على لزوم إدراج كتاب أدبي مترجم على الأقل من ضمن الكتابين الواجب إرفاقهما مع طلب الانتساب (شعر – قصة – رواية – مسرح).

ما زلنا نذكر إعلان اتحاد الكتاب العرب قبل أكثر من عشرة أعوام عن مشروع ترجمة مئة رواية إلى اللغة الروسية الذي فشل فشلًا ذريعًا ومؤسفًا، وقد أدركنا تبعات هذا الفشل خلال زيارتنا إلى موسكو عام 2010 ضمن وفد اتحاد الكتاب العرب، وما زالت ماثلة في أذهاننا حتى اليوم الخطة الوطنية للترجمة التي أطلقتها الهيئة العامة السورية للكتاب قبل أكثر من عامين، والتي نراها اليوم تسير ببطء شديد أو أنها فقدت زخمها واهتمام المعنيين بها.

إن هاتين التجربتين لخير دليل على أن الرغبات في اجتراح الإنجازات، حتى الصادقة منها، مصيرها الفشل الحتمي إذا لم تقترن باستراتيجية علمية واضحة ومستندة إلى الإمكانات الواقعية.

الأهداف

مثلما أسلفنا سابقًا فإن أي استراتيجية للترجمة يجب أن لا تتقدم على الاستراتيجية الثقافية العامة للبلاد، وعليها في الوقت نفسه أن لا تتأخر عنها، أي يجب أن تكون مواكبة ومحفزة لها، وتاليًا فإن الأهداف العامة للترجمة يجب أن تكون منسجمة مع أهداف العملية الثقافية ومكملة لها.

ترتسم الأهداف انطلاقًا من دائرة المخاطر التي يتعرض المجتمع لها، وتتبدل هذه الخارطة مع تبدل الأحوال.

نسمع اليوم كثيرًا عن ما يسمى العقيدة العسكرية، وكيف أن الدول تنقح وتعدل في عقيدتها العسكرية ضمن مدد زمنية معينة، وهذا تحديدًا ما يعنيه رسم خارطة المخاطر العسكرية وتحديد العدو القائم والعدو المحتمل في المدى المنظور، وبالمماثلة مع الوضع الثقافي فإننا نرى أن أساس أي عمل ثقافي لاحق ينبغي أن يعتمد على تحديد المخاطر التي

تتعرض لها ثقافتنا في الزمن الراهن، والمخاطر المحتملة في المدى المنظور، وهذا برأينا يحتاج إلى حوار ثقافي عميق وواسع ومنظم في مجتمعنا، على الأقل في المستويات النخبوية والمؤهلة، ولكي يكون هذا الحوار مجديًا ينبغي أن يكون حقيقيًّا وجادًا وخاليًا من المسرحة والاستعراض الإعلاميين، ومبنيًّا على معايير علمية.

وعلى الرغم من ذلك فإننا نستطيع في هذه العجالة الإشارة إلى بعض المخاطر التي نراها من وجهة نظرنا مقلقة، وتحتاج إلى علاج ملح.

تتعرض مثلًا اليوم فكرة الإسلام لخطر الشيطنة والتشويه، فمن جهة نلحظ احتكار جهات معينة لتأويل الإسلام، وسعيها إلى فرض أحكامها الخاصة بقوة المال والإعلام، ومؤخرًا بقوة السلاح، ومن جانب آخر نرى شيطنة ممنهجة يقوم بها الغرب للإسلام بهدف تصويره في البلدان غير الإسلامية على أنه التهديد الأكبر للحضارة الإنسانية، ومن أشد تجليات خطورة هذا الأمر هو أننا صرنا اليوم نلمس أكثر فأكثر ما يشبه الشعور بعقدة النقص لدى المسلمين، وبات الكثيرون يقرون، بسبب من الذهان الذي يعاني منه مجتمعنا العربي عمومًا، بأن دين الإسلام دين إرهابي وأن الإرهاب مغروس في جينات المسلمين، ولذلك فإننا نرى أن إحدى أهم الأوليات في استراتيجياتنا الثقافية هي استعادة الإسلام من أيدي سارقيه وإعادة الألق لتراثه الثقافي والإنساني.

كذلك نرى أن لغتنا ما زالت عرضة للهجوم العنيف، فنرى من جانب جهلًا شديدًا بها حتى بين أوساط نخبوية في المجتمع، ونراها من جانب آخر تتعرض لقصف بالمصطلحات والمفاهيم المبهمة التي تشوش التفكير وتشوه السلوك. المعروف أن للغة وظائف حيوية فهي أداة التفكير وعدته وهي الخزان المعرفي والتاريخي لأي ثقافة وهي وسيلة التفاهم بين المتكلمين بها، وحين تشوه اللغة وتضعف يفقد الإنسان القدرة على التفكير السليم

وينفصل عن تاريخه وتتعطل ذاكرته ولا يعود قادرًا على الحوار مع غيره.

حاولوا وحسب أن تقرؤوا بضعةً من المقررات الدراسية العلمية لدينا، وسيصيبكم العجب العجاب، وستحارون كيف يستطيع الطلاب فهم الأفكار الواردة فيها؟ هذا مع العلم أن من يضع هذه المقررات ويكتبها هم أساتذة في الجامعات، وهذا معناه أن المشكلة اللغوية تطال مستويات خطرة لا يجوز السماح بها.

أما المصطلحات ففي وسعنا الاستشهاد بالكثير مما بات رائجًا، ويستخدمه الكثيرون من غير أن يستطيعوا أن يحددوا بدقة مدلولاته ومعانيه.. حاولوا على سبيل الاختبار أن تسألوا عشرة أشخاص لا على التعيين يسيرون في الشارع عن معنى الديمقراطية مثلًا، وستسمعون عشر تعريفات مختلفة لها، وقد تكون كلها بعيدة كل البعد عن المعنى الحقيقي لهذا المصطلح. هذا الأمر ينسحب على مصطلحات أخرى براقة وجميلة كالعلمانية التي تطرح بصفتها الدواء الشافي من التكفيرية، والمجتمع المدني الذي يرون فيه الأسلوب الأرقى في تنظيم المجتمعات، غير أن هذه المصطلحات وغيرها تنطوي على غموض كبير، ولا تفعل سوى أنها تزيد التشويش في أفكار الناس. أضف إلى ذلك أن مرحلة ما بعد الحداثة قد أكسبت هذه المصطلحات مدلولات مختلفة عن مدلولاتها الحداثية، فإذا كانت الديمقراطية سابقًا تعني نظامًا يتيح للشعوب أن تحكم نفسها بحرية فإنها اليوم باتت نظامًا يفرض بقوة السلاح، وبالحروب من الخارج، وبتنصيب ولاة يعينهم المركز الإمبراطوري العالمي. إن مسألة تحديد المصطلحات والمفاهيم لا تندرج تحت بند الترف الثقافي وباتت على قدر كبير من الأهمية، لأن بعضنا قد حمل السلاح تحت راية مثل هذه المصطلحات.

لقد أطلق منذ فترة مشروع تمكين اللغة العربية، وهو برأينا كان وما يزال ضرورة ملحة، لكننا حتى الآن لا نستطيع أن نحدد بدقة مدى الجدوى منه والمردود الذي عاد به هذا الجهد الذي بذل وما زال يبذل.

من المخاطر، تلك التبدلات السلبية التي طرأت على نواتنا الثقافية المتماسكة منذ قرون، والتي تحدد تصوراتنا عن الحياة وعن الخير والشر وعن العدو والصديق. هل كان في مقدور أحدنا قبل عقد من الزمن أن يتصور سوريًّا يفرق الحلوى فرحًا بقصف العدو الصهيوني لبلاده وجيشه؟ أو يتصور سوريًّا يتوسل العدو كي يفعل ذلك؟

هذه الحقائق تفرض علينا رصد التحولات والمؤثرات التي تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية على قيمنا الثقافية، والعمل على تحديد ماهية هذه التحولات وأسبابها والعمل على ترسيخ الإيجابي منها ومعالجة السلبي.

ومن المخاطر أيضًا ذلك الموروث الاجتماعي الذي يعتمد نمط التفكير الغيبي والمنتشر في مجتمعاتنا، والذي يتجلى في العديد من المظاهر المعوقة للتقدم، كالموقف من التعليم واحترام القانون وغير ذلك...

ومن المخاطر الجهل بطبيعة التحولات التي تجري في العالم من حولنا، وهذا قد يجعلنا نخطئ في تحديد اتجاهاتنا ومواقفنا السليمة من هذه التحولات. ما زال بعضنا على سبيل المثال ينظر إلى روسيا اليوم كما كنا ننظر إلى الاتحاد السوفييتي سابقًا. جميعنا يعرف أن الأمور قد تغيرت هناك لكننا لا نستطيع أن نحدد بدقة ما الذي قد تغير وما الذي بقي ثابتًا. مثال آخر. جرى مؤخرًا التوقيع على الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة الخمسة زائد واحد، وهذا التوقيع ولا شك سوف يلقي بظلاله على منطقتنا والعالم بأسره، وسيؤسس لمرحلة جديدة في الصراعات الدولية، لكننا لا نعرف

بدقة ملامح هذه المرحلة وانعكاسات هذا الاتفاق على الداخل الإيراني نفسه لذلك سوف نبقى طويلاً أسرى التأويلات الإعلامية وحدها.

على الترجمة أن توجه جهود العاملين في حقلها نحو المساعدة في حل هذه المسائل أساسًا.

الواقع والإمكانات

ترتبط الاستراتيجية ارتباطًا وثيقًا، لا بل عضويًّا، بدراسة واقع الترجمة والإمكانات المتوافرة، ويكاد يكون عدم تقدير الامكانات تقديرًا علميًّا دقيقًا السببَ الرئيس في فشل الخطط، أو عدم الحصول على الجدوى المرجوة منها، وتعد مسألة دراسة الإمكانات المتوافرة بحد ذاتها معضلة في ظل غياب منظومة البيانات الدقيقة.

هذه الحقيقة تفرض على القيمين على الشأن الثقافي وضع قاعدة بيانات للأعمال المترجمة وأسماء مترجميها وتاريخ نشرها واللغات التي ترجمت عنها، ومن ثم وضع قاعدة البيانات هذه في متناول الباحثين لإجراء الدراسات اللازمة. إن إنجاز هذه المهمة سيسمح بتحديد صورة دقيقة لتجربة الترجمة السورية ورصد مسيرتها والتبدلات التي طرأت عليها.

لجأنا في أثناء إعداد هذه الدراسة إلى أرشيف اتحاد الكتاب العرب والهيئة العامة السورية للكتاب، وقد زودنا العاملون هناك بلوائح غير مكتملة بالكتب المنشورة فيهما خلال فترات معينة من الزمن، غير أن معطيات هذه اللوائح تسمح لنا باستخلاص بضع نتائج أولية:

اتحاد الكتاب العرب

العام	عدد الكتب المنشورة الكلي	عدد الكتب المترجمة	النسبة
2005	110	0	٪0
2006	85	1	٪1.2
2007	80	4	٪5
2008	84	4	٪4.7
2009	71	3	٪4.2
2010	-	-	
2011	-	-	
2012	50	5	٪10
2013	47	2	٪4.2
2014	38	1	٪2.6
المجموع	565	20	٪3.5

الهيئة العامة للكتاب

العام	عدد الكتب المنشورة الكلي	عدد الكتب المترجمة	النسبة
2009	118	32	٪27.12
2010	114	2	٪1.75
2011	190	72	٪37.9
2012	186	69	٪37.1
2013	87	32	٪36.7
2014	130	42	٪32.3
المجموع	825	249	٪30.1

يدل الجدولان على نسبة عدد الكتب المترجمة المتدنية إلى عدد الكتب المنشورة في اتحاد الكتاب العرب مقارنة بالهيئة العامة للكتاب.

تراجع النشر عمومًا في اتحاد الكتاب العرب خلال أعوام العدوان على سورية.

إن ارتفاع نسبة عدد الكتب المترجمة إلى عدد الكتب المنشورة في الهيئة العامة للكتاب لا يعني استقرار عملية الترجمة في هذه المؤسسة، لأن العناوين تدل على أن الهيئة لجأت كثيرًا إلى إعادة طباعة عناوين كانت منشورة في أعوام سابقة.

لا تدل اللوائح على اللغات التي تمت الترجمة منها، وفي لوائح اتحاد الكتاب العرب لا يشار إلى الجنس الأدبي المترجم، ومع ذلك واستنادًا إلى معرفتنا ببعض المترجمين فإننا نستطيع أن نسجل أن الترجمة تتم في الغالب عن اللغات الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والتركية.

تدل العناوين المترجمة المنشورة على عشوائية عملية الترجمة وعدم انتظامها.

تدل المعطيات كذلك على تراجع عملية الترجمة عمومًا خلال الأعوام الخمسة الأخيرة، ولهذا أسبابه الخاصة التي ليس آخرها تكاسل الكثيرين من المترجمين عن العمل وابتعادهم عن متابعة نشاطهم في هذا المجال.

الاستراتيجية وتكنولوجية الترجمة

التكنولوجية هي مجموعة العمليات التي تطبق على شكل المادة الأولية وبنيتها ضمن خوارزمية محددة وباستخدام مهارات معينة من أجل الوصول بهذه المادة إلى الشكل النهائي المنشود.

المادة الأولية في الترجمة هي الكتاب المراد ترجمته والشكل النهائي المنشود هو الكتاب المترجم في يد القارئ، وبين هذا وذاك تعبر عملية الترجمة مراحل عدة، وأي استراتيجية تطويرية ينبغي أن تقف عند كل مرحلة من هذه المراحل لتحليلها ودراستها دراسة وافية، ووضع الحلول للمشكلات التي تنشأ فيها.

مراحل الترجمة كما نراها هي التالية: اختيار النص الأصلي– تكليف الكاتب المترجِم – فعل الترجمة – التدقيق – التنازل – الطباعة والتسويق. وهذه المراحل تفرضها الآلية المتبعة في اتحاد الكتاب العرب والهيئة العامة السورية للكتاب، أما في دور النشر الخاصة فغالبًا ما تختلف هذه الآليات اختلافًا طفيفًا. وسنحاول من خلال استعراض هذه المراحل إلقاء الضوء على عدد من المشكلات التي تعترض عملية الترجمة واقتراح الحلول التي ينبغي أن تلحظها الاستراتيجية.

1- **اختيار النص المراد ترجمته:**

طيف النصوص التي يمكن ترجمتها لا حصر له، وهي متنوعة بتنوع الأجناس الأدبية والعلمية التي كتبت فيها، لكن هل في مقدور المترجم أن يترجم أي نص كان؟ إن معايير انتقاء النصوص مختلفة أيضًا ومتنوعة، منها مثلًا شهرة الكاتب ورواج أعماله، ومنها درجة الإثارة والربح المتوقع، وعلى الرغم من أن توقع نجاح أي عمل أو فشله يكاد يكون مستحيلًا إلا أننا نرى أن المعيارين الأهم في انتقاء النصوص الناجحة هما التاليان:

- مدى ملاءمة النص المترجم للاحتياجات الثقافية في اللغة التي يترجم إليها، وقدرته على الإجابة عن الأسئلة التي تشغل أذهان القراء، وتلبيته لحاجاتهم المعرفية والذوقية والجمالية، أي مدى راهنيته.

- موقع النص في الثقافة الأصل، فثمة في أي ثقافة أعمال نستطيع أن نصفها بالمفصلية، أو الأساسية، يخطها مبدعون متميزون، وتحدث تحولات مهمة ليس فقط في فكر المجتمع الذي كتبت فيه بل تتعداه إلى الفكر الإنساني برمته، ثم يبدأ سيل من الأعمال الثانوية التي تستمد طاقتها من صميم هذه الأعمال المفصلية من خلال التقليد أو المحاكاة أو التأثر، ومهمة القيمين على الترجمة هي أن يرصدوا هذه الأعمال تحديدًا، لتجنب هدر الإمكانات والوقت على الأعمال الثانوية قدر الإمكان..

تدل غالبية العناوين المترجمة في السنوات الأخيرة الماضية على الأمور التالية:

- عملية الانتقاء عشوائية وترتبط ارتباطًا شديدًا بتفضيلات المترجم.
- عدم قدرة المترجمين على مواكبة التطورات الأخيرة في الثقافات التي يترجمون عنها، وعدم تواصلهم معها، ولذلك فإننا نرى أن بعض المترجمين، وخصوصًا عن اللغة الروسية، ما زالوا يترجمون كتبًا من المرحلة السوفييتية، ويعتمدون على أسماء كتاب قد ترجمت أعمالهم الأساسية منذ مدة بعيدة، وما بقي منها لا يستحق هدر الوقت على ترجمته.
- الاعتماد في بعض الأعمال على شهرة الكاتب وحدها بغض النظر عن سوية نصه ومدى الفائدة منه.
- قلة الدراسات الفكرية والسياسية الحديثة.
- قلة الموضوعات العلمية العامة.

ينتقي المترجمون لدينا في الغالبية العظمى من الأحوال النصوص المراد ترجمتها، بينما تكون الهيئة العامة السورية للكتاب واتحاد الكتاب العرب في موقع المنتظر، ونادرًا ما تبادر هاتان الجهتان الناشرتان إلى

تكليف المترجمين بأعمال محددة. حتى في أثناء إعداد الخطة الوطنية للترجمة فإن العناوين قد وضعت باقتراحات من عدد من المترجمين وكانت غير مدروسة بما يكفي.

إن الآلية المتبعة في قبول العمل المترجم تعاني من ثغرتين أساسيتين.

الثغرة الأولى ـ حين يتقدم الكاتب المترجم بعمل استغرق في ترجمته وقتًا طويلًا ويرفض بسبب من عدم ملاءمته لسياسة الجهة الناشرة، أو لسوء الترجمة ولغير ذلك من الأسباب، وبذلك يكون المترجم هو الخاسر من هذه العملية.

الثغرة الثانية ـ حين تقوم الجهة الناشرة بالتكليف، ليعود إليها النص في حلة لا يمكن القبول بها، وبذلك تجد الجهة الناشرة نفسها في وضع محرج، لأنها مسؤولة عن الالتزام بالتكليف.

من المؤكد أن ما ذكرناه هنا لا يتعدى الخطوط العريضة، ولسد هاتين الثغرتين نرى لزوم اتباع سياسة التكليف أساسًا، أي أن تقوم الجهة الناشرة بوضع الخطط انطلاقًا من الاستراتيجية المقرة، وتكليف الكتاب المترجمين بالترجمة مع ترك هامش لمبادرات هؤلاء الأخيرين، ضمن الأساسين التاليين:

- أن يتم التكليف بعد أن يترجم الكاتب المترجم عشر صفحات على الأقل على سبيل الاختبار وفي حال السوية الجيدة يتم التكليف مع اشتراط الالتزام بالتعديلات المطلوبة بعد الانتهاء من الترجمة.

- إذا أراد الكاتب المترجم عرض عمل ما على الجهة الناشرة فعليه قبل البدء بترجمة الكتاب تقديم ملخص عن فكرة الكتاب وأهميته مع ترجمة لعشر صفحات على الأقل على سبيل الاختبار وفي حال السوية الجيدة يتم التكليف مع اشتراط الالتزام بالتعديلات المطلوبة بعد الانتهاء من الترجمة.

علـى الاسـتراتيجية أن تلحـظ أيضًـا تطـوير العلاقـات مـع المؤسسـات الثقافيـة الـتي تـتم الترجمـة عـن لغاتهـا ، وتفعيـل تبـادل المنشـورات الدوريـة والعمل على توقيع الاتفاقيات الثقافية المرتبطة بهذا الشأن.

2- **الكاتب المترجم:**

المترجـم هـو الحلقـة الأهـم في تكنولوجيـة الترجمـة ، ونجـاح أي استراتيجية مـرتبط ارتباطًـا عضويًّا بمـدى مهاراتـه وإتقانـه للغـة الـتي يترجـم عنها وتعمقه في ثقافته الأصل.

ليس ثمة إحصائيات دقيقة عن عدد المترجمين في سورية ، وعلى الـرغم مـن عـدد المنتسـبين المعقـول إلى جمعيـة الترجمـة في اتحـاد الكتـاب العـرب وتعـدد اللغـات الـتي يترجمـون عنهـا إلا أن غـالبيتهم العظمـى غـير نشـطة لأسـباب متعـددة ، منهـا المـردود المـادي المتـدني للعمـل في حقـل الترجمـة وكذلك عدم توافر إمكانات التواصل مع أحدث ما يصدر في اللغـات الـتي يترجمـون عنهـا ، غير أن السـبب الأهـم مـن وجهـة نظرنـا هـو درجـة المخـاطرة الكبيرة التي يتعرض لها العمل المترجم بسبب من الآلية المتبعـة في النشـر. إن المبـادر إلى الترجمـة في الغالـب هـو المترجـم نفسـه وبسـبب مـن عـدم وجـود استراتيجيات عامة وواضحة فثمة احتمال كبير بـأن لا ينشـر العمـل المترجـم وبذلك يضيع جهد المترجم هباءً.

الغالبيـة العظمـى مـن المترجمـين قـد صـاروا كـذلك بفضـل جهـودهم الخاصة وانطلاقًا مـن الهوايـة وحـدها ، ولا يوجـد لـدينا أكـاديميون في هـذا المجال. كذلك فإننا نلحظ قلة الأسماء الجديدة الـتي تـدخل مجـال الترجمـة في اللغات المختلفة. ونلحظ أيضًا غياب أسماء قـادرة علـى الترجمـة عـن لغـات ينبغـي الترجمـة عنهـا كـالفارسـية أو الصـينية أو الهنديـة ، وعـن دول أخـرى نحن بحـاجة إلى الترجمة عنها بعد إعلان التوجه شرقًا ، فهذا الإعلان كمـا نفهمه يفترض في جزء منه التوجه الثقافي.

لا ينبغي ترك مسألة إعداد المترجمين خاضعة للمصادفة وحدها، وبهذا الشأن فإننا نقترح وضع الصيغ المناسبة لزيادة عدد المترجمين من لغات مختلفة، وخصوصًا بين الشباب وطلاب كليات الآداب، وإقامة ورشات العمل التي تطور مهاراتهم الترجمية، وفتح الآفاق أمامهم لنشر أعمالهم في الصحف والمجلات التي تصدر عن وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب، وتنظيم الجوائز التشجيعية لهم وتكليف المتميزين من بينهم بترجمة أعمال كبيرة، وإرسالهم ضمن بعثات إلى الدول التي يترجمون عن لغاتها. فالملاحظ أن الغالبية الساحقة من المترجمين وخصوصًا عن الفرنسية والإنكليزية قد تعلموا هاتين اللغتين في الجامعات السورية، وهم يحتاجون إلى التواصل اللصيق مع المجتمعات التي يترجمون عن لغاتها.

3- **فعل الترجمة:**

تكتسب مسألة توافر المعاجم والموسوعات أهمية كبرى وخصوصًا في اللغات غير الفرنسية والإنكليزية، فالعمل الموسوعي ووضع المعاجم المختلفة هو ركن أساسي من أركان أي ثقافة، وأهميته تتعدى مسألة الترجمة إلى مجال المعرفة الإنسانية عمومًا، وفي مقدورنا أن نجزم بأن هذا الجانب مغفل في عملنا الثقافي باستثناء ما تقوم به هيئة الموسوعة العربية، مع الإشارة أيضًا إلى المعجم الإلكتروني الطبي الموحد الذي أنجزته جامعة دمشق، لكنه بحاجة إلى تحديث للتوافق مع الصيغ الجديدة لأنظمة التشغيل الحاسوبية.

إن حركة الترجمة بحاجة إلى جملة من المعاجم التخصصية في مجال المصطلحات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية والعلوم السياسية والعلوم الأخرى.

نستطيع بحكم تخصصنا في الترجمة عن اللغة الروسية أن نجزم بأن مهمة وضع معجم روسي عربي وآخر عربي روسي ملحة وضرورية، فالمعجم الوحيد المتوافر وضعه السوفييت في الستينيات من القرن الماضي وأعادوا طباعته مع بعض الإضافات عليه في الثمانينيات، لكنه لا يفي بالحاجة وفيه الكثير من الأخطاء وهو إلى ذلك غير متوافر في الأسواق.

لا نستطيع الحكم على وضع المعاجم في اللغات الأخرى ولذلك نرى أن من أوليات الاستراتيجية المقترحة دراسة هذا الجانب والعمل على وضع الخطط اللازمة من أجل تلافي الثغرات فيه.

4- **التدقيق:**

يعد التدقيق أو قراءة النص من لجان القراءة مرحلة مهمة من مراحل الترجمة، لأن المترجم يحظى بفرصة ثمينة لمعرفة الصدى الذي يتركه عمله في نفس المتلقي قبل صدور الكتاب، وهي أيضًا فرصة لمراجعة الذات والعمل على التصويب. تتحول هذه العملية إلى شكل من أشكال الحوار بين المترجم والقارئ، وهي مفيدة ولا شك في حالها المثالية، لكن نجاح التدقيق مرهون أيضًا بسوية المدقق، وكثيرًا ما نلحظ أن اختيار المدققين يكون عشوائيًّا ولا يخضع لضوابط مهنية، وكثيرًا ما تكون أحكامهم مزاجية وقطعية بحيث لا يتاح المجال للمترجم لإبداء رأيه في هذه الأحكام.

ينبغي أن لا تتحول عملية التدقيق إلى مسألة إجرائية وشكلية كي لا ينقطع الحوار وتضيع الفائدة. ولذلك نرى ضرورة البحث عن أشكال أخرى غير المتبعة في تشكيل لجان القراءة كأن يتم تشكيل مجالس استشارية من أشخاص مشهود لهم بالكفاءة والنزاهة والمكانة الأدبية العالية، وأن يتم وضع ضوابط واضحة في عملية التقويم، والأهم من ذلك

تحسين التعويض المادي للقراء بما يتناسب مع الجهد الذي يبذلونه، وخصوصًا في اتحاد الكتاب العرب.

5- **التنازل:**

الترجمة شكل من أشكال الإبداع المختلفة، ويقال إن الإبداع لا يقدر بثمن، ولذلك على ما يبدو لا يستطيع القيمون على الشأن الثقافي تقدير ثمن الإبداع.

لن يختلف اثنان في أن الحافز المادي لدى المترجم يحظى بأهمية لا يستهان بها، وضعف المردود المادي سوف يؤثر تأثيرًا كبيرًا في حركة الترجمة عمومًا، وقد باتت هذه المسألة ملحة خصوصًا في الأعوام الخمسة الأخيرة بسبب من الظروف السياسية والاقتصادية التي تعيشها بلادنا، فأجور الترجمة (والتأليف أيضًا) ما زالت على حالها منذ ما قبل بدء العدوان على سورية، ويعزو الكثيرون سبب تراجع الترجمة مؤخرًا لهذا السبب تحديدًا.

من المؤكد أن الامتناع المتكرر عن رفع هذه الأجور بما يتناسب مع الجهد المبذول سوف يؤدي إلى تراجع عملية الترجمة وإلى انصراف المترجمين إلى أعمال أخرى أو البحث عن منافذ للنشر خارج البلاد، لكننا نرى أيضًا أن آلية التنازل عن المخطوطات المترجمة تحتاج إلى معالجة في جوانب أخرى غير الأجور، فعلى سبيل المثال أدى وضع سقف أجر الكتاب في اتحاد الكتاب العرب إلى امتناع المترجمين عن ترجمة الكتب الكبيرة، وفي المقابل نجد سعي بعض المترجمين إلى اختيار كتب ضخمة جدًا ذات مواضيع عادية وتقديمها للهيئة العامة للكتاب، التي لا تضع سقفاً لعدد الكلمات. كذلك فإن الأجور لا تميز بين المترجم الجيد والمترجم العادي.

ثمة أيضًا اختلاف في مدة التنازل، إذ تشتري الهيئة حقوق النشر مدة خمسة أعوام بينما يشتريها اتحاد الكتاب العرب مدى الحياة، وبرأينا فإن اتحاد الكتاب العرب يحرم المترجم من إمكان الاستفادة مرة أخرى من عمله بعد نفاد الكتاب من الأسواق.

ما نحتاج إليه هو سياسة سعرية مرنة تحفز على عملية الترجمة وفي الوقت نفسه لا تشكل تبديدًا لا مبرر له لميزانية الجهة الناشرة، وقد يكون أحد الأشكال وضع معايير لأهمية الكتاب وجودة ترجمته، وربما يكون مفيدًا أيضًا تقسيم حجم الكتب إلى شرائح أو ربط أجور المترجم مع حجم المبيعات وغير ذلك.

6- **الطباعة والتسويق:**

تكاد تكون مسألة تسويق المنتج الثقافي مشكلة مستعصية على الحل في أوساطنا الثقافية، وعلى الرغم من عدم امتلاكنا لإحصائيات دقيقة فإننا نستطيع التأكيد بأن هذه الحلقة هي الأضعف في عملنا الثقافي عمومًا.

منذ زمن طويل ونحن نسمع عن عزوف مواطنينا عن اقتناء الكتاب أو متابعة الأنشطة الثقافية، لكننا في المقابل لم نشهد أي معالجات جدية لهذه المشكلة، وغالبًا ما نكتفي بالشكوى وضرب الكف بالكف.

لا ينبغي أن تكون عملية صناعة الكتاب خاسرة بالمطلق على الرغم من قناعتنا بأن الثقافة يجب أن تحظى بالدعم الحكومي دائمًا. تحتاج عملية تسويق المنتج الثقافي إلى دراسة عميقة لوضع الحلول الكفيلة بإيصال الكتاب إلى يد القارئ، وتحتاج إلى منظومة محكمة تهتم بالترويج للكتب المنشورة وتسويقها.

لقد دلت تجربة إقامة المعارض الدورية وغير الدورية على جدوى مثل هذه الفاعليات في نشر الكتاب، وقد يكون الحل في تطوير عمل المؤسسة العامة لتوزيع المطبوعات ومعالجة أزمتها أو البحث عن حلول بديلة أخرى تسهم في إيصال المنتج الثقافي إلى يد المواطنين ونشر ثقافة اقتناء الكتاب في مجتمعنا.

هذه المشكلة لا تقتصر طبعًا على الكتاب المترجم بل تشمل الكتاب عمومًا، ولذلك فإن على استراتيجية الترجمة أن تلحظ الحلول لهذه المشكلة.

***

وعلى الرغم من ذلك وغيره فإن أي استراتيجية لن تنطلق من فراغ، ونستطيع أن نجزم بأن سورية بمؤسساتها الثقافية ودور نشرها من الدول المتقدمة على المستوى العربي في مجال الترجمة، وخصوصًا في الترجمة عن لغات أوربا الشرقية (الروسية والبلغارية والبولونية والتشيكية)، وقد راكمت الكثير من التجارب والخبرات التي يمكن البناء عليها، وترجمت فيها خلال السنوات الماضية أعمال على درجة كبيرة من الأهمية في حقل الأدب والسياسة والعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وغيرها، وكان الدور الأبرز في ذلك يعود إلى وزارة الثقافة والهيئات التابعة لها، وخصوصًا في الفترة الممتدة منذ منتصف السبعينيات حتى منتصف التسعينيات.

ما أتينا على ذكره لا يعدو أن يكون خطوطًا عريضةً، تشكلت لدينا تصورات عنها من خلال تجربتنا الشخصية، وقد تحتاج مناقشة استراتيجية للترجمة إلى تضافر آراء العديد من المترجمين والمتخصصين في مجال الثقافة.

دراســـات

مالك صقور

الترجمة.. واقع وآفاق

(دراسة غير منشورة ألقيت في ندوة الترجمة لعام 2015)

لا أخطئ إن قلت: إن المترجمين هم جنود مجهولون في حقل المعارف والعلوم، على الرغم، من وضع أسمائهم بجانب أسماء المؤلفين. مَنْ يذكر منكم من ترجم (الفردوس المفقود) لميلتون، أو الأحمر والأسود لستندال، أو من ترجم رسالة الغفران إلى اللغات الأجنبية. والقائمة تطول. إذا ما عدّدت أمهات الكتب، أو روائع الأدب العالمي، التي تُرجمت (من وإلى)، إذ يذاع صيت المؤلف، وعنوان كتابه، ويُنسى اسم المترجم في أغلب الأحايين.

وفي الوقت نفسه، لا أبالغ إن قلت: إن المترجمين ـ كخبز الشعير ـ مأكولون مذمومون.

قد يوافقني بعضكم، وقد لا يوافق فريق آخر. والدليل على ما أقول، هو: إنْ نجح مترجم في نقل عمل ما، فالفضل والشهرة، والصيت تكون للمؤلف العبقري، ولا يكاد يُذكر اسم المترجم من أكثرية القرّاء، يذكره بعض المهتمين بالترجمة.. وإنْ تعثرت الترجمة، لسبب ما، أو أخفقت، ولم تكن موفقة، فالويل والثبور للمترجم الذي لم يوفق في الترجمة. وقد يكون سبب الإخفاق هو المؤلف وليس المترجم، أي، أن المؤلف في لغته الأم لم يكن نصُّه نصاً مفهوماً، وقابلاً للترجمة، وهذا في رأيي، يتعلق بقضية (الاختيار)، ـ والاختيار ماذا نترجم؟ وهنا يطرح سؤال نفسه، هل كل الكتب صالحة للترجمة؟

***

لمحة تاريخية عامة:

إن نظرة سريعة إلى تاريخ الحضارة البشرية تؤكد بأن الترجمة ليست نشاطاً ضرورياً واكب وجود الإنسان فحسب، بل كانت الترجمة هي الركن الأساس في بناء الحضارة، واكتمال الحضارة الإنسانية وإغنائها على مرّ العصور والحقب، وتاريخ الحضارة، يثبت ذلك. يثبت كيف انتقلت العلوم والمعارف، بين الشعوب قاطبة، لتغني بعضها بعضاً، وتكمل ما تنقصه ثقافة شعب ما، والفضل في انتقال هذه المعارف والعلوم كانت للترجمة. للترجمة حصراً.

لقد صاحب المترجمون الحملات العسكرية، والحروب، والغزو، والرحلات، والاحتلال. وكانت الترجمة هي أساس التفاهم، وتبادل المعلومات، والأخبار، ومن هنا، تطورت أساليب الترجمة، حتى شملت نقل

المعارف والعلوم كافة.. مثلاً: كانت فتوحات الإسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد، قد أدّت إلى انتشار العلوم اليونانية في كل المناطق التي فتحها الإسكندر. وكانت مدرسة الإسكندرية في مصر مركزاً هاماً للدراسات الهلنستية (في عصر بطليموس 323 قبل الميلاد، كما كانت الإسكندرية تنافس أثينا)، وفي الوقت نفسه مهداً للفلسفة الأفلاطونية الجديدة، خاصة، بعد إغلاق المدارس الوثنية في الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور جوستنيان في القرن السادس.

لقد صدّرت الإسكندرية الطب اليوناني إلى بلاد ما بين النهرين، مع مؤلفات أرسطو التي دُرِّستْ في الأديرة الشرقية بالتوازي مع المؤلفات المسيحية، وكان للعلوم اليونانية إذن، أثر كبير لدى السوريين. إذ كانت تدرّس العلوم اليونانية السريانية في المدارس السريانية. تقول مريم سلامة ـ كار: "لقد نقل السوريون الحضارة اليونانية إلى الإمبراطورية الفارسية في عصر الأسرة الساسانية (224 ـ651م)، بالإضافة، إلى ما كان يحمله الفرس من الكتب في أثناء حملاتهم في اليونان ومصر، وقد أسّس الإمبراطور كسرى أنو شروان، في جنديسابور مدرسة طبّية شهيرة حيث درست العلوم اليونانية باللغة السريانية"(1).

يذكر ابن خلدون في مقدمته فضل الترجمة، يقول: "والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس، ويسمى كتاب الأصول وكتاب الأركان، وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور، ونسخة مختلفة باختلاف المترجمين، فمنها لحنين بن إسحاق ولثابت بن قرة، وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة"(2).

ويقول ول ديورانت، في قصة الحضارة: "لقد كان بنو أمية حكماء إذ تركوا المدارس الكبرى المسيحية، والصابئية، والفارسية قائمة في الإسكندرية، وبيروت، وأنطاكية، وحران، ونصيبين، وجند يسابور، لم يمسّوها بأذى، وقد احتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب في الفلسفة والعلم، معظمها في ترجمته السريانية.. وما لبثت أن ظهرت ترجماتها إلى اللغة العربية على أيدي النساطرة المسيحيين" ويتابع

ول ديورانت قوله: "ودامت أعمال الترجمة المخصبة المثمرة من عام 750 إلى 900م. في هذه الفترة عكف المترجمون على نقل أمهات الكتب السريانية، واليونانية، والفهلوية، والسنسكريتية، وكان على رأس أولئك المترجمين المقيمين في بيت الحكمة طبيب نسطوري هو حنين بن إسحاق (809 - 873) وقد ترجم وحده، إلى اللغة السريانية، أكثر من مئة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العلمية، وإلى اللغة العربية تسعاً وثلاثين رسالة أخرى، وبفضل ترجمته نجت مؤلفات جالينوس من الفناء"(3).

ولا بد لي، من التوقف عند تجربة حنين بن إسحاق، ومدرسته التي كان لها الفضل الكبير والأول، في إرساء نظرية الترجمة، وتمكينها في الوطن العربي، والعالم الإسلامي. ففي عام 1998، صدر في وزارة الثقافة في دمشق، كتاب مريم سلامة ـ كار: بعنوان: (الترجمة في العصر العباسي. مدرسة حنين ابن إسحق وأهميتها في الترجمة) ترجمة: د. نجيب غزاوي.

تقول المؤلفة: "خصص المؤتمر التاسع والعشرون للمستشرقين المنعقد في الكوليج دوفرانس يوم الثلاثاء الواقع في 17 تموز 1973 ندوة لحنين بن إسحاق تخليداً لمرور المئة الحادية عشرة على وفاته، وأشار جورج عطواني

في مقدمة أعمال الندوة إلى التعددية الثقافية لدى حنين وإلى أهمية هذه التعددية بالنسبة للحوار الإسلامي المسيحي. فلقد استوعب المسيحي النسطوري، حنين، الثقافة اليونانية، ليكاملها مع الحضارة العربية الإسلامية عبر اللغة السريانية، وذلك بفضل عمله بالترجمة أساساً، وكان متعدد الثقافة أيضاً، إذ كان طبيباً ولسانياً ومترجماً، ونحن نهتم به هنا، باعتباره مترجماً"(4).

لا أعرف، إن كان العرب قد اهتموا بمدرسة حنين بن إسحاق، ودرّسوا تجربته، وتجربة مدرسته، كما فعل المستشرقون الأجانب، وذلك، ليس لإحياء وتخليد حنين بن إسحاق الرائد في عالم الترجمة، بل للإفادة من هذه المدرسة العظيمة، التي أرست نظرية الترجمة، وقواعدها.

أنتقل من العصر العباسي، إلى عصر النهضة:

يقول د. فؤاد المرعي، في دراسة له، بعنوان: الترجمة ودورها في التفاعل الفكري بين العرب وأوروبا في العصر الحديث: "كان عصر النهضة عصر تكوين للفكر العربي الحديث الذي يدين بالكثير للترجمة، لأن النهضة كانت بمعنى من المعاني، حركة ترجمة أملاها وعي المتنورين العرب بالتخلف عن أوروبا، فاتخذت شكلاً مباشراً من خلال المؤلفات الأوروبية، وشكلاً غير مباشر، من خلال نقل أفكار الأوروبيين. ففي مناخ الفكر الإصلاحي الذي انتشر بصور وأشكال مختلفة في البلدان العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر، برزت الترجمة بوصفها أداة هامة في برنامج النهضة، أي، أنها لم تكن عملاً عفوياً، أو ظاهرة محايدة، بل كانت اختياراً حضارياً، يسعى لتحقيق أهداف وغايات محدّدة"(5).

ولا يمكن أن ينسى الباحث، في هذا السياق، كيف تنبه المفكرون العرب المتنورون إلى الفرق الكبير الذي يفصل أمتهم عن الحضارة الأوروبية، وإلى خطر الاستمرار بالتبعية للإمبراطورية العثمانية التي فرضت استمرار عصر الانحطاط الذي أشاع في الحياة العربية الجهل والتخلف والأمراض الاجتماعية، بفعل التتريك. وقد كانت هذه اليقظة واحدة من أهم العوامل التي دفعت بالمتنورين العرب وانفصالهم عن الإمبراطورية العثمانية ـ الرجل المريض ـ وإقامة الصلات مع البلدان الأوروبية.. ومن هنا، بدأ الاحتكاك الفكري والثقافي المباشر مع شعوب أوروبا الغربية، وراح هذا الاحتكاك يتطور. وكان عماد هذا الاتصال وهذا الاحتكاك هو الترجمة. يقول د. فؤاد المرعي: "لم يكن المتنورون العرب يهدفون من خلال ما يقدمون من أعمال مترجمة إلى التعريف بالأدب الأوروبي، والأدباء الأوروبيين، بقدر ما كانوا يسعون إلى تحقيق أهدافهم التنويرية المتمثلة بالإصلاح الاجتماعي والسياسي الذي يُمكّن العرب من بعث أمجادهم الماضية، وإحياء قدراتهم السياسية والاقتصادية والثقافية"(6). كما ويذكر د. فؤاد المرعي، السمات العامة للترجمة في عصر النهضة، وأهم هذه السمات:

1 ـ تحوير اسم العمل الأدبي المترجم بحيث يتلاءم مع قواعد الأسلوب العربي الجيد.

2 ـ تعريب محتوى العمل المترجم عن طريق إسقاط كل ما هو غير مفهوم، ولا يتفق وقواعد السلوك والأخلاق في المجتمع العربي.

3 ـ تحميل العمل الأدبي المترجم أفكار المترجم نفسه، بحيث يؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى تغيير المحتوى الفكري في العمل الأدبي تغييراً جذرياً.

4 ـ إهمال اسم الكاتب الأصلي في كثير من الأحايين، ولا سيما عندما يكون هذا الكاتب مغموراً. أو ادعاء المترجم بأنه هو نفسه مؤلف العمل"(7).

***

ولا بد من المرور سريعاً إلى حركة الترجمة بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد استقلال الأقطار العربية: يقول د. فؤاد المرعي: "لقد كانت الترجمة منذ بداية حركتها الناشطة في عصر النهضة أقرب إلى الاتباع منها إلى الإبداع. وقد بقيت هذه الحركة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية تقريباً، منفتحة على الداخل، بمعنى أنها ظلت قرابة سبعين عاماً تسعى إلى ترجمة ما كانت تراه ضرورياً لمجتمعاتها كي تحقق أهداف النهضة العربية"(8).

ويرى المرعي، أنه مع بداية نيل البلدان العربية الاستقلال، بدأت التحول من الداخل لتنفتح على الخارج، بمعنى أنها صارت تترجم ما يصدّره الآخر ـ الغرب؛شرق ـ إليها، وليس فقط ما تحتاجه مجتمعاتها من أجل بناء ثقافتها وحضارتها، يقول د. مرعي: "كما تحولت المجتمعات العربية تحت هيمنة التبعية الاقتصادية إلى مجتمعات مستهلكة عاجزة عن الإنتاج المادي الموازي لنزعتها الاستهلاكية المتنامية وتحولت هذه المجتمعات في ظل هيمنة التبعية الثقافية إلى مجتمعات مستهلكة عاجزة عن الإبداع الروحي والفكري الموازي لنزعة الاستهلاك الثقافي المسيطر على حياتها الروحية"(9).

ـ ترجمة الفلسفة الوجودية:

بعد الحرب العالمية الثانية، انتشر الفكر الوجودي في أوروبا، خاصة في فرنسا، بعد اليأس والقنوط والإحباط الذي عمّ المجتمعات الأوروبية، نتيجة الحرب العالمية الثانية المدمرة، وكان لانتشار الفكر الوجودي، أن ينتقل إلى المجتمعات العربية، فتمت ترجمة أعمال كولن ويلسون، وجان بول سارتر، وألبرتومورافيا، وبحكم المد الوجودي الشائع، تبوأت مؤلفات سارتر الصدارة في المكتبات العربية، وهنا، يطرح سؤال نفسه: هل ترجمة أعمال الوجوديين الفرنسيين وغيرهم، كان من باب الحاجة، أم من باب الاطلاع؟! وهل كان من يوّجه لترجمة تلك الأعمال أم هو اجتهاد شخصي من المترجمين أنفسهم؟

ـ ترجمة الأدب الاشتراكي الماركسي:

وفي الوقت نفسه، عندما غزت الأفكار الوجودية المجتمعات العربية، تمت ترجمة أعمال كبار الأدباء الروس ـ والأفكار الاشتراكية، التي استطاعت أن تزيح الأفكار الوجودية، وعندما انتصرت الأممية بانتصار الاتحاد السوفييتي، في الحرب الوطنية العظمى، وسحقت الفاشية والنازية، وقامت المنظومة الاشتراكية، تعاظم المد الاشتراكي، ونشطت الترجمة نشاطاً ملفتاً، فامتلأت المكتبات بالأدب الروسي، والأدب الاشتراكي، والشيوعي، والأدبيات الماركسية، التي كان لها الفضل في نشر التنوير ضد الغيبيات، ونشر الوعي الاشتراكي الخلاق، ومقارعة الاستعمار والإمبريالية، والقضاء على التبعية والتخلف، وازداد الوعي بحركة التحرر العالمية؛ فانتصرت كوبا، وصار الأنموذج الغيفاريإنموذجاً

يقتدي به الشباب العربي، كذلك، تكلل الانتصار بهزيمة أمريكا، في فيتنام. وصرنا، نقرأ الأدب الصيني مترجماً، والأدب الفيتنامي، بالإضافة إلى أعمال أخرى من البلدان الاشتراكية.

وهكذا، شهدت المجتمعات العربية نتيجة ترجمة الأفكار الوجودية، والاشتراكية، معارك ساخنة، خاصة، في المشهد الثقافي، حول "طبقية الأدب" و"الأدب الملتزم"، و"البطل الصغير" والبطل السلبي، والبطل الإيجابي، بالإضافة إلى العلاقة بين الأدب والواقع، كذلك بين الإيديولوجيا والثقافة.

وأخذناها على عِلاتها، دون مناقشة.

حركة الترجمة بعد زوال الاتحاد السوفييتي:

بعيد زوال الاتحاد السوفييتي، وتفكك المنظومة الاشتراكية، وانتصار الغرب الرأسمالي الإمبريالي تربعت الإمبريالية على عرش الكرة الأرضية. وبهذا الانقلاب الخطر جرت انزياحات خطرة (إن جاز لنا أن نسميها انزياحات)؛ في مجالات الحياة السياسية والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية، والاجتماعيةكافة. وهذا معروف للجميع.

وكان لا بد أن تتأثر حركة الترجمة ــ الناشطة، في دور النشر السوفييتية وعلى رأسها (دار التقدم) وغيرها من دور النشر، التي نشرت الأدب الروسي التقليدي، ثم الأدب السوفييتي، وآداب الحرب الوطنية العظمى، والأدبيات الماركسية، الفكرية، والاقتصادية، فتوقفت هذه الدور عن النشر، والترجمة.

ومن الملاحظ، أن منذ تسعينيات القرن الماضي وقبله بقليل، نشطت الترجمة في المجتمعات العربية، واتجهت إلى أدب أمريكا اللاتينية، وإلى الأدب التركي. وقليلاً، من الأدب الأفريقي. وغطت واجهات المكتبات روايات أمريكا اللاتينية، وهذا أمر إيجابي، كما ولوحظ، نشاط سلسلة عالم المعرفة الكونية، فأصدرت سلسلة كتب مترجمة، هامة، كذلك أصدرت (الثقافة العالمية)، وكذلك، نشطت حركة الترجمة في مصر، وكان لهيئة الكتاب في القاهرة مشروعٌ حميدٌ أيضاً.

وهنا أعود، إلى السؤال الذي طرحته في البداية:

هل كل الكتب التي تصدر في الخارج صالحة للترجمة؟

بمعنى، هل كل الكتب في الخارج، نحن بحاجة إليها في المجتمعات العربية؟

فإذا ما تذكرنا حركة الترجمة، أيام حكم بني أمية، وبني العباس، خاصة أيام المأمون، وبيت الحكمة، حتى عصر النهضة، كانت الترجمة مركزية وموجهة، أي، أنهم كانوا يدركون ما هم بحاجة إلى ترجمته لإغناء ثقافتنا وحضارتنا. والملاحظ، في العقود الأخيرة. أن حركة الترجمة قد نشطت في كل المجتمعات العربية، سواء على المستوى الرسمي: وزارات الثقافة، اتحادات الكتاب ـ هيئة للكتاب. إلخ، كذلك، نشطت دور النشر الخاصة، الني يهمها الربح فقط، بغض النظر عن المردود الثقافي وأهميته بالنسبة للمتلقي. كذلك، النشاط الفردي لبعض المترجمين، الذين ترجموا مجتهدين، فإن هذه الكتب يجب أن تشق طريقها إلى المتلقي العربي.

هنـا ، لا بـد مـن ملاحظـة ، أن ذلـك قـد أدّى إلى قليـل أو كـثير مـن الفوضـى في اختيـار الكـتب المترجمـة ، نتيجـة استسـهال أو تراخـي وذلـك بسبب دور النشر الخاصة ، التي لا هم لها سوى الربح ، مستغلة وضع المترجم المادي.

والآن، إن عنوانـاً ، مثـل عنـوان هـذه النـدوة: الترجمـة واقـع وآفـاق ، في رأيي ، يفترض أن تشكل عدّة ورش ، لمعالجته ، ومناقشته ، كما يفترض ، أن تـزوّد الجهـات المعنيـة ، بإحصـائيات دقيقـة ، عـن الكـتب المترجمـة ، وعـن الكتب التي ستترجم ، وذلك للوقوف بشكل صحيح على واقع الترجمة في الوطن العربي ، بشكل عام ، وفي سورية ، بشكل خاص. يفترض أن تقدم إحصـائيات عـن نوعيـة الترجمـة ، والأجنـاس الأدبيـة: تاريخيـة ، فكريـة ، اقتصادية ، كذلك ، من شعر ، وقصة ورواية ومسرحية ، وتكون مهمة هذه الورش ، استخلاص النتائج ، والتركيز على فوضى الترجمة (إن وجدت من قبل دور نشر خاصة) ، هذا أمر ، والأمر الثاني ، الذي أود أن أؤكد عليه ، هو وضع المترجم المادي ، فكثيراً ما يضطر المترجم نتيجة الحاجة ، وهذا في أغلب الأحيان ، على بيع جهده الترجمي ، أو ، أن تطلب دور النشر الخاصة ، كتابـاً خاصـاً ، جـرت لـه دعايـة في الخـارج ، ولاقـى رواجـاً ، فتلقفتـه هـذه الـدور ، وأغـرت بعـض المترجمـين بترجمتـه ، بغـض النظـر ، عـن أهميتـه ومضمونه ، ومردوده الثقافي.

في هذا السياق ، أذكر حنين بن إسحاق مرّة أخرى ، والمعروف في تلك الأيـام ، كانـت مكافـأة المترجـم مجزيـة ، ومجزيـة جـداً. حتـى يقـال: كـان المترجم يكافئ بوزن كتابه ذهباً ، حتى ولديورانت صاحب قصة الحضارة لفته هذا الأمر ، يقول: "وكاد المأمون أن يُفلس بيت المال حين كافأ حنين

على عمله هذا، بمثل وزن الكتب التي ترجمها ذهباً"(10).

من غير تعليق، ماذا لو كوفئ المترجم عندنا، في هذه الأيام، بما تستحق ترجمته، في رأيين، كانت انجلت أمور كثيرة، وحلت مشكلات أكثر، وتطورت نوعية الترجمة. اختياراً، وإصداراً.

***

وأحب أن أتحدث أخيراً، عن الترجمة واللغة، ووجدت أن استشهد بقول البرفسور كمال أبو ديب، عن ترجمته لكتاب إدوارد سعيد: (الثقافة والإمبريالية" تحديداً فيما يخص اللغة العربية بالذات: "هذه الترجمة، كما هو هذا الكتاب، معترك وساحة تنازع ومقاومة، معترك بين الإيمان بثقافة تُغري وبين الاستسلام لثقافة غازية... وهي تنازع وصراع مع غزو يجتث ولا يبقي ولا يذر: غزو عسكري وسياسي واقتصادي وأخلاقي وثقافي ولغوي وأزيائي وطعامي.. غزو تعرضت له هذه الثقافة مرات من قبل، وكان بين منقذاتها الأولى هذه اللغة، ونبض الإبداع، والتفكير بها، وتطويرها وتغييرها وتفجيرها، والجرأة عليها، إن بين لغة الجبرتي قبل قرن من الزمان فقط ولغتي التي أكتب بها الآن من الفرق ما يجلو التطور الخلاق الذي تمّ في هذه اللغة. ولقد حفظ هذه اللغة أيضاً وأنقذها من السقوط قرآنها الكريم. والغزو المعاصر اقتلاعٌ ليغني نبض الإبداع باللغة العربية، ولقرآن هذه اللغة الجميلة.

فإذا اجتث كلاهما، اجتثت هذه الثقافة من الجذور، وتكدست خارج التاريخ مشلولة، تابعة، ساقطة، وصار العرب هنود الصحراء السوداء"(11).

***

وأخيراً:

يحكى كثيراً عن خيانة المترجم، والترجمة الأمينة، والدقيقة، ويتم الحديث عن تقانات الترجمة، وأساليبها، وخفاياها، ونجاحاتها، وإخفاقاتها.. يحكى عن موسوعية معرفة المترجم، ومسؤوليته، وعن التعريب، واشتقاق كلمات جديدة، كذلك عن الترجمة بين الإمكان والامتناع، أو استحالة الترجمة المتطابقة، مع النص الأصلي. وهذا يتطلب وحده، أكثر من ندوة، ومحاضرة، بالإضافة إلى الحديث عن هنات الترجمة وثغراتها، ومعرفة خصائص اللغتين... وهذا ما سأتركه للزملاء الكرام، في هذه الندوة.

والسلام عليكم.

إحالات

(1) مـريم سـلامة ـ كـار ـ الترجمـة في العصـر العباسـي، مدرسـة حـنين بـن إسـحاق وأهميتها في الترجمة. ترجمة نجيب غزاوي، وزارة الثقافة ـ 1998 ـ ص 10- 11.

(2) مقدمة ابن خلدون. طبعة: كتاب الشعب، عن دار الشعب، القاهرة، طبعة قديمة من غير تاريخ، ص: 458.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد: 13- 14، ص 177- 178.

(4) مـريم ـ سـلامة ـ كـار: الترجمـة في العصـر العباسـي، مدرسـة حـنين بـن إسـحاق. ترجمة: د. نجيب غزاوي، وزارة الثقافة ـ دمشق 1998، ص 17- 18.

(5) د. فؤاد المرعي. مجلة الموقف الأدبي ـ عدد أيار وحزيران 1991، ص 12.

(6) المصدر نفسه ص: 13.

(7) المصدر نفسه ص: 14.

(8) المصدر نفسه ص: 16.

(9) المصدر نفسه ص: 17.

(10) ول ديورانت: قصة الحضارة: المجلة 13- 14 ص 178.

(11) الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، دار الآداب، بيروت، 1998 ـ ترجمة د.كمال أبو ديب ـ ص 84.

شـعر

ترجمة:

إبراهيم بيطار

دعوة إلى الوادي الذي أحب

الشاعر التشيلي **أوسكار كاسترو**

(1910م-1948م)

لم تبدين حزينة..

مثل أزهار المساء..

ما الذي يلهو بقلب حبه وسع الفضاء

ألأمر جدٌّ في دنياكِ أم غنج نساءْ!..

أمس ودّعتكِ والوجهُ كروضٍ في الربيعْ..
يُرسلُ الضحكاتِ شلالاً على الثغرِ البديعْ...
كخلايا نحلةٍ بيضاءَ مِنَ بُرجٍ منيعْ...
كيف يغدو اليومَ دِفءُ الحبِّ نهباً للصقيعْ!!

***

يحسنُ الصمتُ إذا السائل أدرى بالجوابْ..
غير أني ربما أثلجُ صدري بالعتابْ
ما الذي قاد خطاك الأمس للريف البعيدْ
أهيامُ الطيرِ بالأجواء أم حبٌّ جديد؟
يعتريني هاجسٌ يطرقُ سمعي أَلفَ مرَّهْ:
"إنه ليس وحيداً... كفه في كفِ أخرى"

***

لم تعدْ تبهرني الأضواء في هذا الزمانْ
سحرُ ذاك الوادي ناداني فهممتُ المكانْ..
إنه أرضُ ندى القلب وخفقاتِ الجنانْ
إنه أرض العواطف والتأمل والحنان:
أبداً لا الماء لا الخضرة لا جيد الحسان..
لا الهوى لا الشعر لا الخمرة في تلك الدنان..
كلها من دون عينيك ظلال ودخان..
ولهذا همتُ كالنسّاك أرنو للسماء..
أنا أزدادُ اتضاعاً وهي تزدادُ ارتفاعاً
فدعي الغيرة والريبة والقولَ المدانْ...
فلقد كنت معي في مهجتي والحب كان

من ديوان "رحلة الليل إلى الفجر"

شـعـر

ترجمة:
رضوان السائحي

مختارات من شعر بول إيلوار

- حتـى عندما ننـــــام

حتى عندما ننام.. نسهر واحداً على الآخر

وهذا الحب الأثقل من فاكهة ناضجة لبحيرة

دون ضحك ودون بكـاء يستمر منذ البداية

يوماً بعد يوم ليل بعدنا.

حســـــــــناء

حسناء وأنت تنامين ستكسرين السلسلة
التي تربط ريشة الليل إلى رصاص الأرمدة
الجسد الميت للحيوان الذي ينط في حلم
بين الأعشاب والأوراق المختلطة
للامتداد الأخضر قطع فحم تشرب الظل.

حسناء، ستتلقين القوت الملحوظ
بالأعين لشبكة الأوردة والأعصاب
ضوء حميم، لهب، وقشعريرة الصباح
لقد فات الأوان أغمضي عينيك لقد أرسل الغد إشعاعه
غداً ستعرفين العالم أفضل من اليوم.

حسناء يوماً وكل يوم وكل مكان
ضعفك وقوتك لهما نفس التجلي
إيهْ معشوقة الجميع، معشوقة واحد
في صمت يعد ثغرك أن تكوني سعيدة
في قلب الجميع.. في قلب واحد لقلبنا.

يـوما ما

كـي تطـوق اسـمـك ببعض الحـنـان
عبثيا كـان الزقاق والبيت مريرا
أملس كـان النهار..والليل عليلا.

مسألة قوة

كل مكسور بالكلام الأكثر وَ هَنًا
ظل الفكرة...فكرة الظل ميتة سعيدة
صارت النار ماءاً فاتراً..والخبز فتاتاً
والدم المخضب ابتسامة..والصاعقة دمعة

الرصاص المغطى بالتبر يرهق انتصارنا

لم نبذر شيئًا لم يتلفه

المنقار الدقيق للملذات الحميمة

تلج الأجنحة الطير كي تثبته

حي يتحدث عن الموتى

غد حُلْو، هذه العين المَبْعُوجة هي أنا
هذه البطن المَبْقُورة، وهذه الأعصاب المتمزقة

هي أنا عرضة للديدان والغربان،
كنت من كنت، ابنا لملك أو ابنا للعدم

قريباً سأفقد هيأتي
أنا في الأرض عوض أن أكون فوقها
قلبي الذائب يطير مع الغبار
ليس لي من معنى إلا في الغياب التام.

النشـوة

أمام هذا المنظر الأنثوي
كطفل خلف النار
ضاحكا بغموض والدموع في العينين
خلف هذا المنظر حيث كل شيء يتحرك في
حيث تتضبب مرايا ، حيث مرايا تتضح
تعكس جسدين عاريين ، فصلا أمام فصل

لي ألف مبرر كي أتيه
على هذه الأرض التي لا طريق فيها
والسماء التي لا أفق لها
مبررات كنت أجهلها بالأمس
ولن أنساها إلى الأبد
أسرار نظرات هي ابنة لذاتها
أمام هذا المنظر حيث الطبيعة لي
أمام النار...النار الأولى
مبرر كاف
نجمة متماهية
وعلى الأرض تحت السماء ، خارج قلبي ، وفي قلبي
برعم ثان ورقة خضراء أولى

يحجبها البحر بجناحيه
والشمس في عمق كل الأشياء آتية منا
أمام هذا المنظر الأنثوي
مثل غصن أنا في موقد النار.

حدود التعاسة

فجأة وبصورة رهيبة
لم تعد عيناي تبصران أبعد مني
أقوم بحركات في الفراغ
كمن ولد مكفوفاً
شاهداً على ليلته الوحيدة
فجأة وبصورة رهيبة
لم تعد الحياة بحجم الزمن
صحرائي تناقض المكان
صحراء متعفنة صفراء
من موتي الذي أشتهيه
لي في جسدي الحي خرائب الحب
ميتتي في فستانها الملطخ بالدم.

قصـة

ترجمة:
إبراهيم شهابي

العفَّـــة

حكاية حب شعبية صينية من عهد سلالة صنغ

• ترجمها عن الصينية: لين يو تانغ

• ترجمها عن الإنكليزية إلى العربية: د. إبراهيم يحيى شهابي

مقدمة المترجم عن الصينية إلى الإنكليزية:

طـورت هـذه القصـة عـن حكايـة قصـيرة موجـودة في كتـاب الفكاهـات والحكايـات الشـعبية. الحكايـة الأولى موجـودة في الأصـل. تـروي الحكايـة الأصليـة كيـف أن امـرأة، في مسـاء يـوم اسـتلامها قـوس الشـرف التـذكاري، أغريـت بخادمهـا ففقـدت القوس فشنقت نفسها.

القصة :

تقع وراء صنتشو مدينة صغيرة بين سلسلة تلال طويلة، جرداء، وبحيرة ويشان الجميلة والمحفوفة بأرض سبخة. وكان هناك طريق قديم يجسره صف من الأقواس الحجرية. يعد هذا المشهد مألوفاً جداً في القرى والبلدات والمدن الصينية. فهذه الأقواس التي تبدو كأنها بوابات تزيينية ليست سوى أقواس تذكارية لرجال ونساء من الماضي، أقيمت تكريما للعلماء الذين وصلوا مراتب عليا وحازوا على سمعة مرموقة، وللنساء اللواتي اشتهرن بعفتهن. إنها أقواس شرف وعفة تتطلب إقامتها الحصول على رخصة من الإمبراطور مباشرة احتفاء بالأرامل اللائي فقدن أزواجهن وما زلن في شبابهن وبقين وفيّات لذكراهم مدى الحياة. كان الرجال يعجبون بهذا الوفاء، ولكن هذه القصة سوف تبين صعوبة ذلك.

نادت السيدة "وين" ابنتها: هيا ادخلي يا "ميهوا"، ليس من المألوف لصبية في مثل عمرك أن تقف بالباب المفتوح على الشارع. دخلت ميهوا مطرقة رأسها خجلا. كانت ميهوا فائقة الجمال ذات شفتين حمراوتين بهيّتين وأسنان مستوية وبشرة بلون أزهار الخوخ. وكانت، بما تتمتع به من صراحة واستقلالية وعناد، نموذجا للفتاة الريفية. فعلى الرغم من أنها دخلت مطأطئة رأسها فإنها فعلت ذلك كارهة وما زال قلبها ينبض حنقا. قالت لأمها مدافعة عن نفسها: البنات الأخريات يتفرجن. ثم صمتت.

كان حوالي سبعين أوثمانين جنديا يسيرون في الشارع. وكان الشارع الضيق يردّد أصداء وقع أقدامهم على الرصيف المغطى بالحصى. خرج الرجال والنساء من البيوت ليرو إلى أين هؤلاء الجنود ذاهبون. النساء

المتقدمات فى السن خرجن وأسندن ظهورهن إلى الجدران. أما الشابات فبقين وراء ستائر الأبواب المصنوعة من شرائح مشبكة من خشب الخزيران والتي تعد ابتكارا رائعا بحيث يرى المرء من ورائها ولا يُرى. بيد أن ميهوا خرجت من وراء الستارة ووقفت على الرصيف الحجري المرتفع خارج البيت بحيث تُرى بسهولة.فحدد نقيب طويل القامة موقعها من على بعد عشرة أقدام إذ كان في مؤخرة الرتل وكانت عينه تبحث عن شابة جميلة. فعندما مر أمام الفتاة ذات البشرة بلون زهر الخوخ رمته بابتسامة لطيفة. تابع السير ملتفتا التفاتة سريعة في أقل من ثانية ليلقي نظرة أخرى على وجه الفتاة الجميل.

كانت فرقته قد جاءت من صنشو على بعد حوالي ثلاثين ميلا جنوبا لتجتث عصابة من قطّاع الطرق معتصمة في التلال الزرقاء وتشنُّ غارات جريئة متزايدة في المناطق المجاورة. وكانت فرص إيواء الجنود في مدينة صغيرة مثل "هانتشوانغ" محدودة. كان في المدينة معابد عديدة ولكن الجنود يفضلون السكن في بيوت حيث يستطيعون النوم على فراش مريح على الأقل. ثبت النقيب موقع البيت في ذهنه لأنه لو أدار رأسه مدة ملحوظة ليتأكد من موقع البيت ويلقي نظرة مطولة على الفتاة لواجه حكم الإعدام. وبعد أن أمّن جنوده ولبى لهم طلباتهم عاد في المساء إلى بيت الفتاة وطلب إن كان يمكنهم استضافته. كان في البيت أرملتان، أم الفتاة وجدتها. لكنه لم يكن يعلم ذلك. شرح وضعه قائلا إن الحملة ربما تستغرق شهرين، وسوف يقضي معظم الوقت خارج البيت، ولكن عند عودته إلى المدينة سوف يكون شاكرا جدا لو كان في البيت مكان يؤوي إليه. تبادلوا الأسماء فاكتشف النقيب، لدهشته، أنه لا رجال في البيت. أما الفتاة التي رآها ذلك الصباح فكانت موجودة مضطربة تنتظرموافقة أمها وجدتها بشوق كبير. كانت الجدة عجوزا في الستين من

عمرها، مجعّدة الوجه، تضع على رأسها عصابة مخملية سوداء. أما السيد "وين" فكانت طويلة نحيلة قليلا جميلة في حوالي الخامسة والثلاثين من العمر، ذات أنف شامخ جميل، وفم صغير جذاب. وبدت كأنها نسخة مشذبة مصقولة من ابنتها الشابة. تتمتع بحيوية هادئة وعاطفة مضطرمة ولكنها مكبوته غير مطفأة ؛ بل مسيطر عليها بعناية. كانت تغطي وجهها بنقاب محتشم، وإذا ما ارتسمت على شفتيها ابتسامة سرعان ما تتجمد شفتاها إن لحظ النقيب تلك الابتسامة. ولّدت عيناها المتسمتان بذكاء فائق انطباعا عند النقيب بأن هناك لغز يستحق السبر.

إن إقامة رجل غريب مع أسرة مؤلفة من ثلاثة أجيال من النساء تعد فكرة جديدة، بدعة اجتماعية. بيد أن نظرة واحدة إلى هذا النقيب الشاب تجعل من السهل على قلب أي امرأة أن ترحب بالفكرة. كان النقيب طويلا ممشوقا ؛ عريض الكتفين، ذا تقاطيع منتظمة وشعر كثيف شديد السواد. فلم يكن ضخما، جاهلا، ولا مزدريا للآخرين، ولا شتاما حلاّفا مختالا كالذين يراهم المرء عادة في صفوف الجيش. ولم يكن جلفا قاسيا، ولايدعي الأنفة المصطنعة كما يفعل غيره. وكان كلامه، بوصفه خريجا لأكاديمية بييانغ، ينم عن ثقافة وأخلاق حسنة جدا. اسمه "لي صنغ" واسمه الشخصي " صنغ ". تابع شرحه لوضعه قائلا: لن أزعجكن بالطعام. إن كل ما أحتاجه هو سرير ومكان أستحم فيه وكوب من الشاي بين الحين والآخر. قالت السيدة "وين": ربما لا يكون البيت مناسبا لك، أيها النقيب، ومع ذلك سوف يكون من دواعي سرورنا أن تقيم معنا عندما تكون في المدينة، إن رغبت.

كان البيت معتما قليلا، ينقصه شيء من الجمال؛ أثاثه أنيق ولكنه قديم غير مكسو، لونه باهت. لكن البيت كان نظيفا مرتبا، وحسن الإدارة. يمكنهم أن يقدموا له كنبة من خشب الخيزران في الصالة

الأمامية، أما ميهوا فتنام مع أمها في الباحة الداخلية. ووجود الجدة كان ضمانا لعدم الدردشة معه.

عندما رأت الأرملتان النقيب، أول ما خطر ببالهما هو أن رجلا مناسبا لميهوا قد ظهر في الوقت الذي بلغت فيه سن الزواج. كانت ميهوا فائقة الجمال. أنفها كأنف أمها، وعيناها ثاقبتا الذكاء، ومع ذلك لم تكن تقاطيعها أكثر تناسقا من تقاطيع أمها. كان لها معجبون، وهي تعلم ذلك. وكانت مرغوبة للزواج، ولكن أسطورة شائعة تتعلق بذكور أسرة وين كانت تحول دون تقدم الشباب لطلب يدها. ملخصها: أن في الأسرة الآن أرملتين لأن الجد والأب كليهما قد توفيا بعد زواجهما بفترة قصيرة. وبما أن ذلك حدث مرتين فإنه يمكن أن يحدث في المرة الثالثة، وبالتالي فإن من يتزوج ميهوا يكون عمليا قد أقدم على عملية انتحارية. إضافة إلى أن هذه الأسرة لا تملك سوى هذا البيت فلم يكن أحد مهتما بمصاهرتهما. وهكذا كبرت الفتاة وبلغت التاسعة عشرة من عمرها وامتلأ جسدها ولم يتقدم إليها أحد.

منذ أن قدم النقيب "لي صنغ" حدث تغيير كبير في البيت. إذ أولى النقيب اهتماماً كبيراً بالآنسة ميهوا، واستمتع برفقة الأرملتين. كان لطيفا دمثا مع الجدة ويوليها احتراماً واضحاً. في حين كان هو في نظر السيدة "وين" الشابة وسيماً جذاباً، ومتحدثاً بارعاً ومحباً صادقاً ومرحاً ومسلياً ومفعماً بالحيوية. لذلك أدخل إلى بيت الأرملتين صوتاً ذكورياً وضحكة رنانة لم تسمعاها منذ سنين. لقد ساورهما الأمل في أن يبقى معهما إلى الأبد.

لدى عودة النقيب من المعسكر رأى السيدة وين في القاعة الداخلية. كان فى القاعة صندوق صغير يحتوي على مجموعة منوعة من الكتب الكلاسية والأدبية. كان بعضها مجلدات ضخمة قديمة الطبعات ملفوفة

بقماش أزرق لا تصلح على ما يبدو لقراءة النساء. وكان في الصندوق كتب رومانسية ودرامية وبعض كتب الأطفال رخيصة الثمن. كانت المجموعة عادية وغير مميزة. فقال مخاطبا السيدة وين ومشيرا إلى المجلدات: لديك مجموعة كتب جيدة. فأجابته: أوه، ألق عليها نظرة، إن شئت. إنها لزوجي. فقال: وماذا بشأن كتب الأطفال؟ فهي أكثر مما يتوقع المرء في بيت ليس فيه أطفال. احمر وجه الأرملة قليلا وقالت: لست مثقفة بدرجة عالية، ولكني أعطي دروسا لأطفال صغار وفتيات شابات.

كان ذلك واضحا تماما إذ كان من بين هذه الكتب نسخة من " مختارات للفتيات " ونسخا عديدة من " واجبات النساء الكلاسية" تأليف المؤرخة " بان تشاو " من القرن الثاني، وثلاث نسخ أو أربع من " نماذج سلوك الأسرة" تأليف " زيما كوانغ " وكلها تستخدم في تربية البنات. قال: أهكذا إذن تكسبين قوتكن؟ إنه لأمر مدهش. كنت اتساءل كيف تستطيعين كأم وكنة كسب عيشكن؟ ضحكت السيدة وين وقالت: المرء يستطيع دائما تدبير أموره. فعندما كانت أمي وأنا أصغرسنا كنا نشتغل في التطريز. أما ألآن فأنا أعطي دروسا في البيت. الدروس غير منتظمة. بعضها يدوم شهورا وبعضها سنة أوما يقارب السنة. تحب الأسر إرسال بناتها إلي لأنهم يعرفون أني أعطيهن دروسا أخلاقية تناسب اللائي يرغبن أن يكن كنائنهم.

كان النقيب يفتح مجموعة كبيرة بعنوان "أقوال مأثورة " للفيلسوف "تشو شي". وهو كتاب مفضل لدى المتبعين أخلاق كونفوشيوس، بيد أن هذا الكتاب أكثر فلسفة من سواه. قالت السيدة "وين" إنه لزوجي ليس لنا نحن النساء. قلت لك إني لست مثقفة ثقافة عالية. إن كل ما تحتاجه المرأة من التربية والثقافة هو معرفتها بالأساسيات، كواجبات الأم والزوجة والأخت والابنة والكنة ووفاء الأولاد للوالدين وطاعتهم والعفة، وما إلى

ذلك. فقال النقيب: أنا متأكد من أن اللواتي تعلمينهن سوف يتقن هذه المبادئ، ويبدو أن زوجك كان من الكونفوشيين الملتزمين. بدا الموضوع مؤلما للأرملة فلم تقل شيئا.إن حديثها الممزوج بالحشمة والكبرياء، ونظراتها الشابة ووديتها الحميمية أحدثت كلها تأثيرا ساحرا في النقيب. كان يحب ابنتها، ومع ذلك يرى أنها أكثر تهذيبا وإنها تتمتع بصبر قوي ناجم عن الأسى، وما أعجبه أكثر في شخصية الأم ذلك التوازن السعيد الذي جعلها راضية قانعة بحياتها ومعيشتها. لم تكن لديه أية فكرة عن أن للأرملتين اللتين يقيم معهما مكانة مرموقة جدا في القبيلة، وأن رجال القبيلة قد تحركوا بنشاط للحصول على قوس العفة لهما.

عندما عاد النقيب من "لينتشينغ" اكتشف أن للبيت حديقة خلفية مدخلها من المطبخ. وذات صباح خرجت ميهوا للتسوّق ولم يرها النقيب. سأل عن الجدة، والواقع أنه كان يفكر في ميهوا. فقالت له السيدة وين إنها في الحديقة الخلفية. هيا ألق نظرة على الحديقة.

كانت الحديقة واسعة بالنسبة إلى البيت. فيها بضع شجرات إجاص، وبضع شجيرات مزهرات، وبضعة صفوف من نبات الملفوف والكرّات وغير ذلك من الخضار. كانت الحديقة محاطة بجدران المنازل المجاورة. وفي الجهة الشرقية من الحديقة باب جانبي يؤدي إلى ممر ضيق. وبجانب الباب غرفة تبدو كأنها بيت للحارس. وكان وراءها حظيرة دجاج. كانت الجدة تجلس على كرسي خشبي عتيق تستمتع بالشمس. أما السيدة وين ذات الثياب السوداء الأنيقة والشعر المرتفع عند الصدغين حسب موضة تلك الأيام، فقد أخذت تتجول في الحديقة مع النقيب. ارتسم على محياها مزيج من الحشمة والكبرياء الساحر، وكان في عينيها بريق ناعم. أيقن النقيب أنه كان بإمكانها الزواج في أي وقت تشاء. قال لها النقيب: هل أنت التي تهتمين بهذه الحديقة بنفسك؟ فأجابته: لا. بل "تشانغ العجوز" هو الذي يهتم

بها.. فسأل من هو اتشانغ العجوز هذا؟ فأجابت: هو البستاني. وأضافت قائلة إنه يأخذ مايتوافر لدينا أحيانا من بطيخ وخيار إلى السوق ويبيعها بسعر جيد. إنه أكثر الرجال أمانة عرفته في حياتي. ثم أشارت إلى غرفة الحارس وقالت إنه ينام هناك. في تلك اللحظة ظهر البستاني من الباب الجانبي. كان عاري الجسم حتى الخصر، إذ كان الفصل صيفا. كانت عضلاته المسفوعة الجميلة تلمع في الشمس. إنه في حوالي الأربعين من العمر. كانت ضفيرة شعره ملفوفة حول رأسه حسب موضة الفلاحين. له وجه محبب ينم عن بساطة وأمانة. ويبدو أنه متحرر من مظاهر القلق كلها. بشرته مكتنزة لا تجاعيد فيها. عرفت السيدة وين النقيب بالبستاني قائلة: هاهو تشانغ العجوز. فهذا هو الاسم المألوف الذي ينادى به. ذهب البستاني إلى البئر ذي الفوهة المحاطة بسور من الحجارة المرصوفة. غرف منها ماء وشرب بقصعة من القرع، ثم سكب الباقي على يديه وغسلهما. كانت بساطة هذا الأسلوب ساحرة. وعندما كان يشرب سطعت أشعة الشمس على عضلاته النظيفة القوية، ورأى النقيب شفتي مضيفته ترتعشان. قالت السيدة وين: لا أدري ماذا كنت سأفعل بدونه. فهو لا يطلب أجراً أبداً. ولا يعيل أحداً. وكل ما يحتاجه هو الطعام والمأوى. ويقول إنه لا يحتاج نقودا. وكانت أمه قبل وفاتها تعيش معنا. كان ابناً باراً. والآن هو وحيد تماماً لا قريب له. لم أر بحياتي رجلاً نظيفاً وأميناً ومجداً مثله. صنعت له في العام الماضي معطفا، وبذلت جهداً لإقناعه بقبوله. إنه يقدم لنا أكثر مما يأخذ.

بعد الغداء، عندما عاد النقيب إلى الحديقة، كان تشانغ العجوز يصلح حظيرة الدجاج. عرض عليه "لي صنغ" المساعدة. ولكنه سر عندما علم فيما بعد أن لحظيرة الدجاج تلك علاقة كبيرة بمستقبل السيدة وين. ما أهم التفاصيل الصغيرة في حياتنا!! أخذ لي صنغ يتحدث مع البستاني الذي قال عن سيدته، معجبا بها: يالها من سيدة! لولاها لما عاشت أمي في

شـيخوختها عيشــة محترمــة ومريحــة وسـعيدة. ويقولـون إن هيئــة الوصــاية الإمبراطورية لعائلة وين سوف تمنحها وأسرتها "قوس العفّة". إن السيدة وين الكبيرة فقدت زوجها وهي في العشرين من عمرها. وتزوج ابنها الوحيد سيدتي. وسمعت أنه سقط على الأرض ميتا في صبيحة أحد الأيام وهو يسرّح شعره. لقد مضى على ذلك وقت طويل. فأصبحت السيدة وين أرملة وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت حاملا بابنتها ميهوا. إنك لا ترى أن تظل امرأة شابة مثلها أرملة طوال حياتها. فذلك ليس إنسانيا ما لم يكن لها ولد تعيش من أجله ويحمل اسم العائلة، وما لم تشأ هي نفسها ذلك بمحض اختيارها. ولكن السيدة رفضت الزواج وحاولت الجدة أن تتبنى صبيا ليكون حفيدها ويحمل جذوة نار مذبح الأجداد. ولكنك تعلم حال العائلات؛ بعضها يزدهر ويتكاثر وينجبون ستة أولاد أو سبعة بصورة متتالية؛ وبعضها ينتهي بلا خلف.. ويقول الناس إن الحظ كان ضد ذكور هذه الأسرة، لذلك لم يشأ أحد إعطاءها ابنه لتبنيه. وهكذا بقيت سيدتي على ابنتها ورأيت كيف كبرت ميهوا وصارت صبية جميلة. فلماذا لا تتزوجها أيها النقيب؟ ستكون زوجة رائعة لأي رجل يقدر على إعالتها. ابتسم لي صنغ لبساطة سلوك البستاني وأخلاقه. فليس النقيب بحاجة للبستاني ليلفت نظره إلى جمال ميهوا. سأل النقيب البستاني عن قوس العفة، فأجابه قائلا: ألا تعرف أن العائلة الوحيدة التي حصلت على قوس العفة في المدينة هي أسرة "هيو". فغار منهم رجال قبيلة وين. فكتبوا إلى هيئة الوصاية الإمبراطورية لعائلة وين يزودونها بمعلومات عن هاتين الأرملتين. الأرملة الكبرى ما زالت أرملة منذ أربعين سنة. ويقولون إن الوصي الإمبراطوري سوف يرفع التماسا إلى الإمبراطور لبناء قوس عفة لهاتين الأرملتين. فقال النقيب: أحق هذا؟ فأجاب البستاني مستغربا: ولماذا أمزح معك أيها النقيب؟ فهل هذا موضوع مزاح؟ موضوع تكريم الإمبراطور

نفسه لامرأة؟ يقولون إن الإمبراطور يمنح ألف تايل (عملة صينية) من الفضة مع الإذن ببناء القوس. وبالتالي سوف تكون سيدتي غنية ومكرّمة. وهي تستحق ذلك، أيضا. سيدتي شابة وجميلة وكثير من الرجال يتمنون الزواج منها. ولكنها فضلت أن تبقى في أسرة وين لتخدم حماتها في شيخوتها على الزواج وترك حماتها وحدها. فلا يسع أي امرئ إلا أن يعجب بها. وهذا هو سبب إقامة نصب تذكاري تكريما لها ولحماته. كما أنها تأمل أن تكون قادرة، بعد زواج ميهوا، على إبقاء نار مذبح أسلاف زوجها مشتعلة. يا لها من سيدة!!

كان اهتمام النقيب، أثناء رواحه وغدوّه، بملاحقة ميهوا أكثر من اهتمامه بملاحقة العصابات. أحبت ميهوا النقيب صنغ كما لم تحب فتاة أحداً من قبل. كما أن صنغ قد وقع هو الآخر أسير حب ميهوا. لم تحاول الفتاة إخفاء حبها له وإعجابها به. قالت له ما يعجبها فيه وعللت ذلك. ربما يكون مثل هذا الكلام مصطنعاً وخداعاً لو صدر عن الفتيات اللاتي عرفهن النقيب. بيد أن المرء يشعر بالصدق ويدركه إذا صدر عن فتاة مخلصة. أدرك النقيب أنها تحبه وتكرمه بصدق ومن أعماق قلبها. كانت طفولية مفعمة بالحيوية، وكانت أحياناً مستهترة. كل هذه الصفات جعلتها فاتنة ساحرة في نظر النقيب. ومن الطبيعي أن ينبئ سلوك الفتاة بحبها صراحة، وكان سلوك النقيب بالمقابل يفضح حبه الجامح لها بالرغم من محاولته كبح مشاعره. وبما أن النقيب صنغ كان في السابعة والعشرين من عمره وما زال أعزباً اقتنعت الجدة أن زواجه من ميهوا كان مقدراً سلفاً.

اتخذت الاحتياطات كلها طبعاً ضد أي خطأ أو أي سلوك غير لائق يمكن أن يحصل. فكانت الجدة تنام في الغرفة الغربية وكانت السيدة وين وابنتها تنامان في الغرفة الشرقية من القاعة الداخلية. وحالما ينتهي

العشاء يغلق باب الباحة الداخلية، ومزيدا من الحيطة والحذر، كانت السيدة وين تغلق باب غرفتها. تبين بالرغم من هذه الاحتياطات أن الأم كانت تخدع نفسها، لأن لي صنغ كان يبقى في المعسكر كي يستطيع لقاء ميهوا خارج البيت. كانت ميهوا تختفي في المساء أحياناً وتعود متأخرة وقت العشاء. وكان هذا السلوك غير المنتظم يتزامن دائما مع الافتراض بأن النقيب موجود في المعسكر وليس في المدينة. عادت ذات يوم إلى البيت بعد ساعتين من وقت العشاء. فأيام شهر يوليو طويلة. والواقع أنها كانت قد رافقت صنغ في طريق خارج المدينة وسلكا ممرا ظليلا يحيط ببركة ماء كبيرة يؤدي مباشرة إلى الغابة الواقعة على سطح التلة. كانت أمسية عظيمة إذ لطّفت الظلال من حرارة شمس الظهيرة، وكان النسيم في الغابة الجميلة حيث الصخور المغطاة بالطحالب الخضراء عليلا ومنعشا ومبهجا. وكان هناك وراء البركة وضفافها الخضراء بحيرة جميلة. وكانت الحياة في نظر ميهوا وهي إلى جانب النقيب كاملة السعادة. أقسم كل منهما للآخر أن يحبا بعضهما إلى الأبد. حدثته عن مدى شهرة جمال والدتها عندما كانت شابة. وكم من الرجال تقدموا لها ولكنها رفضت الزواج من أحد. ثم أردفت قائلة: لو كنت مكانها لتزوجت منذ زمن طويل. كانت هذه العبارة غريبة على مسامع صن. فسألها: ألست فخورة بأمك؟ فأجابت: بالطبع أنا فخورة جدا بها. ولكني أعتقد أن على المرأة أن يكون لها بيتها مع زوجها، وليس كما هو حالها الآن.لقد كرهت الأفكار الكونفوشية لكثرة ما سمعت عنها في البيت. كانت ميهوا في ريعان شبابها، فلا يستطيع أي نموذج رهباني تعرضه جدتها وأمها أن يخمد فورة ربيع قلبها الأنثوي الشاب. فقال صنغ: ومع ذلك، لابد لمرأة فاضلة من أن تفعل ما فعلته أمك. فأجابت على الفور بروح مرحة: ما الذي تعتقد أن البنت قد خلقت له؟ أليس الزواج والبيت والأطفال؟ أليس كذلك؟ لم يكن من السهل على أمي

أن تفقد زوجها في ريعان شبابها، خصوصا وأننا فقراء، ولا يسعني إلا أن أكون معجبة بموقفها، ولكن ..... قاطعها صنغ متسائلا: ولكن ماذا؟ فتابعت كلامها: ولكني لا أومن بأقواس العفة. همهم النقيب من دون كلام. تابعت ميهوا كلامها: عندما كبرت فكرت في الأمر. أمي طموحة وصارمة جدا مع نفسها. فكون المرأة أرملة عفيفة يعد أمرا مميزا، وأعتقد أن أمي كانت ومازالت فخورة بذلك. لا أدري لماذا أتكلم هكذا. سأل صنغ ميهوا عن قوس العفة الذي تتوقع القبيلة أن يمنح لأمها وجدتها. فقالت: أنا مسرورة بشأن أمي، ولكن عندما نتزوج سنذهب ونتركها. وصحة جدتي ضعيفة. فما الذي ستفعله بألف تايل، في عيشها وحيدة وأمامها عشرون سنة من الحبس الانفرادي في المجد حتى تموت كجثة امرأة ورعة؟ فكر صنغ في كيفية إقناع فتاة تتوقد حبا للحياة بأنها مخطئة. فقد شهدت وشاركت حياة في بيت أرملتان خال من الحب، بل ربما كانت تعرف عمّ تتحدث. وفجأة، لدى إدراكها أن الشمس كانت تغيب وراء التلال، قالت: أوه، صنغ، يجب أن أعود إلى البيت ركضا، لم أدرك أن الوقت قد تأخر هكذا.

أثناء غياب النقيب للمرة الثانية، حدث أمر ما. سمعت السيدة وين من الجيران أن الحبيبين شوهدا مرة في الطريق المؤدي إلى سفوح التلة المغطاة بالغابات غرب المدينة. لم ينج شيء من مراقبة عين الأم اليقظة. فسألت ابنتها. واعترفت الفتاة، بصدق، بخطئها. وقالت إن النقيب قد وعدها بالزواج. فانفجرت السيدة وين غضبا قائلة: لم أكن أتصور أن ابنتي ستجلب العار إلى هذا البيت. كنت أنا وجدّتك مثالا يحتذى في المدينة. لقد حططت من قدر أسرة وين. كيف سيتحدث الجيران بحقد وتشفٍّ عن هذه الفضيحة عندما يكتشفونها، يا بنيتي؟! فقالت ميهوا وهي تمسح دموعها: أنا لست خجلة. لا، لست خجلة من حبه.. فأنا في سن الزواج. فإن كنت لا

تريدينه، ابحثي لي عن شاب صالح آخر. أنا شابة ولن أترك نفسي أتعفن في حياة لا حب فيها في هذا البيت. أما أنت يا أمي فلا أرى أي شيء ذا قيمة في حياتك الجوفاء التي تسمينها الترمل الفاضل. غصت السيدة وين بالدهشة والاستغراب، وقالت فاغرة فمها مترنحة أمام طعنة ابنتها غير المتوقعة: ماذا تقولين، أيتها البنت؟! فقالت البنت: نعم، يا أمي لماذا لم تتزوجي ثانية؟ فما زلت شابة. ردت عليها الأم بغضب قائلة: قطع البرق لسانك!!

ما من أحد يستطيع إلقاء الحقيقة عارية، وبصورة مباشرة، كقنبلة إلا طفل اكتمل نموه وبلغ سن الرشد. لم تكن تدري مدى الأذى الذي ألحقته بأمها ولا عمق الجرح الذي أحدثته كلماتها في نفس أمها. ففكرة الزواج الثاني عند أمها كانت مريعة صادمة لا تخطر ببالها أبداً و قالت لابنتها وقد انفجرت بكاء ونحيبا مثيرا للشفقة: يا خسارة تربيتي لك هذه السنين كلها، أليس لديك إحساس بالخجل، ايتها البنت؟! من الغريب أن جملة، أو عبارة أو حتى كلمة يمكن أن تفعل الأعاجيب في بعض الأحيان. فكل العذابات التي تحملتها السيدة وين، ولم تبح بها لأحد خلال الأعوام التسعة عشرة الطويلة قد فجرتها كلمات ميهوا دموعاً مريرة مالحة. كم تحملت! والآن تسخر منها ابنتها وتلومها على سنوات التضحية وإنكار الذات والتي لا يعرف قيمتها وثمنها إلا هي نفسها. فمنذ أن كانت السيدة وين طفلة صغيرة لم تسمع أحداً يشكك في فضيلة عفة الأرملة وفي صلاحية الأفكار التي تقوم عليها هذه الفضيلة. إن من يشكك بها كمن يشكك بوجود الشمس. ففكرة الزواج لم تكن غائبة عن ذهنها فحسب، بل لم تفكر فيها قط طوالى تلك السنوات المريرة. لقد أغلقت هذه القضية منذ زمن بعيد. ولو خطرت فكرة الزواج لها لحظة لنبذتها بقوة على الفور. والواقع أنها لم تخطر ببالها حتى الآن. كفّت السيدة وين عن تأنيب ابنتها

لأنها انهارت وغرقت في تعاسة مطبقة. أما ميهوا فقد صمتت خوفا ولم تبس ببنت شفه. ويبدو أن انهيار الأم كان كليا تحت وطأة لوم ابنتها. فما قالته ميهوا بشأن الفراغ الذي يوحش حياة الأرملة القاسية كان واقعيا جدا. دفنت الأم رأسها بيديها على الطاولة واستمرت بالبكاء. أطلقت عقال عقلها. فرأت أن سعادة ميهوا بحب النقيب حقيقة واقعة ومقنعة. فلو التقت بمثل هذا الشاب وهي صبية...... الأمر مريك.

قررت السيدة وين الانتظار حتى يعود النقيب إلى البيت.. فربما يكون الآن في المدينة وربما تذهب إليه البنت وتحذره، أو ربما تهرب معه. لذلك حبست ميهوا في الغرفة.

عندما عاد النقيب بعد ثلاثة أيام استقبلته السيدة وين وحدها بفتور. سألها النقيب: أين ميهوا؟ فأجابته: إنها جيدة وموجودة في الداخل. فقال متسائلا: ولم لا تخرج؟ فأجابته الأم بصوت مخنوق زامّة شفتيها: كنت أنتظر هذا السؤال. أظن أنك تسأل لماذا لم تتفق معك على موعد وأنت في المدينة؟ فسأل النقيب مستغربا: أي موعد؟ لقد أتيت هذا الصباح فقط. فقالت: لا تتظاهر بالجهل. فأنا أعرف كل شيء.

أحس في نغمة صوتها غضبا مكبوتا لم يسمع مثله من قبل. كان في صوتها مزيج من الحشمة والكبرياء سحره تماما. كان النقيب صامتا. سمع صوت ميهوا تصرخ بجنون: أخرجني، أنا هنا يا صنغ. أنقذني. أخرجني. ثم انفجرت مولولة. فصاح صنغ قائلا: ما هذا كله؟ ثم اندفع إلى الداخل. سمعها تطرق الباب الموصد بقبضتها، وسمع بكاءها المثير للشفقة. تبعته السيدة وين والجدة إلى القاعة الداخلية. سارا ببطء نحو النقيب، وقالت الجدة والدمع يترقرق في عينيها: أيها الشاب، هل تتزوجها؟ علت وجهه دهشة ظاهرة. لقد فهم الآن ما الذي جرى. واصلت البنت المحبوسة البكاء قائلة: صنغ، صنغ، أخرجني من هنا. فرد على الجدة: طبعا،

سـأتزوجها. فهـل لكمـا أن تفتحـا البـاب الآن لأتكلـم إليهـا؟ فـتح البـاب واندفعت الفتاة خارجة وألقت بنفسها بين ذراعي النقيب، باكية، تقول: أبعدني من هنا يا صنغ، أبعدني.

جاء دور الأم الآن لتنهار وتبكي. اعتذر النقيب مرة تلو المرة، وحاول تهدئتها. ولكن يبدو أن بكاءها لا صلة له بهذا الموضوع. وهو أمر لم يفهمه النقيب في ذلك الوقت. لقد تكلم وكأنه يعرف تماما أين يقف. وعبر عن أسفه عما فعل، وأوضح أنه لم يخطر بباله شيء سوى الزواج من ميهوا. ووضع اللوم كله على نفسه. وتوسل إليهما ليغفرا لها. وهكذا كان جاهزا للزواج من ميهوا وكله أمل في أن يكون صهراً باراً. جلست ميهوا هناك وقد صدمت أمها وجدتها بسعادتها. أما وقد انتهت الأزمة بالخير، فإن هذا القران لم يعد سيئا في نظر المرأتين. فوعد النقيب بزواج ميهوا قد وضع الأمور في مسارها الصحيح. كانت الحملة ضد العصابات قد انتهت.

اتخذت الإجراءات مع أسرة النقيب وزوجت ميهوا على عجل وزفت إليه في "صتشو".

العقل البشري أكثر الأشياء في الكون التي لا يمكن التنبؤ بها. انتهى فصل الحب الرومانسي الصاخب بين ميهوا والنقيب. ولكنه ترك أثراً غريباً في السيدة وين. ماتت الجدة بعد ثلاثة شهور. جاء النقيب وحده للمساعدة في إجراءات الجنازة. قالت السيدة وين إن العم الأكبر للقبيلة (شيخها، زعيمها) قد أطلعها على رسالة من الوصي الإمبراطوري مفادها أنه سوف يوصي بمنحها قوس العفة، فأصبح الأمر مؤكداً. انتشرت الحكاية وبعثت في نفوس رجال القبيلة سعادة غامرة. وبدا الجميع مهتمين بعفة الأرملتين. وصارت كل من السيدتين، الحية والميتة، تعرفان بين أبناء القبيلة بالسيدة الطاهرة (العفيفة). وهو لقب شرف عظيم. والغريب أن السيدة وين روت لصهرها هذا كله من دون حماس، بل بشيء من الشك،

أحيانا. قال صنغ مقهقها: رائع، ألست منفعلة؟ فقالت: لست أدري. كيف حال ميهوا؟ بثها لي صنغ نبأ توقعهما مولودا. بدأت السيدة وين ترتعش، وقالت: لم تأخرت بإعلامي. فهذا هو الخبر الحقيقي. فقال النقيب: ولكن ليس أهم من خبر تكريمك بمنحك قوس العفة، يا أماه. فردت بشيء من الازدراء: قوس العفة. دعنا لا نتحدث عنه. دهش لي صنغ لعدم اكتراثها بمثل هذا التكريم النادر. وتذكر ما قالته زوجته عن عشرين سنة أخرى من الحبس الانفرادي في المجد والشهرة. وكان من الصعب عليه أن يصدق أنها هي ذاتها تنظر إلى الأمر هكذا. سألت السيدة مستأنفة الحديث فجأة عن قوس العفة: أتظن أني سأقبله؟ يا له من سؤال غريب. أجاب صنغ بصوت خفيض وقد ساوره الشك، : من الجنون رفضه..... فبعد منحك قوس العفة سيكون ترملك مقدسا، إذا جاز التعبير، في محفوظات الإمبراطورية.

عادت السيدة وين بعد الجنازة إلى البيت وحدها. كانت القاعتان الأمامية والخلفية ما زالتا مغطاتين بلفائف متدلية من التعازي. وكانت فوق مركز القاعة يافطة كتب عليها: باب واحد وعفيفتان. وبما أن السيدة وين بقيت وحدها في البيت صار لديها وقت كاف لتفكر في مستقبلها. وعندما نظرت إلى ما هو آت من الأيام انتابها الذعر. فقبل بضعة شهورفقط كانت هي وأمها وابنتها والنقيب يملؤون البيت بالمرح والضحك. حدثت أمور كثيرة، الأمر تلو الآخر: حب ميهوا وزواجها، وموت الجدة، وهذا الصعود المفاجئ إلى شهرة مجيدة ولكنه صعود قاحل، والطفل الذي لم يولد بعد.

كان تشانغ العجوز رائعاً خلال مراسم الجناوة، وعنما رأى سيدته حزينة صار أكثر عونا لها. صار يتسوق لها بدلا من ميهوا وخفف عنها متاعب إدارة البيت كلها، وحمل عنها كل ما ينبغي القيام به خارج البيت، حتى إنه صار يجني لها بعض الدخل من بيع الخضار التي ينتجها في الحديقة. كانت السيدة وين تشاهد البستاني الأمين والمخلص من مطبخها

وهـو يعمـل. وكانـت، عنـدما تشـعر بالوحـدة الموحشـة أحيانـا، تخـرج إلى الحديقة لتتحدث معه. كانت الحديقة مغلقة تماما فلا يستطيع أحد من الجيران أن يرى من فيها. بدأ نوع من المحبة والإلفة ينمو بينهما.

كـان العـم الأكـبر للقبيلـة قـد زارهـا جالبـاً معـه مئة تايل هدية من الوصي الإمبراطوري لتغطية تكاليف الجنازة. وبذلك أصبحت منحة الألف تايل مؤكدة. وعندما انصرف العم الأكبر، كان على السيدة وين أن تتخذ قرارا صعبا، وعليها أن تحسم الأمر قبل أن يفوت الأوان. هنأها تشانغ العجوز من أعماق قلبه. كان فخورا بسيدته، ولم يخطر بباله أبدا أنها ستصبح قريبا امرأة مشهورة. أرادت السيدة وين أن تفتح موضوع رغبتها في الزواج منه مرارا عديدة. ولكن كيف لسيدة، وأرملة عفيفة طاهرة أن تتقدم هي بنفسها طالبة الزواج من رجل؟! كانت تذهب إلى الحديقة مراراً لتبحث معه شؤون الخضار. ولكن السماء الزرقاء والشمس الساطعة فوقها وخجلها وخبرة السنين الطويلة كانت تمنعها دائما من ذكر ما يدور بخلدها. لم تستطع الإفصاح عما بنفسها. كان تشانغ العجوز أميناً، مخلصاً، شريفاً بصورة مطلقة. لم يفكر بها يوما كامرأة. فعندما حدث أن ما حدث أصيب باليأس والقنوط.

عندما رزقت ميهوا وصنغ طفلة، قدما لزيارة السيدة وين ليريانها حفيدتها. عندما حملت المولودة الصغيرة الجميلة، ذات الجسم الممتلئ الدافئ والبشرة البيضاء، وضمتها إلى صدرها، ارتعشت ابتهاجا وأخذت تغني لها بصوت منخفض. فهي لم تحضن طفلا منذ زمن بعيد، فضلا عن أنها ما زالت صغيرة لتكون جدة. كل ذلك غمرها بالسعادة. قالت لابنتها: أنا مسرورة يا ميهوا بزواجكما السعيد. ينبغي أن تفتخري بطفلتك وزوجك. ترقرق الدمع في عيني ميهوا، إذ اعتقدت أن أمها صارت أكثر إنسانية وعطفا فسامحتها تماما. ولكنها، خلال اليوم الأول من الزيارة لاحظت أن

أمها تجلس وحيدة صامتة، تعلو محياها تعابير قلق، وأنها لم تعد تلك المرأة القنوعة الراضية الهادئة ورابطة الجأش التي تعرفها.

ثم علم النقيب بالخبر المذهل. عندما دخل الحديقة رأى تشانغ العجوز يعزق الأرض. ولدهشته، أخذه البستاني إلى غرفته. وكانت السعادة تضفي على وجهه نورا غريبا، وانفعالا وارتباكا. قال للنقيب: أرجوك قل لي ماذا أفعل. أنا رجل غير مثقف. فقال: ما الأمر؟ تردد تشانغ العجوز لحظة، ثم قال: إنها سيدتي. فتساءل النقيب: هل حماتي في مأزق؟ فأجابه: لا. ولكنك أيها النقيب أنت الوحيد الذي يمكنه أن ينصحني. فأنا لا أعرف ماذا أفعل. فقال النقيب: هل الأمر يخصك أيضا؟ فأجاب: نعم. فقال النقيب: أخبرني بالمشكلة، وبما جرى بينكما بعد مغادرتي البيت. كان البستاني بطيئا في كلامه لأنه لم يألف الحديث المنمق. وعندما روى الحكاية، لم يكد النقيب يصدق أذنيه. تابع تشانغ العجوز كلامه ببطء ووقار. ثم فهم النقيب كيف تعاملت حماته الأرملة المستقيمة مع مشكلتها بطريقة ملتوية جدا، الأمر الذي يوحي بأن فتاة شابة مثل ميهوا تستطيع التعامل مع مشكلاتها بإيماءة بسيطة أو بقبلة.

كانت ليالي الصيف حارة فنام تشانغ العجوز على حصيرته نصف عار. وذات ليلة من ليالي الأسبوع المنصرم أفاق على نداء سيدته له. كان القمر يميل نحو الغرب ويشع مباشرة على فراشه، ورأى سيدته تقف بالباب. فنهض مسرعاً ومتسائلاً إن كانت تريد شيئا. فقالت السيدة وين: لا. سمعت الدجاجات يقوقئن، فظننت أن هراً برياً قد سطا عليهن. ويبدو أن نومك ثقيل فلم تصحُ. في طريقها إلى حظيرة الدجاج لابد لها من أن تمر بغرفة البستاني. وكان الوقت حوالي الثالثة صباحاً، وكان العشب مبللا بالندى. قالت له السيدة وين: عد إلى النوم كيلا تصاب بالرشح بسبب وقوفك بلا معطف. ولكن تشانغ العجوز أصر على اصطحابها إلى

الحظيرة. فكر تشانغ العجوز بالقطط البرية الصغيرة التي تأتي من الجبال لتفترس الدواجن ليلا. ولكنه لم يسمع أبدا قوقأة الدجاج إذ كان ينام نوماً عميقاً. وفي اليوم التالي، قالت له السيدة وين: أحكم إغلاق الحظيرة بحيث لا يستطيع شيء دخولها. فقال: لا تقلقي.

لم يحدث ذلك من قبل، ولكن يبدو أن هراً برياً قد تسلل في الليلة الثالثة عبرالشريط وافترس دجاجة سوداء. استيقظ تشانغ العجوز بشخص يغطي جسده بملاءة وأن سيدته تهزه ليستيقظ. نهض وقال: ما الأمر؟ فقالت رأيت هرا بريا قفز فوق الجدار وهرب. ارتدى تشانغ العجوز معطفا على عجل وخرجا معا يتفحصان الحظيرة فوجدا ثغرة في الشبك. أشارت السيدة وين إلى المكان الذي رأت فيه القط، فلم يريا أي أثر لأقدام هر. ولكن عندما وصلا إلى المكان وجدا الدجاجة السوداء ميتة على مسكبة الزهور عند الحائط وفي عنقها جرح نازف. اعتذر تشانغ العجوز عن إهماله، بيد أن السيدة وين التي تجسد اللطافة بعينها قالت له: لم نخسر شيئا. يمكنني طبخ الدجاجة للعشاء غدا. فسألها: كيف يكون نومك خفيفا إلى هذا الحد؟ فقالت: غالبا ما أكون يقظة في الليل. وأستطيع سماع أخفض الأصوات في نومي. عادا إلى غرفته، وظلت سيدته واقفة بالباب. رأى بقع دم على ثوب سيدته، وعلى رؤوس أصابعها. ألقى الدجاجة الميتة على الأرض وصب ماء على يديها لتغسلهما. ثم عرض عليها أن تشرب كوبا من الشاي. ترددت في البداية، ولكنها وافقت بعد ثانية من التفكير. طار النوم من عينيها ولم تعد راغبة في النوم ثانية. سألها تشانغ العجوز: هل آتيك بكوب الشاي إلى البيت؟ فقالت له: لا. فالجو جميل هنا. فقال: سأعد الشاي في دقيقة. فقالت: لست في عجلة من أمري. جلست على سريره ولمست الحصيرة وألواح الخشب العارية والملاءات المرقعة التي يغطي بها سريره، وقالت: لم أعلم أنه ليس لديك أغطية جيدة. سأعطيك غطاء غدا.

وفي اليوم التالي، عندما قدمت السيدة وين الدجاجة المطبوخة على العشاء، ذكرته بالهر الجبلي ثانية، وسألته: هل أصلحت الحظيرة؟ فقال: طبعا، أصلحتها. فقالت: ربما يأتي القط نفسه الليلة. فقال: كيف عرفت؟ فقالت: لأنه لم ينل مراده الليلة الماضية. فقد كان خائفاً جداً. فما كاد يمسك الدجاجة حتى ألقاها عندما أحس بالخوف. وهو يريد الدجاجة ويعرف أين هي. فإن كان هرا ذكيا فلسوف يعود الليلة. أليس الأمر واضحا؟

تابع البستاني سرد حكايته للنقيب: لذلك صممت على السهر ليلا ومراقبة القط، وقلت للسيدة ألا تقلق. خفضت نور المصباح، ووضعت مقعداً صغيراً وراء الشجرة، جلست عليه وبيدي عصا غليظة لأسحق بها رأس أي هر جبلي يتجرأ على دخول الحديقة. تكبد القمر سمت السماء وانحدر نحو الغرب، ولم يأت أي قط. تجمدت من البرد، وكنت على وشك الدخول عندما سمعت سيدتي تناديني بصوت ناعم: يا تشانغ العجوز، استدرت فرأيت السيدة بثوب أبيض تقترب من البيت كالجنيّة ماكو. وعندما اقتربت مني همست: هل رأيت شيئا؟ فقلت: لا. فقالت لننتظر في غرفتك. تابع البستاني كلامه: كانت أجمل ليلة قضيتها في حياتي. جلسنا نحن الإثنين، أنا والسيدة، بينما كان العالم كله من حولنا نائماً ساكناً. أعطتني هذا الغطاء الجديد لفراشي. كان ناصع البياض جديداً بحيث لم يطاوعني قلبي أن أجلس عليه وأجعّده. جلسنا ننظر إلى أشعة القمر الفضية وهي تدخل عبر النافذة.وبدا كأننا نعرف بعضنا منذ زمن بعيد جدا. جلسنا نتحدث، بل بالأحرى، كانت سيدتي هي التي تتحدث معظم الوقت عن أمور متنوعة، عن الحديقة، والحياة والكوخ وأسى القلوب وسعادتها. سألتني عن ماضيّ ولماذا بقيت عازبا. فقلت لها لأني لم أستطع الزواج. فقالت: لو استطعت، هل كنت ستتزوج؟ فاجبتها: طبعا. بدت السيدة وين

ذاهلة، حالمة، وبدت، وضوء القمر ينعكس على وجهها الشاحب وعينيها اللامعتين كجوهرتين، كأنها ليست هي السيدة التي أعرفها. أحسست بالخوف، فسألتها: هل أنت حقيقية أم أنت الجنية ماكو ظهرت لي عند اكتمال البدر بثوب أبيض؟ فقالت: لا تكن غبيا يا تشانغ العجوز. أنا حقيقة، طبعا. ومع ذلك بدت لي أنها غير حقيقية. رأيت عينيها تنظران إلي ولا تنظران إلي. فلم يسعني إلا أن أنظر إليها. فقالت لي: لا تنظر إلي هكذا، أنا امرأة طبعا. هيا المسني. مدت يدها ولمستها، فارتجفت السيدة وين. فقلت: آسف جدا. هل أخفتك؟ لقد ظننت للحظة أنك الجنية ماكو ظهرت لي بالفعل في ليلة مقمرة كهذه. فقالت: هل أنا جميلة إلى هذا الحد، يا تشانغ؟ أتمنى أن أظل كذلك. هل تعتقد أن الجنية ماكو يمكن أن تحب وتتزوج كما يفعل الرجال والنساء على الأرض؟ استغرب تشانغ السؤال ولم يلتقط إلماحتها، فقال: وكيف أعرف ولم ألتق بها أبدا؟ عندئذ وجهت له السيدة وين أسئلة أذهلته: ما الذي يمكن أن تفعله لو التقيتها الليلة؟ هل تمارس الجنس معها؟ هل تفضل أن أكون الجنية ماكو أم أن أكون امرأة عادية؟ فقال: يا سيدتي، أنت تمزحين. كيف أجرؤ على ذلك؟ فأجابته: أنا جادة. هل ستكون سعيدا إذا ما عشنا معا هكذا، مثل ميهوا والنقيب، كرجل وزوجته؟ فقال: يا سيدتي أنا لا أصدقك. فأنى لي مثل هذا الحظ؟ وما هو مصير قوس العفة؟ فقالت: لا تأبه بقوس العفة. أنا أريدك أنت. يمكننا أن نعيش معا سعداء حتى شيخوختنا. ولا يهمني ما يقوله الناس. فقد عشت أرملة عشرين سنة. وهذا يكفي. فلتأخذ القوس نساء أخريات.ُ ثم قبّلته.

وهنا قال تشنغ العجوز للنقيب بصوت مرتفع منهيا حكايته: من أنا حتى أقف في طريق الإمبراطور؟ ولكن سيدتي تقول إن كل شيء على ما يرام، وطلبت مني أن أتزوجها في أقرب وقت وإلا فإنها لن تستطيع الزواج

بعد ذلك. تصور أن سيدتي تقول ذلك!! وقالت إنها ستكون سعيدة معي وأني سأعيلها كما نحن الآن. فماذا أفعل أيها النقيب؟ دخلت الفكرة إلى رأس لي صنغ ببطء شديد، لأنه ذهل في البداية، وكان يدقق في كل مقطع وفي دلالة كل كلمة من كلمات البستاني وإلماحاتها. وبعد أن ابتلع ذلك كله بصعوبة قال: ماذا تفعل، أيها الأبله؟ تزوجها، طبعا.

في أواخر ذلك المساء، بعد تناول طعام العشاء، قال النقيب للسيدة وين: أماه، كنت أفكر في أن ابنتنا هذه كانت خيبة أمل لك، بالتأكيد. ولا نعلم متى نرزق بصبي يحمل اسم آل وين. نظرت إليه السيدة وين محملقة عينيها. تابع النقيب كلامه بوقار وهو مطرق في الأرض: كنت أفكر. فلا تسخري مني، يا اماه.الجدة قد توفيت، وأنت تعيشين هنا وحيدة، وتشانغ رجل أمين. فهل تسمحين لي أن أحدثه ؟ وأعتقد أنه سيكون مسروراً بحمل اسم آل وين إذا ما تزوجك. احمرّت السيدة وين من رأسها حتى أخمص قدميها. وقالت: نعم، اسم آل وين... ثم اندفعت داخلة إلى الغرفة.

عندما تزوجت البستاني كان ذلك صدمة قاسية لرجال قبيلة وين. وقال العم الأكبر: لا يركن إلى النساء.

- أسس تاي تسو عهد سلالة صنغ في العام960م. تميز هذا العهد بظهور البوذية وانتشار الكونفوشية.حكم أباطرة سلالة صنغ حتى العام 1260م. الذي أسس فيه المغول بقيادة جنكيزخان عهد سلالة يوان المغولية.

أخبار ومتابعات أدبية

ترجمة وإعداد:
منير الرفاعي

الترجمة..
إحصاءات وطرائف وأخطاء فادحة

* تأتي اللغة العربية في المرتبة الرابعة من حيث عدد الناطقين بها، وذلك بعد الإنكليزية والصينية (بجميع لهجاتها) والهندية (وتشمل الأوردو).

* أشار تقرير "التعليم العالي في البلدان العربية" لعام 2008 إلى أن العرب لا يترجمون أكثر من (330) كتابا في السنة.

* ورد في تقارير لمنظمة اليونيسكو أن:

- تترجم (اليابان) حوالى (30) مليون صفحة سنويا، في حين يُترجم العالم العربي سنويا حوالى خُمس ما يُترجم في (اليونان).

- في النصف الأول من ثمانينات القرن العشرين، كان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون، على مدى خمس سنوات، 4.4 كتابا (أقل من كتاب لكل مليون عربي في السنة) بينما في هنغاريا كان الرقم 519، وفي إسبانيا 920.

- عدد الكتب التي تُرجمت إلى العربية منذ ثلاثة عقود (1970-2000) وصل إلى 6881 كتابا، وهذا يعادل ما نقل إلى اللغة الليتوانية التي يبلغ عدد الناطقين بها قرابة أربعة ملايين إنسان فقط.

الإحصائيات صادمة عن تراجع عادة القراءة في المنطقة العربية، فقد حددت إحصائية لليونسكو في العقد الأول من الألفية الثالثة بنصف كتاب في العام، فيما حددها بعض الناشرين بربع صفحة. وأشار تقرير التنمية الثقافية للعام 2011 الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» إلى حقيقة أن العربي يقرأ بمعدل 6 دقائق سنوياً بينما يقرأ الأوروبي بمعدّل 200 ساعة سنويا.

واقع الترجمة في العالم العربي ... أزمة فاضحة !!

يبدو أنّ مشكلتنا الثقافية ليست في النوع فحسب، وإنما في الكمّ أيضاً. فعلى الرغم من أن لغتنا العربية الجميلة تأتي في المرتبة الرابعة من حيث عدد الناطقين بها وذلك بعد الإنكليزية والصينية (بجميع لهجاتها) والهندية (وتشمل الأوردو)، إلا أن الإحصاءات والدراسات تشير إلى تواضع حجم الترجمة في عالمنا العربي بالمقارنة مع البلدان الأخرى. إليكم بعض المؤشرات:

أشار تقرير "التعليم العالي في البلدان العربية" لعام 2008 إلى أن العرب لا يترجمون أكثر من (330) كتاباً في السنة، علماً بأن هذه الأرقام قد تراجعت بعد عام 2011 نتيجة الأحداث ما تشهده المنطقة العربية. وورد في تقارير لمنظمة اليونيسكو أن:

(اليابان) تترجم حوالى (30) مليون صفحة سنوياً. في حين يُترجم العالم العربي سنوياً حوالى خُمس ما يُترجم في (اليونان).

والحصيلة الكلية لما ترجم إلى العربية منذ عصر المأمون [قبل عام813م] إلى العصر الحالي (10.000) كتاب؛ وهي تساوي ما تترجمه إسبانيا في سنة واحدة.

وفي النصف الأول من ثمانينات القرن العشرين، كان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون، على مدى خمس سنوات هو 4.4 كتاباً (أقل من كتاب لكل مليون عربي في السنة) بينما في هنغاريا كان الرقم 519، وفي إسبانيا 920.

إن عدد الكتب التي تُرجمت إلى العربية منذ ثلاثة عقود (2000.1970) وصل إلى 6881 كتابا، وهذا ما يعادل ما نقل إلى اللغة الليتوانية التي يبلغ عدد الناطقين بها قرابة أربعة ملايين إنسان فقط.

أخطاء فادحة وطرائف:

ألقى موقع "بي بي سي للثقافة" نظرة على أخطاء فادحة في الترجمة وقعت في الماضي، ومن بينها اكتشاف عالم فضاء في القرن التاسع عشر أدلة على وجود حياة على سطح المريخ، وإبداء أحد رؤساء أمريكا رغبة جنسية تجاه أحد الشعوب.

1- **الحياة على سطح المريخ**

عندما شرع عالم الفضاء الإيطالي جيوفاني فيرجينيو شياباريللي في رسم خارطة كوكب المريخ عام 1877م، أثار عن غير قصد حالة كاملة من الخيال العلمي. فقد قال العالم الذي كان مديراً لمركز بريرا للمراقبة في ميلان عن المناطق المعتمة والمضاءة على سطح المريخ إنها "بحار" و"قارات"، ووصف مناطق بينهما بأنها قنوات "canali" بالإيطالية.

ولسوء الحظ ترجم نظراؤه تلك الكلمة على أنها تعني "قنوات مائية كالتي يشقها البشر على سطح الأرض"، وأطلقوا العنان لخيالهم وتصوروا أن ثمة حية كانت موجودة بالفعل على سطح الكوكب، وأن مهندسين أذكياء هم من شقوا هذه القنوات.

واستناداً إلى هذه الترجمة الخاطئة، عمد عالم الفضاء الأمريكي (بيرسيفال لويل)، الذي اقتنع بأن هذه القنوات حقيقية، إلى رسم المئات منها بين عامي 1894 و1895. ونشر على مدى عشرين عاماً ثلاثة كتب عن كوكب المريخ تضمنت رسوماً توضيحية تظهر ما اعتقد أنه منشآت بناها مهندسون بارعون لنقل الماء. ونشر أحد الكُتّاب المتأثرين بنظريات (لويل) كتاباً بعنوان "سكان المريخ الأذكياء".

وفي كتاب "حرب العوالم" الذي ظهر للمرة الأولى على شكل أجزاء مسلسلة عام 1897، وصف (اتش جي ويلس) اجتياحاً للأرض من قبل سكان المريخ، وأنتج أنواعاً ودرجات من الخيال العلمي.

أما رواية (أميرة المريخ **Princess of Mars**) التي كتبها (إدغار رايس باروفس) عام 1911، فتحدثت عن أفول حضارة المريخ، مستخدماً فيها الأسماء التي أطلقها شياباريللي على الظواهر المختلفة لذلك الكوكب.

ويتفق علماء الفضاء على أنه لا يوجد أي قنوات تحمل الماء على سطح المريخ، وأنها فقط صنيعة اللغة والخيال المحموم. وحسب ما تقول وكالة ناسا الفضائية: "إن شبكة الخطوط المتقاطعة التي تغطي سطح المريخ ناتجة عن رغبة بشرية محضة في رؤية أشكال محددة، حتى لو لم تكن هذه الأشكال موجودة فعلاً. فعندما ننظر إلى مجموعة باهتة من بين البقع الداكنة فإن العين تعمل على الربط بينها بخطوط مستقيمة".

2- مصائب (كارتر) في بولندا ... لا تنتهي

زار الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بولندا عام 1977، وألقى خلال تلك الزيارة الرسمية كلمة. إلا أنّ مترجمه الفوري جعل من كلمته تلك مادة للتندر والسخرية وإطلاق النكات.

ففي البداية، فسَّر المترجم الفوري الجملة التي قالها كارتر للتعبير عن رغبته في معرفة رغبات الشعب البولندي ومطامحه المستقبلية، إلى "رغبته الجنسية" في الشعب البولندي، وقام بترجمة الجملة التي قالها كارتر ونصها ((I was happy to grasp at Poland's private parts))، وترجمتها الصحيحة "سعدت بالتعرف على بعض التفاصيل بخصوص الدولة البولندية وما ترنو إليه"، وحوَّلها المترجم إلى "سعدت بالإمساك بأعضاء بولندا الجنسية".

المترجم الذي «صارت له مكانة تاريخية» ترجم جملة كارتر (I left the United States this morning) وترجمتها الصحيحة "غادرت الولايات المتحدة صباحًا" إلى "رحلت اليوم عن الولايات المتحدة" وهو ما يعني الرحيل بلا رجعة.

(كارتر)، الذي قرر الاستعانة بمترجم آخر خلال مأدبة رسمية شملها برنامج رحلته لبولندا، كان أسوأ من المترجم السابق، فالمترجم الجديد عجز عن فهم لكنة الرئيس الأمريكي، واكتفى بأن يظل صامتًا بعد كل سطر يقوله كارتر ويتوقف بانتظار الترجمة التي لم تأت.

3- رئيس وزراء روسيا يهدد سفراء بدفنهم أحياء

خلال حفل استقبال أقيم لعدد من سفراء دول غرب أوروبا، في السفارة البولندية في موسكو عام 1956م، تحولت الترجمة إلى مصدر آخر من

إشعال الصراع، وتمديد الحرب الباردة الدائرة بين دول تكتل شرق أوروبا بزعامة روسيا، ودول الغرب، حيث ترجم المترجم الفوري تصريحات رئيس الوزراء الروسي نيكيتا خروتشوف، ونصها **(Whether you like it or not, history is on our side. We will dig you in)**، وترجمتها الصحيحة: "بإرادتكم أو من دونها، فإن التاريخ سيقف معنا، والشيوعية ستقاوم الرأسمالية وستصمد أمامها"، ولكن الترجمة الخاطئة التي أعلنت للجمع الدبلوماسي كان نصها: "بإرادتكم أو من دونها، فإن التاريخ سيقف معنا، وسوف ندفنكم أحياء".

تصدرت الترجمة الخاطئة عناوين الصحف والمجلات، وتسببت في المزيد من برودة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والغرب.

خطأ الترجمة الذي تسبب في ورطة، أوضحه خروتشوف، ولكن بعد مرور سنوات عديدة، في خطاب، ألقاه في يوغسلافيا عام 1963م، قال فيه: "في يوم من الأيام قلت لوفد من سفراء دول غرب أوروبا (**We will dig you in**) ولم أكن أقصد بها المعنى الحرفي الذي ذكره المترجم بأننا «سوف ندفنكم»، وكان المقصود بها أن الطبقة الرأسمالية البورجوازية هي التي ستنهي نفسها بنفسها وسوف تنتصر عليها الشيوعية"، مشيرًا إلى فقرة من الإعلان الشيوعي لكارل ماركس الذي ينص على أن "ما تفعله الطبقة البورجوازية في الواقع هي قبور يحفرونها لأنفسهم بأيديهم"، ولكن العبارة بترجمتها الحرفية هي التي ظلت عالقة بأذهان الأمريكان، وتسببت في المزيد من العداء للشيوعية ومن يمثلها، عززت المخاوف بشأن هجمة نووية تشنها روسيا على غرب أوروبا.

4- التلاعب باختلاف اللغة

الترجمات أثناء المفاوضات غالباً ما تكون مثيرة للجدل. فخلال المفاوضات التي جرت بين باريس وواشنطن عام 1830، أخطأت سكرتيرة البيت الأبيض في ترجمة كلمة (demander) بشكل يناسب سياقها، وفسّرتها على أنها (يطلب) وليس (يسأل)، وهذا ما أزعج الرئيس الأمريكي، وبدأ يتعامل مع الرسالة على أنها تحتوي على قائمة من المطالب تمليها فرنسا على الولايات المتحدة، ولكن السكرتيرة سرعان ما صححت الخطأ، وتم استئناف المفاوضات.

إن اتهامات استغلال السَّاسة اختلاف اللغة لأجل خدمة مصالحهم ومصالح بلادهم، ظلت قائمة عبر الزمن، فاتفاقية (ويتانغي)، التي وقَّعها التاج البريطاني مع شعب (ماوري) في نيوزيلندا، عام 1840 بحضور (400) من زعماء القبائل وتوقيعهم، اشتملت على العديد من العبارات المتعارضة في النصين الإنكليزي والماوري، وهو التعارض الذي جعل النزاع قائمًا، ودفع الشعب الماوري إلى التنديد بالاتفاقية ووصفها بأنها "اتفاقية مزورة".

5- رؤية بعيدة النظر

أحياناً تكون المشكلة في سوء الفهم وليست في سوء الترجمة. وهذه المقولة المتكررة تجد أرضية لها في سياق القوالب العنصرية الجاهزة. فخلال زيارة ريتشارد نيكسون إلى الصين عام 1972، قال رئيس الوزراء الصيني آنذك، زهو إنالي، إن الوقت "مازال مبكراً جداً للقول..." في سياق تقييمه لآثار الثورة الفرنسية.

وقد حظي بالثناء على هذه الكلمات التي نظر إليها الصينيون على أنها تعكس الفلسفة الصينية، مع أنه في الواقع كان يشير إلى أحداث عام 1968 في فرنسا.

وطبقاً لما يقوله الدبلوماسي الأمريكي المتقاعد تشارلز فريمان، المترجم الخاص للرئيس نيكسون خلال زيارته التاريخية تلك، فإن الملاحظة التي أسيء فهمها كانت "واحدة من المرات التي يساء فيها الفهم بطريقة تلائم القائل، ولا يجري تصحيحها إلى الأبد."

ويضيف فريمان: "لا أستطيع تفسير الارتباك الذي أحدثه تصريح المسؤول الصيني إلا من خلال السياق الذي أبرز الفكرة المسبقة عن رجال الدولة الصينين كزعماء بعيدي النظر، على عكس نظرائهم الأوروبيين". ويتابع: "كان ذلك (المعنى) بالضبط هو ما أراد الناس أن يسمعوه ويصدقوه، ولذلك ترسخ".

6- **التقيؤ في مكان عام**

في عام 1992، عندما كان الرئيس الأميركي (جورج بوش الأب) في زيارة رسمية إلى اليابان، دعاه خلالها رئيس الوزراء الياباني (كيشي ميازاوا) إلى عشاء رسمي. شعر الرئيس الأميركي خلال ذلك العشاء بالدوار والغثيان أثناء تناوله العشاء، وقبل أن يغمى عليه، (تقيَّأ) الرئيس (بوش الأب) على قدم مضيفه (ميازاوا).

المعلومة الطريفة هنا، هو أن هذه الحادثة أدَّت إلى دخول مصطلح جديد إلى اللغة اليابانية، وهو كلمة (**bususuru**) وتعني (التقيؤ في مكان عام).

7- **كليلة ودمنة:**

ترجم ابن المقفّع كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الفهلوية إلى العربية. والكتاب في أصله كتاب هندي. ولقد ضاعت الترجمة الفارسية التي ترجم عنها ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة.

ولكي تستعيده الفارسية أعادت ترجمة الترجمة العربية إلى الفارسية في القرن السادس للهجرة على يد أبي المعالي نصر الله. وهكذا تكون الترجمة الفارسية للكتاب هي ترجمةُ ترجمةِ الترجمة. وعليه فإن لكليلة ودمنة تاريخين.

8- **الترجمة.. مصائر شعوب**

القرار رقم 242.. هو القرار الذي أصدره مجلس الأمن الدولي التابع لمنظمة الأمم المتحدة في 22 تشرين الثاني 1976م، وجاء تعبيراً عن الخلل الخطير في ميزان القوى في الصراع العربي الإسرائيلي، وهو الذي لا شك كان نتيجة الهزيمة التي مُني بها العرب في حزيران 1967م.

وقد جاء هذا القرار حلاً وسطاً بين عدة مشاريع قرارات طرحت على النقاش بعد الحرب، ومن أبرزها مشروع القرار السوفييتي والأميركي، وذلك تفادياً لإقدام أي من الدولتين الكبريين على ممارسة حق النقض. واشترط واضع القرار (اللورد كارادون) ـ مندوب بريطانيا آنذاك لدى مجلس الأمن ـ أن القرار لا يقبل أي تعديل أو مساومة فإما أن يقبل كما هو وإما يرفض، لأن أي تعديل ولو طفيف كان من شأنه ـ حسب رأيه ـ نسف المشروع من أساسه.

وكان الهدف من هذا الموقف هو المحافظة على الغموض الذي أحاط بالفقرة الخاصة بالانسحاب خاصة في النص الإنكليزي، فقد ورد في المادة الأولى /الفقرة أ/: "انسحاب القوات الإسرائيلية من (أراض) احتلت في النزاع الأخير" Withdrawal of Israeli armed forces from territories occupied in the recent conflict.

أما في النصوص الفرنسية (Retrait des forces armées israéliennes des territoires occupés au cours du récent conflit)، والروسية والإسبانية والصينية فقد دخلت "الـ" التعريف على كلمة (أراض) بحيث لم يعد هناك أي لبس أو غموض. وزيادة في الوضوح فقد بادر مندوبو دول عدة منها فرنسا والاتحاد السوفييتي ومالي والهند ونيجيريا إلى التصريح - قبل التصويت على القرار - بأن حكوماتهم تفهم هذه الفقرة بأنها تعني انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي التي احتلت عام 1967م.

د. طالب عمران

الفتية الأغرار واكتشاف أمريكا

أصبحت قصة وصول الفينيقيين إلى الأرض الجديدة، أمريكا الشمالية والجنوبية، حقيقة ثابتة، وقد تمكن الباحثون من رصد آثار فينيقية في أمكنة عديدة من الساحل الشرقي للأمريكيتين.. ولكن قصة وصول عرب الأندلس إلى أمريكا، عادت إلى الظهور مجدداً، بعد أن أكدت ذلك الباحثة العربية (ليلى الحمدان) في عدة أوراق بحثية وضعتها في أهم مشاريع حياتها للبرهان على وصول عرب الأندلس المسلمين إلى الأرض الجديدة..

حكى المسعودي في مروج الذهب، عن فتية أغرار قاموا بعبور البحر في أسطولهم الصغير، للبرهان على أن أرضاً يابسة وراء هذا البحر، مادامت الأرض كروية.. وكروية الأرض أكّدها العرب المسلمون، وقاس أبناء موسى بن شاكر في زمن الخليفة المأمون، طول محيط الأرض، وذلك في بدايات القرن التاسع الميلادي، وبعد نحو(150) عاماً، أعاد القياس العالم الكبير محمد بن أحمد البيروني الملقب بأبي الريحان، وأثبت بقياسه أن ماقام به أبناء موسى من قبله، كان دقيقاً أيضاً..

تقول ليلى الحمدان: "لفت نظري وجود بعض الأسماء العربيّة بين الهنود الحمر واستغربت ذلك، وحين اختلطت بهم عرفت أنهم توارثوا هذه الأسماء الإسلامية عن أجدادهم البعيدين.. وذهلت حين توصلت إلى استنتاج بدأت أبرهن عليه فيما بعد من أن الفتية الأغرار وصلوا إلى الشاطئ الأمريكي وتعرفوا إلى الهنود الحمر وتزاوجوا معهم، ودخل بعضهم في الإسلام، بهدوء، على الرغم من ممانعة البعض الآخر.. وهكذا تكونت أسر إسلامية وليدة توارثت هذا الإيمان واستوطن بعض أفرادها في مناطق حضرية، وظلّوا محافظين على تراثهم..

تابعت ليلى الحمدان هؤلاء الهنود الحمر، وتوصلت إلى مخطوطات قديمة كتبها بعض الفتية الأغرار عن رحلتهم المذهلة..

عندما قابلت ليلى الحمدان، أول مرة في الطائرة التي أقلتني إلى إسبانيا للمشاركة في الندوة الدولية لتاريخ العلوم عند العرب التي عقدت في غرناطة بتاريخ 4 آذار عام 1992م؛ سألتها :

- لماذا لا تتضمين إلينا في الندوة، سيكون اكتشافك، إن عرضتيه على المشاركين في الندوة، مذهلاً وفاعلاً..

قالت لي متنهدة:

- لم يحن الأوان بعد يا بني.. لا أريد أن أحرّك عشّ الدبابير في هذا الوقت، أنا أتابع أبحاثي حول هذا الموضوع بهدوء..

- هناك من يضايقك؟

- بالطبع.. فإعلان أن المسلمين في الأندلس قد اكتشفوا أمريكا قبل كولمبس بـ (500) عام، سيثير حفيظة الغرب المتعصّب.. آه يا بني.. أنت لا تدري كم عانيت حين أعلنت أنني في سبيلي إلى البرهان على وصول المسلمين إلى أمريكا في زهوة حضارتهم العربية.. لقد تعرضت إلى مضايقات في كل مكان؛ في الشارع، في الهاتف.. في المكتبات حتى اختفيت لأشهر لأضمن أن الموضوع ابتعد عن السطح.. وعدت أعمل بهدوء.. وببطء.. ولولا مساعدة بعض زملائي من المستشرقين المخلصين لعلمهم لأوقفت نشاطاتي تماماً.

ودّعتني في الطائرة، وهي تخرج قاصدة طائرة أخرى نقلتها إلى نيويورك.. ولم أجرؤ أن أحكي عن موضوع اكتشافها، في الندوة، وقد رأيت كيف أن الإسبان يحتفلون بعام خروج العرب من الأندلس، وهو نفس العام الذي اكتشف فيه كولمبس أمريكا.. كما يحتفلون بإنجاز كولمبس نفسه في هذا الاكتشاف..

ورغم محاولاتي متابعة نشاطاتها ألا أنني لم أصل إلى أخبار عنها إلاّ بشكل متفرّق وقد نشرت أبحاثاً عن التفوق الجغرافي للعلماء المسلمين إبان

الحضارة العربية الإسلامية التي امتدت مابين القرنين الثامن والسادس عشر الميلاديين.. وحكت عن كرة الإدريسي المذهبة التي صممها للملك روجر، وعن رحلات الجغرافيين في أغلب الأصقاع واكتشافهم للبلدان التي زاروها براً وبحراً..

في صيف عام (2002) وكنت في طريقي إلى المغرب في رحلة خاصة، لفت نظري اهتمام المضيفة برجل كهل يجلس في الصف الأمامي من الدرجة السياحية.. كانت فتاة جميلة ممشوقة القدّ، بدا لي وجهها مألوفاً كأنها تشبه أحداً أعرفه.. وحين نهض الكهل في طريقه إلى الحمّام الخلفي، تمعّنت في ملامحه المألوفة، ورأيت كم كان الشبه واضحاً بينه وبين المضيفة.. وبنوع من الفضول سألتها، وكانت تقدم لنا وزميلتها الطعام:

- هل ذلك الكهل هو والدك؟

أجابتني نافية:

- الآن تعرفت عليه، هو رجل لطيف، طبيب يزور المغرب للمشاركة في مؤتمر طبي، قال لي إنني أشبه أخته شبهاً غريباً.. وأنت تقول إنني أشبهه ..

ضحكت: "هذا يفسّر لي فعلاً اهتمامك بذلك"..

وقفزت إلى ذاكرتي صورة ليلى الحمدان، وتأكدت أن الفتاة تشبهها فعلاً، إذن ذلك الرجل – إن لم تخني الذاكرة – هو أخو ليلى ..

وبدون تردد، وبعد أن سكن الناس، وجمعت المضيفات صحاف الطعام وكؤوس الشاي والعصير الفارغة.. توجهت إليه، كان ساهماً

شارداً:

- دكتور، أنا آسف، هل تعرف الدكتورة ليلى الحمدان؟

نظر مشدوهاً: - ليلى هي أختي..

ياإله السماوات، أية صدفة غريبة أعادتني لموضوع ليلى.. عرفته بنفسي وذكرت له أنني قابلتها قبل عشر سنوات في الطائرة المتجهة إلى مدريد، وكانت في طريقها إلى نيويورك.. وبدا على الرجل التأثر، ولحظت أن عينيه اغرورقتا بدمع حاول أن يداريه..

- أرجوك يا دكتور ما هي أخبارها؟ ما أخبار أبحاثها حول الفتية الأغرار؟ أفسح لي لأدخل إلى المكان الخالي المجاور له..

- آه يا بني.. ماذا أقول لك؟ بعد أشهر من الحادي عشر من أيلول- سبتمبر (2001) لم نعد نعرف عنها شيئاً، اختفت فجأة..

- أذكر أنها أخبرتني عن معاناتها لدى بعض المتعصبين.. وأنها فضّلت أن تعمل بهدوء.. لمتابعة أبحاثها ودراساتها في هذا الموضوع..

- بعد أن أصبح الموضوع شبه متكامل، بعد لقاءاتها المتواصلة مع الهنود الحمر الذين يحملون أسماء إسلامية، أظهروا لها كنوزهم من مخطوطات أجدادهم.. وتعرفت على أسماء الفتية الأغرار الذين لم يرد المؤرخون المسلمون ذكرهم في كتبهم، إلاّ مختصراً، من دون أن يسموهم.. فقط حكوا عن رحلة المغرر بهم عبر بحر الظلمات، واختفائهم..

- وكيف اختفت؟ هل تظن أن شيئاً حدث لها؟

تنهد بحزن:

- لو كانت حيّة لاتصلت بي، أنا أقرب الناس إليها، مرّ أكثر من عام على اختفائها، ولا أحد يعرف عنها شيئاً..

- هل استفسرت عنها من أولئك الهنود الحمر الذين كانت تقابلهم؟

- المشكلة أنني لا أعرفهم ولا أعرف عناوينهم، لم تترك لي ليلى شيئاً يدل عليهم..

- وليس من معلومات جديدة عن تفاصيل اكتشافها..

- قبل اختفائها، استلمتُ طرداً منها في (بيروت) حيث أقيم، كان يحوي بعض الصور لأوراق كتبتها بخط اليد، ويبدو أن الطرد فتح وعبثوا بمحتوياته، ولم يتركوا لي سوى أوراق غير مفهومة أو مترابطة.. حتى الصور ليست واضحة كثيراً.. وأنا أعلم أن ليلى دقيقة في عملها، لا يمكن أن يكون هذا الطرد معبّراً عمّا أرسلته لي من معلومات..

- إذن هناك جهات مهتمة بطمس عملها؟

- بالتأكيد.. وفهمكم كفاية.. كشفها قد يقلب الكثير من إنجازات الغرب في هذا المجال.. خاصة برهانها بما لا يدع مجالاً للشك أن المسلمين من الهنود الحمر رغم عددهم القليل، يعودون إلى اختلاطهم بعرب من الأندلس قدموا إليهم واستقروا بين ظهرانيهم، دون أن يستطيعوا العودة إلى الأندلس بسفنهم من جديد.. أو ربما لم يرغبوا بالعودة، بسبب أهوال البحر، أو لكونهم أسّسوا أسراً في الأرض الجديدة، يعزّ عليهم فراقها.. وأغلبهم من الشبان اليافعين.. كما أطلق عليهم المؤرخون أي " فتية أغرار" ..

ودَّعتُ الدكتور إبراهيم، وهو اسمه، بعدما أخذت أرقام هواتفه، وحتى الآن، لم يصل خبر عن ليلى الحمدان، ومازلت مختفية..

وموضوع الفتية الأغرار كان مدار حديث بيني وبين أحد الباحثين في تراث العرب العلمي، وله أبحاث هامة في هذا المجال، وهو المهندس لطف الله القاري، الذي يعمل في شركة ينبع.. وقد أرسل لي بعض الصور عن مخطوطات ورد فيها ذكر الفتية الأغرار من قبل بعض المؤرخين العرب في ذلك الحين..

وكنا مقتنعين أنا وهو بأن عرب الأندلس وصلوا فعلاً إلى أمريكا أما كيف؟ فهذا ما كانت الباحثة ليلى الحمدان تحاول الإجابة عنه، وربما أجابت عنه فعلاً، ولا ندري شيئاً كثيراً عن اكتشافاتها المذهلة في هذا الموضوع شديد الأهمية لنا وربما شديد الحساسية لدى بعض الناس في الغرب.. حساسية تعصب، ربما عادت بذورها إلى الانتشار الصهيوني هناك..

◆ Editorial

◆ File:

A symposium on the role of translation in national development

◆ Poetry

Translated By

◆ Story

Translated By

◆ Literary News and Follow ups

◆ Last Page

World Literature

Quarterly Magazine Issued By Arab Writers Union - Damascus

Issue No. 167, Summer 2016, 40th year

World Literature is a quarterly magazine issued by Arab Writers Union in Damascus, concerned with publishing poems, short stories, plays and other creative works, as well as literary criticism and research, translated from world literature

Damascus – Mazzeh Autostrade -P.O. Box 3230

Tel: 6117240-6117241-6117242-6117243

http://www.awu.sy

E-Mail: awuworldliterature@gmail.com

correspondence is to the care of the Editor in chief

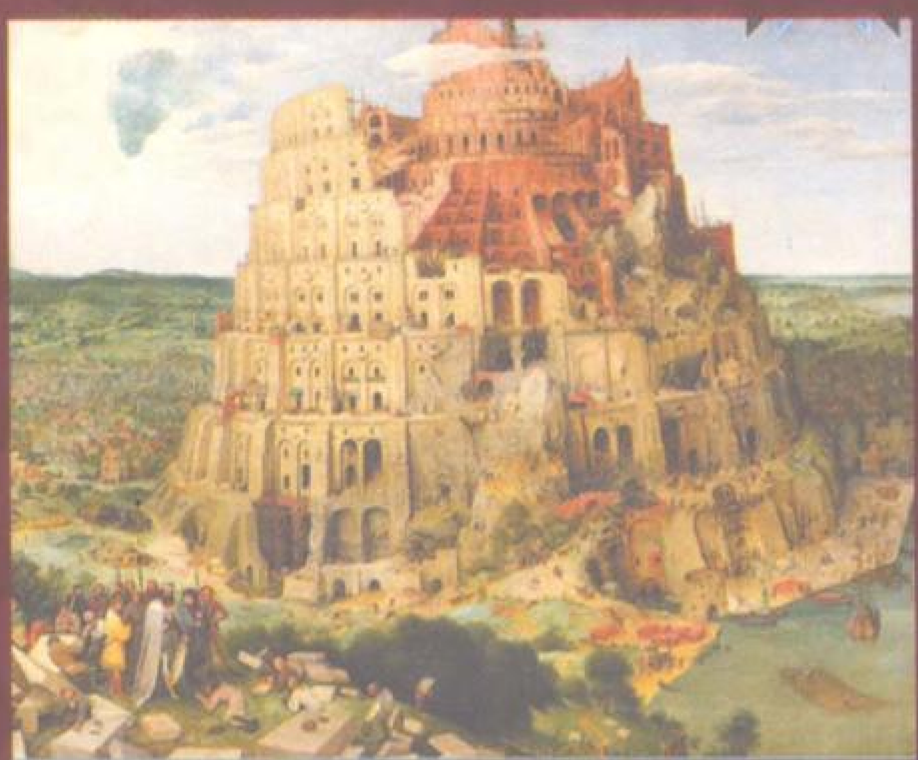
Annual subscriptions	
Members of Arab Writers Union	400 S.P
individuals Inside syria	600 S.P
Establishment Inside syria	2700 S.P
individuals in Arab countries	3000 S.P or 200 $
Establishment in Arab countries	10000 S.P or 250 $
individuals in other countries	10000 S.P or 300 $
Establishments in other countries	15000 S.P or 350 $



World Literature

Quarterly Magazine Issued By Arab Writers Union - Damascus

Issue No. 167 Summer 2016



برج بابل

ورد في سفر التكوين:

1) وكان لأهل الأرض كلّها لغةً واحدة وكلام واحد.

2) فلمّا رحلوا من المشرق وجدوا بقعةً في سهل شنعار، فأقاموا هنـــاك.

3) وقال بعضهم لبعض: تعالوا نصنع لبِنًا ونشويه شيًا، فكان لهـم اللّبن بدل الحجارة والتراب الأحمر بدل الطين.

4) وقالوا: تعالوا نَبنِ لنا مدينة وبرجًا رأسُـه في السمـاء. ونَقِمْ لنا اسمًا فلا نتشتّتْ على وجه الأرض كلّهــــا.

5) ونزل الربّ لينظرَ المدينـة والبرج اللذين كـان بنـو آدمَ يبنونهمـا.

6) فقال الربّ: هـا هـم شعب واحـد، ولهـم جميعًا لغـة واحدة! ما هـذا الذي عملوه إلا بداية، ولن يصعُب عليهم شيء ممّا ينوون أن يعملـوه!

7) فلننزلْ ونبلبلْ هنـــاك لغتهـم، حتى لا يفهمَ بعضُهـم لغةَ بعـــض.

8) فشتّتهمُ الربُّ من هناك على وجه الأرض كلّها، فكفّوا عن بناء المدينة.

9) ولهذا سُمّيت بابـل، لأنّ الربَّ هنـــاك بلبل لغـة النـاس جميعًا، ومـــن هناك شتّتهم الرب على وجه الأرض كلّها.



تصميم الغلاف: منير الرفاعي

Arab Writers Union
www.awu.sy
(150) S.P inside Syria
(320) S.P outside Syria